المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

# الآثار التغريبية للمستشرق اللورد كرومر

## عرضاً ودراسة

بحث تكميلي مُقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

**إعداد الطالب**

**موسى بن علي أحمد صيرفي**

**إشراف فضيلة الشيخ**

**أ.د. محمد بن عبدالعزيز العلي**

**العام الجامعي ١٤٣٤هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدّمَـــــة

وتشتمل على:

- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.
- الهدف من البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن قوى الفساد والضلال قد تآمرت على أمة الإسلام لصرفها عن دينها وتحويلها عن شريعة ربها، فنشطت تيارات كثيرة لتحقيق هذا الغرض، وكان من أهمها وأخطرها الاستشراق الذي تشكل ونشط بعد قناعة الغرب بعدم جدوى الحروب الصليبية التي كان يشنها الغرب على المسلمين عبر قرون مضت كلها باءت بالفشل والانكسار ولله الحمد والمنة .

ولذلك حرص الغرب على دراسة المشرق عموماً والمشرق الإسلامي خصوصاً دراسات وافية، ومن شتى النواحي حتى ينالوا منه ما لم ينالوه منه في حروبهم الصليبية .

فكان أن ظهر نتيجة لذلك مستشرقون خطيرون درسوا المجتمعات الإسلامية، والعلوم الإسلامية ليُوجدوا فيها ثغرات يشككوا من خلالها أبناء الأمة الإسلامية، فتسقط نتيجة لذلك هيبة الإسلام وشريعته من نفوس أبنائها، فيسهل حينئذ السيطرة على الأمة، ونهب خيراتها ومقدراتها، وجعلها تبعاً وذنباً للغرب .

ومن أبرز وأخطر أولئك المستشرقين الذين كان لهم صولة وجولة في بلاد المسلمين هو المستشرق الإنجليزي (اللورد كرومر)، فقد بذل جهداً وأفنى سنين عديدة من عمره لتغريب المجتمع المصري المسلم، حيث عمل مندوباً لبلاده على مصر من عام ١٨٨٢م وحتى ١٩٠٦م، وكانت مرحلته بوجهة نظري مرحلة مفصلية خطيرة لم يسبق للعالم الإسلامي أن تعرض لمثلها، ورغم اختصاص المجتمع المصري بها إلا أنها تمخضت عن آثار لا يستهان بها، طالت كثيراً من البلدان الإسلامية، حيث أصبحت خطط هذا المستشرق التغريبية أسوة سيئة يحتذي بها كل مفسد في بقية البلدان الإسلامية .

لذا اخترت أن يكون موضوع بحثي التكميلي المقدم لتسجيل درجة الماجستير بعنوان(الآثار التغريبية للمستشرق اللورد كرومر ، عرضاً و دراسة) .

## أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

**أولاً**: أن أساليب كرومر تعتبر تحولاً خطيراً في سبيل استعباد الأمم، وسلب ثرواتها، وطمس هويتها، حيث انتقل من الاعتماد على السلاح إلى اتخاذ الخطط السلمية

المدروسة، والاستعانة بالشخصيات القومية المقبولة عند الناس، واستعمال التعليم لقلب الجيل على هويته الإسلامية.

**ثانياً**: انطواء تلك المرحلة على مغالطات بثها الاستعمار بقيادة هذا المستشرق بين بعض المسلمين المِصريين، حتى أصبحت من المسلمات في المجتمع المصري بل حتى على مستوى الأمة الإسلامية، ومنها فكرة أن الأمة الأوربية ما وصلت لحضارتها وتمدنها إلا بثورتها على الدين، وجعل مثل هذه الأفكار مُرتكزاً للتغريب .

**ثالثاً**: الآثار الكبيرة للمستشرق في تغريب المجتمعات الإسلامية، مُنطلقاً من مصر .

**رابعاً**: أن واقع مصر وشعبها لا يختلف عن واقع بقية البلدان الإسلامية ، بل إن المجتمع المصري يُعدُّ من أهم المجتمعات الإسلامية تأثراً وتأثيراً في المجتمعات الأخرى .

**خامساً**: أن هذا المستشرق، وأثره التغريبي الكبير لم يُعط حقه من الدراسة والإبراز – بحسب اطلاعي – رغم خطره، وبقاء أثره لعقود تلت عهده .

## الهدف من البحث:

١- إبراز الآثار التغريبية التي أحدثها هذا المستشرق في المجتمع المصري المسلم، ومنها انطلقت إلى المجتمعات الإسلامية الأخرى، وكشف المواطن التي استغلها، وكشف الأساليب التي اتبعها لتغريب الأمة الإسلامية؛ حيث أنه كان من أوائل المؤسسين لكثير من منهجيات التغريب في العالم الإسلامي، وبخاصة العالم العربي منها .

٢- بيان المغالطات التي بثها الاستعمار عموماً وهذا المستشرق على وجه الخصوص في الأمة الإسلامية، وبيان أثرها وخطرها على الأجيال المسلمة .

## الدراسات السابقة:

لم أجد دراسات – فيما أعلمه –تناولت الآثار التغريبية للمستشرق كرومر، لا مستقلةً ولا ضمن دراسات أخرى، وكل ما وجدته هو مقالات وكتابات متفرقة بين كتب التاريخ التي تناولت تاريخ مصر بالذات، والدراسات التي تناولت الاستعمار بشكل عام أو استعمار مصر بشكل خاص، وهذه تحتاج إلى جمع ودراسة وتحليل .

## خطة البحث:

وقد كانت خطة البحث في مُقدمة، وتمهيد، وثمانية فصول، وخاتمة، على النحو التالي:

**المقدمة**: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وهدفه، والدراسات السابقة فيه، وخطة

البحث، والمنهج في ذلك .

**التمهيد:** وفيه شرح مُفردات العنوان:

- تعريف الاستشراق .
- تعريف التغريب .
- ترجمة المستشرق اللورد كرومر .

**الفصل الأول: أهداف اللورد كرومر، ووسائله، وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** أهدافه، ودوافعه .

**المبحث الثاني:** وسائله، وأساليبه .

**الفصل الثاني: مؤلفات اللورد كرومر في الدراسات الاستشراقية، وآثارها، وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** مؤلفاته، ودراساته الاستشراقية.

**المبحث الثاني:** آثار مؤلفاته إجمالاً .

**الفصل الثالث: شبهاته التغريبية في العقيدة، وآثاره، وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** شبهاته في العقيدة .

**المبحث الثاني:** آثاره التغريبية في العقيدة .

**الفصل الرابع: شبهاته التغريبية في الشريعة وأحكامها، وآثاره، وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** شبهاته في الشريعة وأحكامها .

**المبحث الثاني:** آثاره التغريبية لشبهاته في الشريعة وأحكامها .

**الفصل الخامس: آثاره التغريبية في المؤسسات الشرعية، والتعليمية، وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** إنشاؤه مدارس، وجامعات للتعليم على المناهج الغربية .

**المبحث الثاني:** خططه لتغريب الجامعات، والمدارس الشرعية .

**الفصل السادس: آثاره في قضايا المرأة، وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** آثاره في قضية الحجاب .

**المبحث الثاني:** آثاره في دعاوى تحرير المرأة .

**الفصل السابع: آثاره في مفهوم المدنية، والحضارة، وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** رأيه في المدنية، وعلاقتها بالإسلام .

**المبحث الثاني**: مقارنته بين الإسلام والمسيحية فيما يتعلق بالمدنية .

**الفصل الثامن**: **آثاره في المؤسسات الإعلامية .**

**الخاتمة**: و فيها خُلاصة البحث، وأبرز نتائجه، وأهم التوصيات .

**الفهارس**

## منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج:

١- الاستقرائي: وذلك بتتبع الأحداث والوقائع والأقوال لذات المستشرق .

٢- التحليلي: وذلك بتحليل الدوافع والأسباب والوسائل والأساليب؛ لأُظهر النتيجة التي انتهى إليها والآثار التي خلفها .

٣- النقدي: وذلك بنقد آرائه وشُبهه التي كان يُلقيها عن الإسلام وأهله ومن ثَمَ أنقضها.

كما أني قمت بالآتي:

١- عزو الآيات إلى مواضعها من القرآن الكريم .

٢- تخريج الأحاديث بعزوها إلى مصادرها الأصلية .

٣- التعريف بالأعلام، ، ممن لم يشتهر عند أهل التخصص ، والإشارة لمن لم أجد له ترجمة بعدم الوقوف له على ترجمة .

٤- التعريف بالمذاهب والفرق والكلمات الغريبة .

٥- توثيق النصوص والأقوال من مصادرها الأصلية إن توفرت المصادر الأصلية، والتي لم تتوفر عزوتها إلى من نقلها مع الإشارة إلى ذلك في حال تعذر الحصول على المصدر .

و في الختام أحمد الله تعالى وأشكره على ما أولاني من نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، فله الحمد جل وعلا حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

ثم أتوجه بالشكر والتقدير لصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالعزيز العلي، الذي أشرف على بحثي، فقد أتحفني بتوجيهاته وملحوظاته القيمة والسديدة .

و الشكر موصول لكل من قدم لي معلومة أو مصدراً أو تشجيعاً، فجزاهم الله تعالى عني خير الجزاء .

و أخيراً فهذا جهد طالب علم يرجو فيه السداد، ولا يخلو من النقص والتقصير، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يكون لبنة مباركة في سبيل إعادة الوعي للأمة، ووضع يدها على مكان الجرح، وأن تتنبه من خلاله لبعض خطط الأعداء الذين لا يُريدون بالأمة خيراً .

و صلى الله وبارك على سيدنا ونبينا محمد وآل بيته وسائر أصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

# التمهيد

## شرح مفردات العنوان

- تعريف الاستشراق
- تعريف التغريب
- ترجمة المستشرق اللورد كرومر

# تعريف الاستشراق

### الاستشراق في اللغة:

الاستشراق مصدر من الفعل السداسي: استشرق، وأصله: (شَ رَ قَ)، والألف والسين والتاء إذا سبقت الفعل الثلاثي أفادت الطلب، وعلى هذا فاستشرق: أي طلب الشرق[١]. والشرق: الشمس، أو الجهة التي تشرق منها، والـمَشْرِق: مثله، وفي النسبة: مَشْرِقِي (بفتح الراء وكسرها) . والشَرْقَة والمِشْرقة (مثلثة الراء): موضع القعود في الشمس بالشتاء. وتشرَّق: أي جلس فيه. وأشْرَق: دخل في وقت شروق الشمس، وأشرقت الشمس: أضاءت. وشرَقت: طلعت[٢].

وعلى هذا فمعنى الكلمة يدور حول: جهة الشروق، والضوء – والذي هو يتبادر إلى الذهن عند ذكر الشمس–، فسمي الاستشراق بذلك لأن أهله (الغرب) طلبوا علوم المسلمين والعرب، وبحثوا في الإسلام، وهو الذي كان مبدؤه من جهة الشرق بالنسبة لهم.

### الاستشراق في الاصطلاح:

اختلفت معاني الاستشراق الاصطلاحية تبعاً لوجهة الجهة التي عرفته وبيئتها والقائمين عليها، ومن هذه التعريفات والمعاني للاستشراق ما يلي:

هو أسلوب غربي لمعرفة العالم الشرقي عن طريق البحث أو التخصص في الشرق، بدراسة علوم وآداب وديانات وتاريخ شعوب الشرق، للسيطرة عليه[٣].

وعرفه بعض الباحثين بأنه: "دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب: عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات، وإمكانات .. بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية،

---

(١) انظر: الاستشراق أهدافه ووسائله، محمد فتح الله الزيادي، دار قتيبة، ط٢، ٢٠٠٢م، ص١٧.

(٢) انظر:القاموس المحيط، مادة (ش ر ق)، ص ١١٥٨؛ والمصباح المنير، مادة (ش ر ق)، ٣١٠/١ والتي بعدها .

(٣) انظر: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص١٦ وما بعدها .

وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"(١).

وعُرف كذلك بأنه: "تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين، وثقافتهم، وتاريخهم، ويقصد به: ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما"(٢).

وهناك تعريفات عديدة غير هذه التعريفات تختلف باختلاف مجال الدراسة، والمنطقة المدروسة، والجهة الدارسة(٣).

و الملاحظ: أن بعض هذه التعريفات ركز على جانب دون جانب إلا أنها تجتمع على دراسة علوم الشرق، وخاصة الإسلام، وفي الغالب أنه يهدف إلى تشويهه والتشكيك فيه .

---

(١) رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب، المنتدى الإسلامي، ط٢، ١٤١١هـ، ص٧.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ٦٨٧/٢.

(٣) انظر: المستشرقون والقرآن الكريم، محمد أمين حسن محمد بني عامر، دار الأمل، ط١، ٢٠٠٤م، ص١١ وما بعدها؛ وانظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، خضر شايب، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ص٢٧ وما بعدها .

# تعريف التغريب

**التغريب في اللغة:**

الغرب خلاف الشرق، والمغَرِّب الذي يأخذ في ناحية الغرب، وغَرَّب القوم ذهبوا في المغرب، وأغربوا أتوا الغرب، وأغرب إذا دخل في الغربة مثل أنجد إذا دخل في نجد، والإغراب: إتيان الغرب كالتغريب [١] .

**التغريب في الاصطلاح:**

تعرض كثير من الباحثين كذلك لتعريف التغريب، وسأورد عدداً من هذه التعريفات:

١- هو "طبع المستعمرات الآسيوية والأفريقية بطابع الحضارة الغربية"[٢] .

٢- هو "ما يُقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية"[٣] .

٣- هو "حركة كاملة، لها نظمها وأهدافها ودعائمها، ولها قادتها الذين يقومون بالإشراف عليها، تستهدف احتواء الشخصية الإسلامية الفكرية، ومحو مقوماتها الذاتية، وتدمير فكرها، وتسميم ينابيع الثقافة فيها"[٤].

٤- هي "صبغ الثقافة الإسلامية بالصبغة الغربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتواؤها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها، وتنماع[٥] فيما أطلق عليه الثقافة العالمية أو الفكر الأممي"[٦] .

٥- هو "تحويل المسلمين عن مقومات دينهم على مراحل، وخلق الشبهات المختلفة أمامهم في مختلف ميادين الفكر والاجتماع حتى يتخلصوا تخلصاً كاملاً من القيم

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، ط١، ١٣٠٠هـ، ٦٣٧/١. وانظر: المصباح المنير، الفيومي، ط١، ١٣٠٥هـ، ٤٩/٢. وانظر: القاموس المحيط، الفيروزبادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ، ص١٥٣ .

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص٤٦.

(٣) حصوننا مهددة من الداخل، محمد محمد حسين، دار الإرشاد، ١٩٧١ م، ص١٤٢.

(٤) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص٤ .

(٥) تنماع: تذوب . لسان العرب، ٣٤٤/٨ .

(٦) المرجع السابق ص٣ .

الأساسية لشخصيتهم الإسلامية"[١] .

وعند الاطلاع على الكتب والمؤلفات التي تحدثت عن التغريب ومفهومه تجد أن مؤلفوها غالباً لا يخرجون عن هذه التعاريف إلا في النادر، وهي في الحقيقة تُكمل بعضها البعض .

والخُلاصة من كل التعاريف السابقة هو أن التغريب أسلوب فكري وعملي يهدف إلى صبغ المجتمع الإسلامي خاصة بالصبغة الغربية من خلال وسائل وأساليب مختلفة .

(١) الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، أنور الجندي، مؤسسة الرسالة، ١٩٦٤م، ص٣٦ .

# ترجمة المستشرق اللورد كرومر

**اسمه ومولده:**

اللورد كرومر هو "أفلنج بارنج" ابن "هنري بارنك" الذي عرف فيما بعد باسم "اللورد كرومر"، وقد تخرج في أكبر المدارس اللاهوتية في أوروبا[١]، وحكم مصر أربعة وعشرين عامًا من عام ١٨٨٣م وحتى عام ١٩٠٧م.

و اللورد: رتبة مشهورة في انجلترا، بمعنى: أمير أو قائد ... أو نحو ذلك .

ولد كرومر في ٢٦ فبراير ١٨٤١ في بريطانيا، وهو الابن التاسع لوالده – عضو مجلس العموم — البريطاني آنذاك .

**سيرته وحياته العملية:**

بدأ حياته الوظيفية ضابطًا عام ١٨٥٨م، ثم مرافقًا للمندوب السامي البريطاني على الجزر الأيونية [٢] سنة ١٨٦١م، بعد ذلك أمينًا خاصاً لحاكم الهند البريطاني (١٨٧٢م — ١٨٧٦م ) .

ثم أرسل كرومر إلى مصر لشغل منصب المندوب البريطاني في صندوق الدين الذي أحدثه الخديوي إسماعيل[٣] في مصر؛ للعمل على وفاء الدين الذي تراكم على الحكومة المصرية للدول الأجنبية من جراء مشروع قناة السويس، وذلك ليطمئن الأجانب على أموالهم، وأنها ستعود إليهم، ثم أصبح عضواً في لجنة المراقبة المالية المصرية عام ١٨٧٩م، ومن مصر إلى الهند حيث عين وزيراً للمالية (١٨٨٠ م– ١٨٨٣م )، وقام بإصلاحات مالية عديدة، اختارته الحكومة البريطانية سنة ١٨٨٣م عقب احتلالها مصر (١٨٨٢م) ليكون " الوكيل البريطاني والقنصل العام "بدرجة وزير مفوض في السلك الدبلوماسي واستمر في منصبه حتى استقالته عام

(١) انظر: معركة السفور والحجاب، محمد بن أحمد إسماعيل، دار طيبة للنشر، ط١، ١٤١١هـ، ص ٥ .

(٢) الجزر الأيونية: مجموعة من الجزر تقع في البحر الأيوني وتتبع اليونان، وتتألف من أربع جزر كبيرة وعدد من الجزر الصغيرة، وتقع على مسافة من الساحل الغربي لبر اليونان، وتبلغ مساحة هذه الجزر في مجموعها ٢،٣٠٧كم، وعدد سكانها نحو ١٩٥،٠٠٠ نسمة . موقع المعرفة الإلكتروني، بعنوان: منطقة الجزر الأيونية .

(٣) الخديوي إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، ولد عام١٨٣٠م، خامس حكام مصر من الأسرة العلوية، تولى الحكم فيعام ١٨٦٣م،، وذلك بعد وفاة أخيه الأكبر، إلى أن خلعته إنجلترا عن العرش في ١٨٧٩م، توفي عام ١٨٩٥م، معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص ٥٧.

١٩٠٧م .

يقول مُترجم كتاب الثورة العرابية معرفاً بكرومر: "هو نفسه السير أفلنج بارنج مراقب المالية المصرية قبل الاحتلال، ثم هو الذي تحول إلى لورد أف كرومر، وصار أول ممثل لبلاده بعد الاحتلال، بل صار الحاكم بأمره يصدر أوامره من قصر الدوبارة [(١)] فتعنو له الجباه" [(٢)].

وقال في موضع سابق في الكتاب يصف كرومر: " فكرومر إداري ودبلوماسي بريطاني، بدأ حياته ضابطًا عام ١٨٥٨م، ثم صار ياوراً [(٣)] للمندوب السامي البريطاني للجزر الأيونية عام ١٨٦١م، وأمينًا خاصًا لحاكم عام الهند من ١٨٧٢م – ١٨٦١م، فالمندوب البريطاني لصندوق الدين الذي تشكل في مصر في عهد إسماعيل، ثم مندوب بريطانيا في المراقبة الثنائية عام ١٨٧٩م، وأخيرًا وزيرًا للمالية بالهند ١٨٨٠ م – ١٨٨٣م .

و في عام ١٨٨٣م اختارته الحكومة البريطانية ليكون المعتمد البريطاني لها في مصر، وظل بها حتى عام ١٩٠٧م حيث كان الحاكم الفعلي للبلاد" [(٤)] .

**وفاته:**

في عام ١٩٠٧م ما كاد كرومر يتم تقريره السنوي عن مصر والسودان، حتى عرض له في معدته مرض شديد حتى صار يُغَذَّى بالحقن، وحتى لم يستطع الحفاوة بأخي ملك الإنجليز الذي زار مصر في تلك الأيام ولم يحتف به كما يجب، وحتم عليه الأطباء الاستقالة من منصبه، وترك الأعمال العملية والعقلية، فكتب إلى حكومته بذلك؛ فرَاجَعَتْه عسى أن يثني عزمه؛ فلم يفد ذلك، فقبلت استقالته مع إظهار الأسف على اضطراره إلى ترك الخدمة، والثناء العاطر عليه الذي شارك الحكومة فيه جميع أحزاب الأمة .

وقد حرصت الحكومة الانجليزية على أن تسير على طريقته، وتعمل بما أرشد إليه في

(١) قصر الدوبارة في القاهرة مقر المندوب السامي في تلك الفترة. عودة الحجاب، ٣٦/١ .

(٢) الثورة العرابية، اللورد كرومر، ترجمة: عبد العزيز عرابي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٢١.

(٣) الياور كلمة تركية ومعناها المرافق الشخصي، وهي أيضا رتبة عسكرية عثمانية وتعني رئيس حرس الأمير . المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، محمود عامر، ضمن مجلة دراسات تاريخية، العددان ١١٧ و١١٨، تاريخ ٢٠١٢، ص ٣٧٩ .

(٤) المرجع السابق، ص١٦ والتي بعدها .

تقريره الأخير، وهذا التقرير هو أشد التقارير وطأة على الأمة المصرية؛ لا سيما الذين يعرفون بالوطنيين، من حيث ما يراد فيه من تغيير نظام الجنسية المصرية، ومحاولة إقناع دول أوروبا بترك الامتيازات، والاستغناء عنها بمجلس تشريع وطني؛ معظم أعضائه من رعايا هذه الدول؛ والبقية من المصريين .

وقد توفي اللورد كرومر عام ١٩١٧م، أي بعد أن ترك منصبه كمندوب لبريطانيا في مصر بعشر سنوات[(١)].

(١) انظر: مجلة المنار، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، ١٣١٥هـ، استقالة اللورد كرومر وتقريره، ١٠/١٥٨ وما بعدها .

# الفصل الأول

# أهداف اللورد كرومر، ووسائله

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: أهدافه، ودوافعه**

**المبحث الثاني: وسائله، وأساليبه**

# المبحث الأول
# أهدافه، ودوافعه

لقد مر معنا قريباً في التمهيد وعند تعريف الاستشراق الإشارة إلى مراد المستشرقين من الاستشراق؛ حيث أن أهدافهم لم تكن نزيهة، وكذا دراساتهم لم تكن حيادية، وإن وجدت فهي نزر يسير في بحر عرمرم من الكذب والتدليس والمراوغة بحيث تصبح ضمن ما لا حكم له، ولذلك فإن من الجدير بالذكر أن اللورد كرومر من ضمن أخطر المستشرقين الذين طبقوا عملياً تلك الدراسات وسعوا للوصول إلى أهدافها بشتى الطرق والأساليب، ولا يجدر بنا كذلك نسيان ما كان يتمتع به هذا المستشرق من الدهاء والحرص والصبر علاوة على الصلاحيات الواسعة التي كان يتمتع بها من قِبل حكومته في مصر بعد تعيينه مندوباً سامياً لها هناك، حيث امتلك السُلطة والوقت الكافي لتحقيق ما عجز عنه غيره، وسوف أعرض في هذا المبحث شيئاً من أهداف هذا المستشرق ودوافعه التي لا تخرج بحال من الأحوال عن أهداف ودوافع المستشرقين أياً كانت ديانتهم ولغتهم، ولذلك سأبدأ بذكر دوافع هذا المستشرق ثم أُثني بأهدافه بعد ذلك .

الدوافع التي حملت اللورد كرومر على حملته على الإسلام والمسلمين إبّان حكمه في مصر:

**١ - الغيظ والبغض الشديدان للإسلام والمسلمين :**

فإن من يُطالع كتب هذا المستشرق وكتاباته، ويتأمل حديثه عن الإسلام والمسلمين يلمس جلياً ذلك الغيظ الذي امتلأ به قلبه على كل ما يمت للإسلام بصلة، فهو لا يكف عن لمز الإسلام بالرجعية والتخلف وأنه دين وجد لأمة بدائية، وكذا اتهامه للمسلمين بكثير من التُهم الباطلة التي يعلم هو قبل غيره كذبها، وسيأتي تفصيل لبعض التهم التي كان يكيلها دون التزام بمنهج العدل والحياد، ومثل هذه التهم يعلمها الدارسون للاستشراق ومناهجهم وما الحامل لهم على تلك الافتراءات، حيث أن البغض للإسلام وأهله والذي كان سبباً في حمل أسلافهم قواد الحملات الصليبية على بلدان المسلمين هو نفسه الحامل لهذه الشرذمة التي تُحاول نخر جدار الإسلام المنيع من خلال مُحاولة إيجاد ما يهدم هذا العملاق الذي يقف في طريق كفرهم وأطماعهم وشهواتهم للسيطرة على الأمم وعلى مُقدراتها وثرواتها .

### ٢- رجوع الحملات الصليبية خاسئةً على أعقابها من بلدان المسلمين:

كان لرجوع الحملات الصليبية مهزومة مُنكسرة من بلدان المسلمين أثر لا يُغفل عنه، مما جعل اللورد كرومر وأمثاله من المستشرقين يعكفون جادين على الخطط الممكنة التي من شأنها عدم الهزيمة مُجدداً أمام هذا الخصم الذي أذاق حملاتهم الويل طوال القرون الماضية، ولذلك قال أحد المهتمين بالشأن المصري عن كرومر أنه يُمثل حقيقة ذلك الحقد الصليبي، الذي ردته قدرة الله تعالى قبل إيمان الأمة الإسلامية [(١)] .

### ٣- الخوف من نهضة المسلمين، ورجوعها إلى سابق عهدها :

من الدوافع التي حملت الغرب عموماً وهذا المستشرق خصوصاً على السعي الجاد للسيطرة على الأمة الإسلامية، هو الخوف من نهضتها ورجوعها إلى سابق عهدها دينياً وفكرياً واقتصادياً، حيث أن رجوعها واستيقاظها من سُباتها مؤذنٌ بزوال ممالكهم الهشة الضعيفة الجوفاء، فإذا نهلت الأمة من منهلها الأصيل – الكتاب والسُنة –، واكتفت واستغنت عن غيرها فأصبحت تنتج غذاءها من أرضها وتصنع سلاحها بنفسها، كان ذلك هو الخطر الذي يقض مضاجع الغرب عموماً وأبناءهم من أمثال كرومر وغيره، ولذلك نجد كرومر يقول في أحد تقاريره التي كان يُقدمها لحكومته: "يحسن بكل بريطاني موظف في الحكومة المصرية أن يعرف الظروف الخاصة التي يعمل بها في هذه البلاد، هذه الظروف ينتج عنها بالضرورة أن يكون الأوربي متقدما، والمصري تابعا له، حتى ولو كان منصب الأوربي دون منصب المصري اسما، وأن تكون القيادة للموظف الأوربي بالضرورة"[(٢)]، هكذا هو تماماً التفكير الغربي، حيث يعلم مكمن الخطر، ولذلك يسعى لمنع وقوعه أو للحد منه قدر الإمكان .

### ٤- شعور الاستعلاء الذي كان يشعر به اللورد كرومر وكل مواطن بريطاني :

لقد كان معروفاً أن دولة هذا المستشرق سُميت في مدة قد خلت (الدولة التي لا تغيب عنها الشمس) لامتداد الأراضي التي تسيطر عليها وتُجبى إليها خيراتها، مما جعلها وأفرادها

---

(١) انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، أبو التراب سيد بن حسين العفاني، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع جدة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ٢/٤٢١ .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير –الستشراق– الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه، عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، دار القلم، ط٨، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص ١٧٥ والتي بعدها .

المنتسبين إليها يشعرون بشيء من العِزة والفخر والاستعلاء الذي يرون من بُرجه أن كل الأمم وخاصة أمة الإسلام يجب أن تخضع لهم وألا تفوقهم يوماً من الأيام، وهذا هو شعورهم حتى اليوم ومن يحتك بهم يوماً يجد تلك الأنفة المزعومة لازالت باقية رغم أُفول شمس دولتهم .

تلك كانت جُملة من أهم الدوافع التي حملت اللورد كرومر في كل ما عمله بين المسلمين، وأما الأهداف التي كان يسعى إليها ففي نظري أيضاً أنها لا تخرج عما كانت تهدف له كل الدول الكافرة من غرب أو شرق مُتمثلةً بمستشرقيها، ومن أبرز الأهداف:

**١ـ القضاء على الإسلام :**

كان هم القضاء على الإسلام هدفاً لكل مُبطل وحاقد من بداية ظهوره من قبل أربعة عشر قرناً فقد قال تعالى واصفاً حالهم: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ** ﴾ (١)، وكان الجندي النصراني الذي يغزو بلاد المسلمين يردد أناشيداً يظهر في كثير منها هذا الهدف ومن تلك الأناشيد التي كان يرددها أعداء الإسلام:

أماه ..

أتمي صلاتك.. لا تبكي..

بل اضحكي وتأملي ..

أنا ذاهب إلى طرابلس ..

فرحاً مسروراً ..

سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ..

سأحارب الديانة الإسلامية ...

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ... (٢) .

ومثل هذه الحماسة التي كانت في روح الجندي النصراني تعكس حال وأهداف قادة هؤلاء الجنود .

---

(١) سورة البقرة، آية ١٠٩ .

(٢) القومية والغزو الفكري، محمد جلال كشك، دار القومية للنشر والتوزيع، ط٢، ص٢٠٨ .

وكانت تلك الحماسة في الغزوات الصليبية للقضاء على الإسلام ماضياً ووقوداً يحمل المستشرقين على البذل في ذلك السبيل الذي بينه الله تعالى عنهم في كتابه العزيز، فكانت لهم وسائل وأساليب مُغايرة كلياً عن تلك التي انتهجها الغُزاة بالسلاح، لكن كان الهدف الأول الذي يسعون إليه هو نفس الهدف الذي سعى إليه من سبقهم وهو القضاء على هذا الدين العظيم الذي يهدم كل صروح الكفر، ولا يقبل بعبودية الإنسان إلا لمن خلقه ورزقه، ولا يُبيح حق إنسان لإنسان آخر إلا بطيب نفس منه، وهذا كله لم يكن ليرضى به أصحاب الأطماع والشهوات من أفراد ودول، فهم يتطلعون لما في أيدي الآخرين من ثروات ولا يقبلون إلا بالاستعلاء واستعباد الأمم لهم .

وهذا المستشرق ليس بدعاً من كل أولئك حيث كان جلياً من تصريحه وتلميحه أنه يسعى لهذا الهدف، فأول ما قدم على أرض الكنانة (1) الكنانة بصفته مندوباً سامياً لدولته على مصر قال: جئت لهدم ثلاثة: الكعبة والقرآن والأزهر (2)، هذا ما يسعى إليه بتصريحه، والرابط بين الثلاثة هو أنها رموز للمسلمين قبلةً ودستوراً وعلماً شرعياً، ولذلك سعى جاهداً إلى تنحية القرآن الكريم والسنة النبوية عن حياة المجتمع المصري وسيأتي مزيد تفصيل في فصل آثاره في العقيدة وكذلك الأحكام الشرعية .

## ٢- تفريق المسلمين عموماً، والمجتمع المصري خصوصاً، والحرص على عدم وحدتهم:

لقد كانت المرحلة التي وصل فيها اللورد كرومر إلى مصر مرحلة عصيبة جداً في حياة الأمة الإسلامية، حيث كانت في مدة تكالبت فيها القوى العالمية على الدولة العثمانية والتي كانت أبية طيلة القرون التي حكمت فيها، وكانت مصر لازالت تابعة لها رغم ما ألم بها من أحداث واحتلالات متتالية، وتعاون بين حُكام مصر آنذاك مع المحتلين ليستقلوا بحكم مصر

---

(1) أرض الكنانة : هي مصر ، و تنطق فتح أوله وثانيه ، وتشديد الراء ، سمّيت مصر بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح، عليه السّلام، وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ، طول مصر أربع وخمسون درجة وثلثان، وعرضها تسع وعشرون درجة وربع، في الإقليم الثالث، وذكر ابن ما شاء الله المنجم أن مصر من إقليمين . انظر معجم البلدان ، ١٣٧/٥ و التي بعدها .

(٢) انظر: أعلام وأقزام، ٤٢١/٢ .

عن دولة الخلافة العثمانية، وقد استغل هذا المستشرق الفرصة بحكم سلطته وظروف الأمة العصيبة، ليفت في عضد الأمة ويفرقها شيئاً فشيئاً وقد نجح إلى حد كبير، فقد نجحت دولته وفي حين غفلة الدولة العثمانية عندما اشتركت ضمن الحرب العالمية الأولى، فأعلنت حمايتها على مصر وبذلك فصلت جزءاً مهماً من جسد الأمة، وكذلك الحال في عهد ذات المستشرق استطاع بمكر منقطع النظير فصل السودان عن مصر (١)، هذا من جانب دولي، وأما من جانب داخلي مجتمعي فقد استطاع أن يُقسم الفكر الإسلامي إلى تيارين: قومي وديني، حيث طارت بهذه الطريقة الأحزاب المصرية التي ظهرت وسُمح بها لأول مرة في عهده وسارت على نفس الطريق الذي رسمه كرومر إلى يومنا هذا (٢)، بل كان كرومر من أشد المعارضين لما سُمي في ذلك الزمن بـ " الجامعة الإسلامية "، حيث اعتبر اللورد كرومر أن المقصود منها هو: "اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدي قوات الدول المسيحية ومقاومتها، فإذا نظرنا إليها من هذا الوجه، وجب على كل الأمم الأوربية التي لها مصالح سياسية في الشرق أن تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة "(٣)، وقد نجح إلى حد كبير للوصول إلى هذا الهدف .

**٣- إبعاد المجتمع المصري عن الدين الإسلامي وطمس هُويتهم الإسلامية :**

إن من أهم ما يقضي على الإسلام ويجعله يخبو شيئاً فشيئاً هو إبعاد أهله عنه، ولقد كان هذا هدفاً أمام ناظري اللورد كرومر يظهر جلياً في كل أقوله وأفعاله حيث قال في تقريره الذي قدمه لحكومته عام ١٩٠٦م عن التغيير الاجتماعي الذي يسعى إليه في مصر: إن العمل يسير بجد ونشاط في إدخال المدنية الغربية إلى مصر، وهو يأخذ طريقه بتقدم ونجاح حسب خطة مرسومة وضعت خطوطها بعد دراسة الموقف، تقوم على التدرج والتطور (٤).

والتغيير الاجتماعي الذي يقصده هذا المستشرق هو تغيير عقيدة الأمة وقِيمها ومُثلها

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٧٥ والتي بعدها .

(٢) انظر: أعلام وأقزام، ص ١٣٤ .

(٣) المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، طارق البشري، دار الوحدة للطباعة والنشر، طبعة عام ١٩٨٢م، ص١١٢ .

(٤) انظر: الفقرة الثالثة من تقرير اللورد كرومر، سنة ١٩٠٦م، ص٨ من النسخة الإنجليزية، نقلاً عن أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي جريشه – محمد شريف، دار الوفاء، ط٣، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ص٥٦ .

وثقافتها وأخلاقها وكل ما يمت للإسلام بصلة في هذه الأمة، ويقول في وصفه لما ستؤول إليه حال المصريين إذا استمر في خطته تلك: "... وإذا استمر المضي في هذا الطريق أصبح المصري الآخذ بحضارة أوروبا أقل مصريةً وأكثر ميلاً لأوروبا؛ إذ يصبح المصريون بهذا الفيضان المتدفق من الحضارة الأوروبية أقل إسلاماً، وهم في الوقت نفسه لم يحصلوا بعد على العمود الفقري في الحضارة الأوروبية" (١) أو كما يصفهم في عبارة أخرى "بأنهم مسلمون وليست فيهم خواص إسلامية، وأوروبيون وليست فيهم خواص أوروبية"(٢) وهو المسخ التغريبي الذي نراه اليوم في مصر وغيرها من البلاد التي تأثرت بالمجتمع المصري، ويقول أيضاً: "الشباب المسلم الدائر في تيار الحضارة الأوروبية يفقد إسلامه أو على الأقل يفقد القدر الأكبر من دينه ويحرم نفسه من أهم مبادئ عقيدته، وفي الوقت نفسه: نادراً ما يتجه هذا الشخص إلى المسيحية ... فالحضارة الأوروبية تقضي على دين دون أن تستبدل به غيره ... وهكذا فإنه بحرمان نفسه من عقيدته لن يجد رادعاً أخلاقياً، وفي الوقت نفسه: يحاول تقليد الأوروبي، ولا يترك هذا المصري عقيدته خلف ظهره فحسب، بل إنه يترفع عنها ويزدريها، وهكذا يندفع مغمض العينين بين أحضان الحضارة الأوروبية غير مدرك لحقيقة هامة، هي أن ما يراه ليس سوى المظهر الخارجي لتلك الحضارة، بينما تستقر المعنويات المسيحية تحت هذا المظهر وتتحكم في تحركاته ..."(٣) بل هو يرى أنه "يجب أن يجد المصري من الإغراء أو الإرغام ما يجعله يمتص الروح الحقيقية للحضارة الأوروبية"(٤) وذلك حتى يضمن تحقيق الهدف المنشود، الذي سبق وأن بينه في مقصوده من إدخال الحضارة الأوربية إلى المجتمع المصري .

**٤- السيطرة على المجتمع المصري، واستعباد شعبه، ونهب خيراته :**

و هذا من الأهداف القديمة الحديثة للنصارى في بلاد المسلمين، حيث أن مصر تعتبر من أغنى بلاد العالم الإسلامي سواء بما تملكه من خيرات الأرض التي توفر لها قوة اقتصادية لا

---

(١) مصر الحديثة، اللورد كرومر، النسخة الانجليزية، ٢/ ٢٢٨.

(٢) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي، سامي عزيز، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، طبعة وزارة الثقافة المصرية، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ص ٣٠٠ .

(٣) المرجع السابق ص٣٠٠ .

(٤) المرجع السابق ص٣٠٠ .

يُستهان بها مما يجعلها في غنى عن كل الواردات الزراعية بل ربما صدرت الفائض عن حاجتها إلى البلدان الإسلامية الأخرى، وكذا بما تمتلكه من مركز وثقل مهم بين بلدان المسلمين، وذلك لمجاورتها للأراضي المحتلة [١] والتي تنتظر كل بلدان المسلمين مُبادراتها لأي حدث طارئ فيها، كل ذلك وغيره جعل الإنجليز يهتمون بها ويحرصون عليها بشكل كبير، فعملوا كل ما يسعهم عمله من أجل السيطرة عليها وعلى شعبها صاحب الحماسة الإسلامية الكبيرة، ولذلك انتخب لحكمها اللورد كرومر صاحب التجربة السابقة في الهند، فاستطاع بمكره الخطير أن يُسيطر بشكل كبير على هذه البلاد ومجتمعها المسلم ولم يُغفل هذا الهدف منذ وصوله إلى قيادة هذه البلاد حيث وجه كل بريطاني يعمل في مصر إلى الانتباه لأمور كان من أهمها الحرص على أن يكون الأوربي عموماً والبريطاني خصوصاً متقدماً ومُسيطراً بحيث تكون القيادة بيده في حين يبقى المصري تابعاً له وإن كان المصري في منصب أعلى [٢].

هذا هو الهدف الذي أراده الغرب وطبقه كرومر عملياً على المجتمع المصري، بل جرد مصر من سياسة السودان وإحلال سيطرة بلاده محلها مُنتهزاً أوضاع السودان في تلك المدة[٣]، لقد جرد اللورد كرومر المصريين من كل السلطات الحقيقية وجعلها بيد أبناء جنسه وملته، وإن كان المصري في الظاهر أعلى مرتبة منه إلا أن القيادة والسيطرة بيد الغربي كما وجه هو بنفسه بني جلدته لذلك، وله في ذلك شعار معروف كان يقول به وهو "عقل بريطاني وأيد مصرية"[٤].

ولإحكام السيطرة على المجتمع المصري كان له أسلوب سيأتي بيانه بشكل أوسع في محله، ألا وهو إبعاد المصريين عن العلوم التي تؤهلهم لقيادة بلادهم، وكان يوجههم لفلاحة الأراضي

---

(١) الأراضي المحتلة : هي فلسطين و تنطق بالكسر ثم الفتح، وسكون السين، وطاء مهملة، وآخره نون ، وهي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها البيت المقدس، ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة وغزّة وأرسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعمّان ويافا وبيت جبرين، وقيل في تحديدها: إنها أول أجناد الشام من ناحية الغرب، وطولها للراكب مسافة ثلاثة أيام، أولها رفح من ناحية مصر وآخرها اللّجون من ناحية الغور، وعرضها من يافا إلى أريحا نحو ثلاثة أيام أيضا . انظر : معجم البلدان ، ٢٧٥/٤ و التي بعدها

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٧٥ والتي بعدها .

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٧٥ والتي بعدها .

(٤) انظر: أعلام وأقزام، ٤٣٣/٢ .

خوفاً على مصر من الإفلاس، وفي حقيقة الأمر أن خوفه لم يكن على مصر بل على بلاده التي تتمتع بمردودات الأراضي المصرية التي قال صراحة عنها: "إن إنجلترا لا تريد نشر التعليم العالي في مصر، وأنها لا تريد إلا إعداد جمهور من طبقة الأفندية ليشغلوا الوظائف الثانوية في الحكومة وأن المصريين لا يصلحون للعلوم العالية، وأن زيادة التعليم تصرف عن فلاحة الأرض وتعود على مصر بالإفلاس"[(١)].

لقد أراد كرومر أن يكون هو وكل بني ديانته وخصوصاً بني بلاده من الانجليز سادةً في مصر، وأبناء مصر عبيداً لهم فيها لا يملكون من أمر بلادهم شيئاً، بل ليس لهم إلا الكدح والسعي لصالح دولة الاحتلال ليس إلا، وفعلاً كانوا كذلك .

---

(١) تقرير اللورد كرومر لحكومة بلاده عام ١٩٠٧م، نقلاً عن أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ٤٣١/٢ .

# المبحث الثاني
# وسائله، وأساليبه

استخدم كرومر كل الوسائل والسبل والأساليب الممكنة للوصول إلى أهدافه، لكن تميز هذا المستشرق الصليبي بعدة وسائل وأساليب لم يسبقه إليها أحد، فكان مفتاحاً لكل من تبعه من المستشرقين والمستعمرين الجدد، بل أصبحت وسائل لكل مُفسد يُريد الإفساد حتى من غيرهم؛ وذلك لأنها أصبحت قواعد مهمة يُحتذى بها في الإفساد، والمتتبع لأحوال كثير من البلدان وخاصة الإسلامية منها يجد مصداق ذلك؛ فكل من أراد إفساد بيئة ما سار على نفس الخُطى التي سنها كرومر في مصر سواءً في التعليم أم القضاء أم الإعلام أم غيرها .

وسأتعرض هنا لأهم الوسائل والأساليب التي ميزت اللورد كرومر عن غيره، أو التي انتشرت وكانت من بنات أفكار هذا المستشرق الصليبي الخطير، وهي كما يلي:

**١- الطعن في الدين الإسلامي من خلال إثارة الشبهات حوله:**

لقد كان من أهم ما حمل الغرب على دراسة العلوم الإسلامية هو التنقيب فيها عما يمكن أن يكون سبيلاً للطعن في الدين الإسلامي سواءً أكان بشكل مُباشر أم غير مُباشر، ولذلك انتهجوا سبيل إثارة الشُبه على الإسلام عندما لم يجدوا مواضع في الشريعة متناقضة، فأصبحوا يُثيرون على العوام مسائل تُشكل عليهم، وكان للإعلام الصحفي والسينمائي دور كبير في ذلك خاصةً في المرحلة التي كان فيها اللورد كرومر في مصر، وكان لوسيلة تجهيل المجتمع المصري - التي سيأتي الحديث عنها — دوراً داعماً لهذه الوسيلة، فحين يُغَيَّب وعي مُجتمع ما، وتُصرف همته عن تلقي علوم الشريعة، ويُحقر من علماء الدين ودُعاته في أعين الناس تسهل حينئذ على دعاة التغريب إثارة الشُبه في الدين، فتلقى بعد ذلك أثرها باقياً في النفوس إلى ما شاء الله أن تبقى، ويعلم أهل العلم ما يُؤدي إليه إثارة الشُبه عند العوام من آثار لا يُستهان بها قد تؤدي ببعض أفراد المسلمين إلى الإلحاد والعياذ بالله، وحيث أن كرومر كان حاكماً منتدباً من حكومته على مصر وكان ممن له دراسات وخلفيات استشراقية عن الإسلام فقد استغل سُلطته وخلفيته الاستشراقية للتعامل مع المجتمع المصري، فعمل جاهداً مع بعض المصريين الذين غرتهم السلطة أو استطاع كرومر كسبهم بشكل أو بآخر، على نشر الشبهات في المجتمع المصري، حيث كان من تلك الشُبه التي روج لها في بداية مشواره — على سبيل

الاستشهاد –هي مُحاولته إيجاد تقارب بين الإسلام والنصرانية حيث قال: أنه لم يلحظ في مصر فرقاً بين مسلم ومسيحي سوى أن الأول يُصلي لله في المسجد والثاني يصلي لله في الكنيسة [(١)]، وعمل على نشر فكرة أن "الإنجليز يعملون لتمديننا وتطويرنا وحمايتنا، فلا خصومة بيننا وبينهم ولكن مودة وصداقة"[(٢)]، وكان لبعض الشخصيات البارزة في ذلك الوقت وذات الواجهة والخلفية الشرعية أثر خطير في ترويج الشُبهات كمحمد عبده[(٣)] ولذلك كان يؤيد ما كان يدعو إليه كرومر بمُراوغة لا يفهمها عوام الناس وعلى سبيل المثال قوله: "إن القرآن وهو منبع الدين يقارب بين المسلمين وأهل الكتاب حتى يظن المتأمل فيه منهم أنهم لا يختلفون عنهم إلا في بعض أحكام قليلة"[(٤)]، مثل هذه الشُبه إذا أيدها عالم شرعي تؤدي إلى تمييع قضية الولاء والبراء بين المسلين والنصارى فيسهل بعد ذلك تقبل كل المفاهيم والمبادئ الغربية دون تمحيص أو حذر، وهذا هو الهدف الذي أراده كرومر من هذه الوسيلة.

**٢- رعاية المشاريع التغريبية بشكل مباشر وغير مباشر :**

لقد كانت المشاريع التغريبية المنظمة في عهد اللورد كرومر وسيلة مهمة جداً لتسريع عجلة التغريب في المجتمع المصري، وذلك لأن العمل المنظم المدروس يُؤتي أُكله الأكيدة ولو بعد حين حيث أن الحكمة الإنجليزية التي انتهجها كرومر خلال حكمه هي (بطيء لكنه فعال)، ولذلك كان يرعى من منصبه آنذاك العديد من المشاريع التغريبية، منها ما كان يرعاه بشكل مباشر كإقامة الجامعات والمدارس التي تقوم على المناهج الغربية، أو تلك التي رعاها بشكل غير مُباشر

(١) انظر: المسيحية والإسلام على أرض مصر، وليم سليمان قلادة، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٦م، ص٢٩٢ .

(٢) أعلام واقزام، ٢/٤١٤ وما بعدها .

(٣) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، فقيه، مفسر، متكلم، لغوي، نشأ في محلة نصر بالبحيرة، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وأصدر مع جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف، وسمح له بدخول مصر، فعاد وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارًا في محكمة الاستئناف، ومفتيا للديار المصرية، توفي عام ١٩٠٥م، كانت له علاقة مشبوهة باللورد كرومر، وعمل على تيسير كثير من مخططاته، وقد اعتنى به الاحتلال عناية خاصة، من كتبه: تفسير القرآن الكريم لم يتمه، ورسالة التوحيد، شرح مقامات البديع الهمذاني، الإسلام والرد على منتقديه . انظر: معجم المؤلفين، ١٠/٢٧٢ .

(٤) تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، رشيد رضا، دار الفضيلة، ط٢، ٢٠٠٦م، ٢/٥٣٨.

كالصحف والأحزاب والتي كان يغض عنها الطرف عند دعواتها التي تصب في مصلحة المستعمر على المدى القريب أو مصلحة الغرب عموماً على المدى البعيد، ولذلك كان كرومر سبباً مُباشراً في إنشاء كلية فكتوريا والتي كان الهدف من إنشائها تربية جيل مصري في المحيط الإنجليزي يتقمصون كل ما عند الغرب وينهلون من معينه لكن بثياب ولسان مصري، حيث قال عنهم في احتفال رعاه بنفسه في الكلية: هم الجسر بين الثقافة الغربية ومواطنيهم المسلمين[١]، وكان يرعى من بعيد وبعين لا تكاد تغفو المؤسسات الصحفية التي كانت في الحقيقة لساناً للاحتلال الإنجليزي ومُدافعاً عنه، وقد أعجب كثيراً ببعض دعوات تلك الصحف وأشاد بها مثل دعوة تقبل الاستعمار وصداقته وعدم معارضته، حيث صورت الاحتلال على أنه حقيقة واقعة لا سبيل لمقاومته إلا بالقوة والقوة غير مُستطاعة فلا سبيل إلى الخلاص إلا بمصادقته والتفاهم معه وقبول ما يتنازلون عنه [٢].

و كانت هذه المنابر كذلك من أشد المنابر دعوة للتغريب حيث انحرفت بالمفاهيم والقيم الأساسية؛ لأن المجتمع المصري كان ولا زال مُجتمعاً قارئاً بطبعه، بل كان كرومر يرعى حتى المظاهر الزائفة التي لا تمت للإسلام بصلة لعلمه بأن هذا يقضي على الإسلام شيئاً فشيئاً [٣]، ومن تلك المظاهر التي كان يرعاها هي احتفالات الصوفية وأمثالها .

### ٣- سياسة تجهيل المجتمع المصري من خلال إفساد التعليم :

إن من أخطر ما يُتعرض له في أي مجتمع هو التعليم فمن التعليم تخرج كل مُخرجات المجتمع علماء ومثقفين وأطباء ومهندسين بل منه يخرج قادة المستقبل والمؤثرون في المجتمعات، فمتى صلح التعليم في مُجتمع صلح حال ذلك المجتمع وإن فسد التعليم في مجتمع ما فقل السلام على ذلك المجتمع، ولذلك فطن هذا المستشرق للتعليم وعلم أنه أقرب طريق لإفساد المجتمع فإذا فسد سهل الطريق لوضع اللجام في فم المجتمع المصري ومن ثم قيادته لما أراد، فقام بوضع قسيس نصراني على رأس هرم التعليم بمسمى مستشار للمعارف، وفي الحقيقة كان هو

---

(١) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، ص ٤٦.

(٢) ممن حمل لواء مثل هذه الدعوات لطفي السيد في جريدته " الجريدة " .

(٣) انظر: مصر الحديثة، اللورد كرومر، ج١ الصادر سنة ١٩٠٥م، نقلاً عن واقعنا المعاصر، محمد قطب، طبعة جريدة المدينة، ص ٢١٦ .

المتصرف في كل صغيرة وكبيرة في التعليم، ومما يدل على اهتمام كرومر بالتعليم في مصر وأنه وسيلة لصرف المجتمع لما أراده هو ذلك الموقف الذي وقفه من المنصريين الذين كانوا يخطفون المسلمين ويُنصرونهم بالقوة حتى شكوه إلى حكومته في انجلترا وعندما بلغه خبر الشكوى جمعهم وقال لهم: هل تتصورون أنني يمكن أن أضيق عليكم ؟! ولكنكم تخطفون الأطفال من الشوارع، وتخطفون الرجال لتنصيرهم، فتستفزون المسلمين فيزدادون تمسكاً بدينهم، ولكني اتفقت مع شاب تخرج قريباً في كلية اللاهوت بلندن ليضع سياسة تعليمية ستحقق جميع أهدافكم[١]، وقد نجح في تلك السياسة التعليمية كما وعد .

لم يكن كرومر يهدف لتغيير أسلوب التعليم أو تحسينه بل كان يهدف من سياسته تلك إلى تجهيل المجتمع المصري في كل العلوم وخصوصاً في ما يمت للإسلام بصلة، ولذلك قال في تقريره الذي أرسله لبلاده عام ١٩٠٧م: "إن إنجلترا لا تريد نشر التعليم العالي في مصر، وإنها لا تريد إلا إعداد جمهور من طبقة الأفندية ليشغلوا الوظائف الثانوية في الحكومة وإن المصريين لا يصلحون للعلوم العالية، وإن زيادة التعليم تصرف عن فلاحة الأرض وتعود على مصر بالإفلاس"[٢]، ولذلك "حرص دنلوب[٣] بتوجيه كرومر وبريطانيا على تنفيذ خطة واضحة المعالم للعمل على وقف انتشار التعليم أو ترقيته، وسبيلهم إلى ذلك تقليل اعتمادات المعارف، وصرف أغلب المبالغ المعتمدة في بناء القصور المشيدة واقتناء الأثاث الفاخر للمدارس"[٤] .

---

(١) انظر: التبشير والإرساليات التبشيرية، وهو كتاب ممنوع إخراجه من المتحف البريطاني، نقلاً عن واقعنا المعاصر، محمد قطب، طبعة جريدة المدينة، ص ٢١٦ .

(٢) تقرير اللورد كرومر إلى حكومة بلاده عام ١٩٠٧م، نقلاً عن أعلام وأقزام، ٤٣١/٢.

(٣) دوجلاس دنلوب قسّيس بريطاني، ولد في اسكوتلانده ١٨٦٠م، وتخرج من القسم اللاهوتي في إحدى كلياتها، وجاء إلى مصر مبشرًا ١٨٨٩م، وعين مدرسًا في مدرسة سنت أندرو التابعة للمجتمع التبشيري لاسكوتلانده، عين سكرتيرًا عموميًا للمعارف في ٨ مارس سنة ١٨٩٧م، ثم مستشارًا في ٢٤ مارس سنة ١٩٠٦م، وقد كان في أول أمره قسًا مبشرًا عمل في وظيفة مدرس للغة الإنجليزية والخط الإفرنجي في مدرسة رأس التين الثانوية ثم لفت نظر كرومر فدفعه إلى العمل في نظارة المعارف فما زال يترقى به حتى أصبح مسيطرًا سيطرة تامة على شئون التربية والتعليم. انظر: أعلام وأقزام، ٤٢٩/٢ .

(٤) أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ٤٣١/٢.

و قد ناقش أحد من أكمل دراسته في بريطانيا دنلوب بخصوص جعله منهج مدرسة المعلمين عاماً واحداً، حيث أنه في بريطانيا يتخرج المعلمون في برنامج من أربعة أعوام، فقال دنلوب: إن مدرسة المعلمين هذه تهدف إلى تخريج مدرسين يؤدون واجبًا محدودًا لا يزيد عن إعداد موظفين [(١)].

بل لم تسلم المناهج الدراسية ذاتها من الإفساد والتمييع وخصوصاً المناهج الدينية والتي تواثبوا عليها باسم التطوير، وما المنتظر من وزارة يقف على رأسها قسيس نصراني ؟! والمسؤول عن تعيينه مستشرق حاقد على الإسلام وأهله ؟!

**٤- تربية أجيال موالين للغرب (المُتفرنجين والمُستغربين):**

من الوسائل التي حرص عليها كرومر وكانت وسيلة فاعلة ومهمة لتغريبه المجتمع المصري هي استخدام أبناء المجتمع ذاته لتغريبه ونقض ثوابته؛ وذلك لأن الذي يتكلم بلسان القوم أقوى تأثيراً من غيره، ولقد كان استخدام كرومر لأبناء مصر على نوعين الأول تربية جيل جديد ينشأ على مبادئ الغرب ويسير على خُطاه من خلال الكليات والمدارس الحديثة التي أنشأها كرومر في مصر، والنوع الثاني هو استمالة الشخصيات المؤثرة في المجتمع سواء ذات الواجهة الدينية أو المثقفة أو صاحبة المصالح الشخصية، والذي يعنينا هنا هو الأول، حيث حرص كرومر على إخراج جيل رضع من ثدي الغرب حتى ارتوى ولذلك قال كرومر في احتفال بمدرسة فيكتوريا بأن الهدف من هذه المدرسة وشبيهاتها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين يكونون جسراً بين الثقافة الغربية ومواطنيهم المسلمين[(٢)]، و بالفعل كان للمدارس الحديثة التي أنشأها كرومر في ذلك الحين أثر في تربية جيل مصري غربي التفكير، حيث جردتهم تلك المدارس من هُويتهم الإسلامية وجعلتهم أقل حساسية لقبول أفكار الغرب أياً كانت، ولقد قال أحد مواطني كرومر يوم افتتاح مدرسة فكتوريا وهو ينظر إلى طلابها: "كل هؤلاء لن يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العِشرة الوثيقة بين المقيمين والتلاميذ"[(٣)].

ولقد أغرت التجربة الناجحة لكرومر بهذا الصدد بقية حكام الانجليز على المستعمرات

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٤٣٣/٢ .

(٢) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، ص ٤٦.

(٣) الموسوعة الميسرة ، ٦٩٩/٢ .

حيث قال رئيس اللجنة التعليمية البريطانية في الهند عام ١٩٣٥م في تقرير له بعثه لحكومته: "يجب أن ننشئ جماعة تكون ترجماناً بيننا وبين الملايين من رعيتنا، وستكون هذه الجماعة هندية في اللون والدم وإنجليزية في الذوق والرأي واللغة والتفكير" (١).

ومن هنا يتبين أيضاً أثر التعليم والتربية للجيل في أي مجتمع، فهو إما أن يكون سداً منيعاً له، وإما أن يكون عدواً له إن استغله الأعداء واحتضنوه في مدارسهم أو بلدانهم بالابتعاث أو غيره .

**٥- الاستعانة بالشخصيات المصرية المؤثرة :**

كان كرومر حريصاً على الشروع في مشروعه التغريبي وإن لم يكتمل الجيل الذي هو بصدد إعداده في المدارس الحديثة التي أنشأها خصيصاً لإخراج جيل يتقمص أفكار الغرب بكل ما تحمله، وكان لا يُريد الصدام مع المجتمع كما اصطدم الفرنسيون قبله بالمجتمع، فعمل على استمالة شخصيات بارزة في المجتمع المصري لينقل أفكاره ومشروعه من خلالها إلى المجتمع، بل ويستفيد من أفكار بعض الشخصيات بحكم قربها من المجتمع وما يؤثر فيها، ولذلك يقول أحد المستشرقين النصارى: "الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها"(٢)، لقد وجد كرومر شخصيات اختصرت عليه مشواراً طويلاً وكان على رأسهم شيخ أزهري هو محمد عبده الذي كان له نعم الشريك والمستشار، ويؤكد هذا كلام كرومر عنه في تقريره الذي أرسله لبلاده عام ١٩٠٥م: "كان لمعرفته العميقة بالشريعة الإسلامية ولآرائه المتحررة المستنيرة أثرها في جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى"(٣)، وقال عنه في كتابه مصر الحديثة: "إن أهميته السياسية ترجع إلى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين، وأنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يُقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الحلفاء الطبيعيون

---

(١) تاريخ التعليم، ميجر باسر، ص٨، نقلاً عن الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبي الحسن الندوي، دار الندوة للتوزيع، ط٢، عام ١٣٨٨هـ، ص ١٨٢ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامي، ألفريد لوشاتليه، لخصها ونقلها إلى العربية، محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، منشورات العصر الحديث، ط٢، عام ١٣٨٧هـ، ص ٨٠ .

(٣) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٧٨ .

للمصلح الأوربي"[١].

إن الاحتفاء السابق بمحمد عبده من قِبل حاكم مُستعمر نصراني حاقد على الإسلام وأهله لهو دليل على سوء ما كان بينهما، ولا يُستغرب ذلك الاحتفاء لمن علم ما قدمه محمد عبده للمستعمر من خدمات جليلة، فلقد فتح لكرومر أبواباً عصية لم تكن لتفتح على المجتمع المصري المسلم لولا تعاونه معهم، فمثلاً "عند أولئك الذين تعلموا في المدارس الحديثة كانت جاذبية وجهة نظر الإمام محمد عبده للإسلام تكمن في أنها حررتهم لقبول أفكار الغرب الحديثة بلا أدنى إحساس بالتخلي عن ماضيهم ... "[٢].

إن مثل تلك الخدمات تجعل المستعمر يُقدم كل التسهيلات والدعم لمن يتعاون معهم ويؤثر في المجتمع لمصلحته، ولذلك ذكر كرومر بعد أن حصل خلاف بين الحكومة الملكية في مصر آنذاك ومحمد عبده ونفيه عن مصر بأن "العفو صدر عن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني"[٣].

ذلك الدعم من دولة عظمى لشخصية مصرية ألا يدل على الخدمات الجليلة التي لا يزال يقدمها لمصلحتها ؟! بل إن من تقدير اللورد كرومر لجهود محمد عبده تصريحه بـ" أن الشيخ محمد عبده يظل مفتياً في مصر ما ظلت بريطانية العظمى محتلة لها"[٤].

هذه شخصية تُعتبر أبرز وأهم الشخصيات المصرية التي قدمت أعمالاً جليلة في سبيل تغريب المجتمع المصري، لكنها لم تكن الوحيدة [٥].

**٦- سياسة التدرج والتطوير:**

لقد تميز الإنجليز بهذه الوسيلة خاصةً في مصر، على خلاف ما كان عليه كل المستعمرين، بل حتى خلافاً لحال إنجلترا عند احتلالها للهند، فقد كانت تستخدم النار لتغيير

---

(١) مصر الحديثة، اللورد كرومر، النسخة الانجليزية، ١٨٠/٢.

(٢) تاريخ الشعوب العربية، ألبرت حوراني، دار طلاس للدراسات والنشر، ط١، عام ١٩٩٧م، ١٤٥/٢، وانظر: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ٧٠.

(٣) مصر الحديثة، ١٨٠/٢ .

(٤) تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ٥٠١/١ .

(٥) مثل لطفي السيد وسعد زغلول وصفية زغلول ونازلي فاضل وقاسم أمين وغيرهم .

المجتمعات، لكن مع تولي كرومر سلطة البلاد في مصر كان له تحول ووجهة أخرى في سياسة تغيير المجتمع؛ ربما لأنه رأى بأن القوة تكفي لإخضاع الناس ولكنها لا تكفي لتغيير المجتمع من داخله وتشربه لمبادئ المحتل الغربية بالشكل الذي يكفل للمحتل أن يأمن على مصالحه وتبعية هذا المجتمع أو ذاك له طوال ما هو مؤمن بمبادئه، ولذلك عمل على سياسة التغيير المتدرج والبطيء للمجتمع، عملاً بالحكمة الانجليزية (بطيء لكنه فعال)، ولذلك قال في تقريره: إن العمل يسير بجدٍّ ونشاط في إدخال المدنية الغربية إلى مصر، وهو يأخذ طريقه بتقدم ونجاح حسب خطة مرسومة وضعت خطوطها بعد دراسة الموقف، تقوم على التطور والتدرج(١).

كان كرومر حريصاً كل الحرص على ألا يُثير المسلمين بالتغيير المفاجئ والسريع وخاصة فيما يمس الشعائر الدينية، ولذلك كان من سياسة التدرج التي اتبعها هي رعاية المظاهر الزائفة التي لا تمت للإسلام بصلة (٢) كتعبدات الصوفية؛ لعلمه بأن رعاية مثل هذه المظاهر يُؤدي تدريجياً إلى الانسلاخ من الدين كله؛ لأنها لا تقوم على أساس وكل ما لا يقوم على أساس فسينهدم طال الوقت أم قصر.

كان يعمل بصبر رغم امتلاكه القوة؛ لأنه لم يشأ زعزعة كيان المجتمع فتقوم ثورات مُضاده فلا تستقر الأمور له ولا لبلاده بعد ذلك (٣)، ثم كان من سياسة التدرج التي انتهجها هي سياسة التطوير أو دعوى التطوير، ولقد نال التعليم بشكل عام والتعليم الديني بشكل خاص حظ الأسد من هذا التطوير المزعوم، وكان الأزهر على رأس تلك المؤسسات التعليمية وليس أدل على هذا من كلام كرومر ذاته حين قال: "عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين، والتي كانت أساليبها جافة قديمة، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركةٍ تنبعث من داخله؛ لكانت هذه خطوة جليلة الخطر، فإن

---

(١) انظر: الفقرة ٣ من تقرير اللورد كرومر، سنة ١٩٠٦م، ص ٨ من النسخة الإنجليزية، نقلاً عن أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص ٥٦ .

(٢) انظر: مصر الحديثة، النسخة الانجليزية، ٥٣٨/٢ .

(٣) مصر الحديثة، ٥٣٨/٢.

استعصى على التطوير فليس أمامه إلا أن يموت ويختفي"(١) .

والتطوير الذي يقصده كرومر للأزهر هو تطويع علومه الشرعية لتقبل الحضارة الغربية على أقل تقدير وإن لم تتفق معها وتوافق عليها، فالحضارة الغربية أو المدنية الغربية هي ما يُريد كرومر إدخالها للمجتمع المصري بكل شرها وخيرها، والطريق الأسرع والأسهل لذلك في مجتمع مُتدين ينظر إلى الأزهر نظرة الموجه والقائد هي كسب الأزهر، وجعله أحد الدعاة لها، فإن أبى فليكن مُحايداً فإن أبى فليمت وليضمحل كما قال .

**٧- القضاء على اللغة العربية :**

من أهم ما يُميز الأمم ويجعل لها خُصوصيتها بين الأمم هي اللغة، ولذلك إذا ضيعت أمة لغتها أو أهملتها فقد فقدت هُويتها وأصبحت تبعاً للأمم، وقد حرص كرومر على محاربة اللغة العربية؛ لعلمه بأنها أساس وركن ركين في جسد الشريعة الإسلامية، فهي لغة القرآن الكريم وهي لسان نبي الله محمد ﷺ، فبسقوطها سقوط حصون حصينة في المجتمع الإسلامي، وقد قام هذا المستشرق بمحاربة اللغة العربية من خلال طريقين:

أ-محاربتها مُباشرةً بإثارة الشُبهات حولها:

حيث كان يُثار حولها بعض الشبهات منها أنها مصدر التخلف وأنها لغة جامدة لا تستوعب بمُفرداتها حضارة الغرب وصناعاتها ومخترعاتها، ولذلك انبرى بعض من احتواهم كرومر في كتبهم وصحفهم لمحاربة اللغة العربية الفصحى .

وهنا أحد الباحثين المصريين يصف تلك المرحلة التي عنون لها بالحملة على اللغة العربية والدعوة إلى العامية يقول: كانت حملة لطفي السيد(٢) على اللغة العربية الفصحى هي أخطر الأعمال التي قام بها والتي دفعته بالتبعية — يقصد لكرومر -؛ لأن يواصل الخطة التي بدأها الاستعمار البريطاني، حيث ادعى أن اللغة العربية أصبح تعلمها أبعد منالاً من تعلم اللغات

(١) تقرير اللورد كرومر لسنة ١٩٠٦م، الفقرة ٣ ص ٥، نقلاً عن الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ١/ ٢٧٥ .

(٢) أحمد لطفي بن السيد، ولد في قرية (برقين) بمركز (السنبلاوين) بمصر، وتخرج بمدرسة الحقوق في القاهرة (١٨٨٩م) وعمل في المحاماة، وشارك في تأليف حزب (الأمة) سنة ١٩٠٨م فكان أمينه، وحرر صحيفته (الجريدة)، وعين مديراً لدار الكتب المصرية فمديراً للجامعة عدة مرات، ثم وزيراً للمعارف، والداخلية والخارجية، وكان تعيينه رئيسا لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٥م واستمر فيه إلى أن توفي بالقاهرة عام ١٩٦٣ م . انظر: الأعلام، للزركلي ١/٢٠٠ .

الأجنبية، ودعا إلى تسكين حروف الهجاء وفك الإدغام، وإهمال الشكل، وسخر من هذه الضوابط كلها، ثم كتب في جريدته "الجريدة"[(١)] أكثر من سبع مقالات حول ذلك، وهو في هذه الحملة كان خادعًا فهو لم يفاجئ القارئ بالحملة على اللغة العربية وكذلك هم خصوم اللغة العربية يفعلون ذلك فلا يكشفون عن خصومتهم، بل يصدرون عن غيرة مفتعلة تدعوهم إلى ادعاء الحافظة عليها حين يوجهون سمومهم وهو لم يدع إلى ترك الكتابة بالفصحى إلى العامية بل تسلل إلى ذلك بطريقة فيها كثير من المكر والمداورة وكانت دعوته إلى إدخال الكلمات الأجنبية (الأتومبيل والبسكلت والجاكته والبنطلون وغيرها) إلى اللغة العربية، وقال: إنها دخلت اللغة فعلاً وأننا لا نستطيع أن نضع لها ولا لغيرها من المسميات الجديدة أسماء جديدة.

وقال: الأسماء الجديدة ما لها لو أخذناها (زي ماهية)– باللهجة المصرية العامية – .

وقال: إن اللغة ملك للأمة وللكتاب الحرية في الزيادة عليها بأساليب جديدة وألفاظ جديدة، وأنه لا حرج على الكاتب أو المترجم أن يستعمل من الألفاظ ما شاء لما شاء من المعاني، ويقول: نريد أن لا نذر (اللغة العامية) أو لغة الشعب تموت بإبعاد عربيتها وفصيحها عن عالم الكتابة والعلم ونريد أن نرفع لغة العامة إلى الاستعمال الكتابي وننزل بالضروري من اللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب والتعامل، وقال: إن العامية وأسماها لغة، لها مشخصات ثابتة تحددها من جميع الجهات وتجعلها مميزة تميزًا تامًا ودعا إلى استعمال العامية في الكتابة .

و قال: إن كل الحروف تكون ساكنة ولا تتحرك إلا بحروف العلة .

هذه هي المؤامرة التي حمل لواءها لطفي السيد الذي اختير بعد ذلك رئيسا لمجمع اللغة العربية[(٢)] .

كان هذا أنموذجاً للحرب المباشرة التي تلقتها اللغة العربية من أتباع كرومر، وهناك طريقة أخرى كانت داعماً للأولى، وهي:

ب- نشر اللغة والثقافة الإنجليزية:

---

(١) جريدة الجريدة: جريدة مصرية سياسية اجتماعية وطنية، صدرت عام ١٩٠٧م، محررها أحمد لطفي السيد . قصة الصحافة العربية في مصر، ١٠٩-١١٢.

(٢) أعلام وأقزام، ١/ ١٢١ والتي بعدها، بتصرف يسير جداً .

ولم تكن هذه الخطوة بريئة بل هي حركة لإحلال لغة مكان لغة ولكن بطريق غير مُباشر، فعندما تنشر لغة ما وتصفها بلغة العلم وتمتدح من يتحدث بها وترتب لها أثراً في المفاضلات العلمية والوظيفية، أنت بذلك تقتل لغة أخرى وتجمد استعمالها وتعلمها وتقلل من أهميتها والغوص في أسرارها لقد "حاول كرومر تنفيذ تجربة الاستعمار البريطاني في الهند للقضاء على اللغة العربية بها، وذلك بنشر اللغة الإنجليزية حتى تكون لغة تخاطب، ففرض التدريس بها ..."[(١)].

لقد أدخلت اللغة الانجليزية إلى صفوف التعليم حتى الدُنيا منها وأُلزم الطلاب بها، وصُور للطلاب في المدارس وللناس في الإعلام المقروء والمسموع أن الحضارة والتطور والإنعتاق من ربقة التخلف لن يكون إلا بالتخلي عن كثير من المسلمات التي لم تكن تقبل الجدال في زمن مضى، وكانت اللغة العربية إحدى هذه المسلمات التي تُعد عقبة في وجه المستعمر لاستعباد الأمة المسلمة وجعلها تابعاً له ؛ حيث هي لغة القرآن الكريم و لسان التخاطب بين أطراف الأمة.

لقد قُدم معلم اللغة الإنجليزية أمام بقية المعلمين بمُرتبه ومكانته الاجتماعية، فكان يستطيع أن يلبس اللباس الأنيق أمام الطلاب والمجتمع، وقُدمت حصصه في أوقات نشاط الطلاب كغيره من معلمي العلوم الطبيعية والتي كانت غالباً ما تُدرس باللغة الانجليزية أيضاً، ونجد بالمقابل أن معلم اللغة العربية أقل مُرتباً وشأناً، بل وتُجعل حصصه في آخر اليوم الدراسي متى انقضت الرغبة لدى الطلاب في الحرص والانتباه، فجُعل هذا المعلم ومادته رمزاً للثِقل والتخلف بل حتى للتندر في أحيان كثيرة .

وأصبحت العامة كذلك تحاول أن تتلقف كلماتها لتُزين بها كلامها كي لا تُوصف بالتخلف والرجعية، كيف لا وقد صَور لهم دعاة سُوءٍ من بني جلدتهم بأن الحضارة مرتبطة بكل ما يحمله الغرب من مبادئ وقِيم ؟! .

(١) المرجع السابق،٢/٤١٥ والتي بعدها .

# الفصل الثاني

# مؤلفات اللورد كرومر في الدراسات الاستشراقية، وآثارها

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: مؤلفاته، ودراساته الاستشراقية.**

**المبحث الثاني: آثار مؤلفاته إجمالاً.**

# المبحث الأول
# مؤلفاته، ودراساته الاستشراقية

لقد كان اللورد كرومر من كبار دعاة التغريب والاستشراق، ومن أبرز من وضعوا المخطط التغريبي في العالم الإسلامي، مُنطلقاً من المجتمع المصري، وذلك في محاولة منه ومن دولته للقضاء على مقومات العالم الإسلامي، وطمس هُوية الأمة الإسلامية .

وحيث أن من التعاريف التي تعرضنا لها عند التعريف بالتغريب هو "تحويل المسلمين عن مقومات دينهم على مراحل، وخلق الشبهات المختلفة أمامهم في مختلف ميادين الفكر والاجتماع حتى يتخلصوا تخلصاً كاملاً من القيم الأساسية لشخصيتهم الإسلامية"(١) .

فقد بين اللورد كرومر ما تهدف إليه دول أوروبا عامةً وخاصة انجلترا من العالم الإسلامي آنذاك بقوله: "إن الشبان الذين يتلقون علومهم في انجلترا وأوربا يفقدون صلتهم الثقافية والروحية بوطنهم، ولا يستطيعون الانتماء في نفس الوقت إلى البلد الذي منحهم ثقافته، فيتأرجحون في الوسط ممزقين" (٢)، وهو ما سعى إليه فعلاً من خلال أعماله إبَّان حكمه لمصر، بل وما صرح به كثيراً في مؤلفاته ومقالاته وتقاريره، حيث دعت إلى تغريب المجتمع المصري في شتى مجالات الحياة، وسأعرض في هذا المبحث أهم مؤلفاته وكتاباته التي تؤكد في طياتها ما أشرنا إليه من أهدافه ومُخططاته وهي كالتالي:

- **كتاب "مصر الحديثة":**

يُعتبر كتاب كرومر (مصر الحديثة) خطة كاملة وشاملة للقضاء على مقومات المجتمع الإسلامي، وتمزيق وحدة العالم الإسلامي، وتغريب القيم والمفاهيم الإسلامية .

فقد "وصف فيه أحوال مصر من جميع نواحيها في عهدها الحديث، والذي عاصره هو، موضحًا نواحي الضعف وأسبابه، مدعيًا أن منها الجهل والتعصب الديني، وذلك لضرب

(١) الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، أنور الجندي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٣٦ .

(٢) من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، كمال الدين عبد الغني المرسي، دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢٠٣ والتي بعدها .

الوحدة الوطنية، ومبرزًا حاجة مصر إلى وجود أوروبي يصلح من شأنها، وأن أولى الدول الأوروبية بهذا هي إنجلترا " (١).

وقد تبلورت هذه الحملة التي وضعها لتغريب الفكر الإسلامي في هذا الكتاب في عدة نقاط مهمة، ويمكننا أن نستنبطها من الكتاب كالتالي:

١. تعمد في هذا الكتاب إثارة الشبهات حول الإسلام، وذلك بالادعاء بأنه دين مناف للمدنية، ولم يكن صالحًا إلا للبيئة والزمان الذين وجد فيهما.
٢. زعم أن المسلمين لا يمكنهم أن يرقوا في سلم الحضارة والتمدن إلا بعد أن يتركوا دينهم، وينبذوا القرآن وأوامره ظهريًّا؛ لأنه يأمرهم بالخمول والتعصب، ويبث فيهم روح البغض لمن يخالفهم والشقاق وحب الانتقام، وأن المانع الأعظم والعقبة في سبيل رقي الأمة هو: القرآن والإسلام .
٣. زعم أن الإسلام يناقض مدنية هذا العصر من حيث المرأة والرقيق، وأن الإسلام يجعل المرأة في مركز منحط .
٤. عمل في كتابه على الطعن في شريعة الإسلام وسياسته ومعاملاته .
٥. كان يُنظر في كتابه أن المسلم أثناء ممارسته التعليم الأوربي يفقد إسلامه، وأن الشبان الذين يتعلمون في أوروبا يفقدون صلتهم الثقافية والروحية بوطنهم، ولا يستطيعون الالتجاء في نفس الوقت لثقافة أوروبا، فيتأرجحون في الوسط، ويتحولون إلى مسخ لا إلى المسلمين ولا إلى النصارى .
٦. هاجم القرآن وقال إنه ينافي العمران، وهاجم الإسلام لأنه أباح الطلاق وأنه حرم الربا والخمر .
٧. دعا في كتابه إلى إطلاق الحرية للإرساليات والمنصرين في مصر والسودان، وأن ينشئوا مدارسهم .
٨. دعا إلى خلق طبقة من المتفرنجين المستغربين من الوجهة الأوربية والمدنية الحديثة، حيث ضرب مثلاً لهم بأتباع محمد عبده، وأكد أنهم سيكونون حلفاء أوربا

---

(١). الثورة العرابية، اللورد كرومر، ترجمة عبدالعزيز عرابي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٧.

الحقيقيين .

كانت هذه هي أهم الأمور التي حاول اللورد كرومر العمل على تحقيقها من خلال كتابه "مصر الحديثة"، وهذه الأمور هي أساس خطة التغريب في مصر، فهذا الكتاب من أهم المؤلفات التي هاجم فيها الإسلام ودعا فيها إلى التغريب.

وعندما صدر كتاب (مصر الحديثة) في ١٩٠٨م نشرت جريدة "اللواء"(١) و"المؤيد"(٢) ردودًا تفصيلية على ما جاء في هذا الكتاب من افتراءات على الإسلام الحنيف، وتاريخ المسلمين العظيم، ومما جاء فيها رد المؤيد: "لم يكن اللورد كرومر من رجال العلم والفلسفة، ولا من رجال التأليف، إنما كان جنديًّا يؤمن بمجد الإمبراطورية، تعوَّد بحكم وظيفته أن يكتب، ونظرته استعمارية تنبع من وجهة نظر سيطرة بريطانيا، وهي قائمة على كراهية الشرق والعرب والمسلمين واحتقارهم والإيمان بأن الرجل الأبيض له حق تمدينهم"(٣).

يقول صاحب كتاب "مصر في ثلثي قرن" عن كتاب "مصر الحديثة": يجري قلم السياسة في كتابة التاريخ أحيانًا، ولكن للسياسة قلمًا غير القلم الذي يكتب الحقائق الصريحة، ويمحص مسائل التاريخ، فمثل القلم الذي حملته لا يكون مقبول الشهادة أمام " مصر الحديثة "الذي كُتب بيدُ اللورد كرومر؛ لأنه مغموس في مداد السياسة، وقد لا يجد الكاتب السياسي غضاضة إذا حمل هذا القلم وهاجم به الحقائق، بل قد لا يجد عيبًا في ذلك وإن حمله بيدٍ ترعشها الشيخوخة كيَدِ اللورد كرومر يوم أَمْلَتْ عليه أضغانه السياسية ذلك الكتاب .

وليس كثيرًا في لغة السياسة أن يقعد الرجل إلى مسألة يبحثها وهو يعرف الحق في أمرها، ولا عجيبًا في أخلاق السياسة أن يجلس صاحبها جلسة ربما كانت طويلة، ليستخرج العلل والأسباب كما يهوى لا كما تهوى الحقيقة .

هكذا كان اللورد كرومر في كتابه، فقد جلس يبحث أسباب احتلال الإنكليز مصر،

---

(١) جريدة اللواء: جريدة مصرية سياسية وطنية اجتماعية، صدرت عام ١٩٠٠م، صاحبها هو مصطفى كامل . قصة الصحافة العربية في مصر، ١٠٥-١٠٧ .

(٢) جريدة المؤيد: جريدة مصرية سياسية اجتماعية، صدرت عام ١٨٨٩م، صاحبها هو علي يوسف . قصة الصحافة العربية في مصر، ١٠١-١٠٣ .

(٣) جريدة المؤيد نقلاً عن أعلام وأقزام، ٢/ ٤١٦ والتي بعدها.

وجعل يحاول إقناع الناس بأن الاحتلال كان خطئًا جسيمًا على إنكلترا تحملته بشمم وشرف وإباء، لا لشيء إلا أن تنقذ مصر وتسعدها ! فكانت في ذلك كالأب الرحيم، يتعب ليريح أبناءه .

ولم يقنع الرجل بهذا التضليل فجعل مسألة الاحتلال تبعة كانت محل النظر بين المحافظين والأحرار، وكان كل فريق يلقيها على الآخر ويترفع عن أن تنسب إليه، ثم وقف موقف الحكم بين الخصمين فقال في الفصل التاسع من كتابه: "وسيظهر من الفصول القادمة من هذا الكتاب أن جُلَّ التبعة في وقوع الاحتلال راجع إلى ما فعلت حكومة المستر غلادستون[١]..."[٢].

هذه كانت نُبذه عن كتاب مصر الحديثة لكرومر، الذي ظهرت فيه تلك الشُبه، وذلك التجني والتضليل المتعمدين من اللورد كرومر .

- **كتاب "الثورة العرابية":**

هذا الكتاب ترجمه إلى العربية ابن زعيم الثورة العرابية الذي عايش مع أبيه بعض فصولها، وأحس الباقي في مشاعر أبيه، وقرأها في أحاديثه، وذاق مرارتها ضمن ما ذاقه في بيته وبين أخوته في مصر أو في المنفى، وقد نشر مؤخرًا في الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٩٩م[٣] .

وهذا الكتاب يُعدُّ فصلًا من كتابه "مصر الحديثة" اختص به الثورة العرابية، وهو على صغره يعتبر وثيقة هامة تؤرخ لتلك الثورة؛ وذلك لأن مؤلفه أول ممثل لسلطة الاحتلال البريطاني في مصر، ومن ثم فهي رؤية شاهد عيان لأحداث الثورة، وقد حرص في كتابه على تدوين الكثير من أحداث الثورة بدقة شديدة .

كما أنه سجل في هذا الكتاب الكثير من الوثائق المتعلقة بالثورة، وجميع المفاوضات

---

(١) وليام غلادستون، رئيس وزراء بريطاني، تولى رئاسة الوزراء أربعة مرات، غزة بريطانيا مصر في أثناء وزارته الثانية، ولد عام ١٨٠٩م وتوفي عام ١٨٩٨م، معجم أعلام المورد، ص ٣٠١ .

(٢) مصر في ثلثي قرن بين الماضي والحاضر، محمد مصطفى الهيهاوي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ص١٨ والتي بعدها .

(٣) انظر: الثورة العرابية، ص٧.

السرية وغير السرية الخاصة بها .

ومن موضوعات الكتاب التي ناقشها كرومر ما يأتي:

١. ولاية الخديوي توفيق[١] للعرش.
٢. المراقبة الثنائية.
٣. عصيان الجيش.
٤. وزارة شريف باشا[٢].
٥. المذكرة الثنائية.
٦. نتائج المذكرة الثنائية.
٧. وزارة عرابي[٣].
٨. ضرب الإسكندرية.
٩. معركة التل الكبير.

- **تقارير اللورد كرومر السنوية عن مصر:**

وكما عمل اللورد كرومر على تنفيذ خطته لتغريب المجتمع والفكر المصري في كتابه "مصر الحديثة" عمل أيضًا على تنفيذ هذه الخطة من خلال التقارير التي كان يكتبها عن مصر والسودان كل عام، وربما كان تقريره السنوي عن مصر والسودان عام ١٩٠٦مواضحًا كل

(١) محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، وهو الابن الأكبر للخديوي إسماعيل من مستولدته نور هانم شفق التي لم تكن ضمن زوجاته الأربع، وربما يكون ذلك سبب عدم إرساله مع باقي أبنائه للدراسة في أوروبا، كما يفسر ذلك العلاقة السيئة بينه وبين أبيه، والتي تجلت بعد عزل إسماعيل في نأيه عنه وإقصاء كل رجاله، وقد شهد عهده الثورة العرابية، ثم الاحتلال البريطاني الذي حظي بتأييده، وهو سادس حكام مصر من الأسرة العلوية، توفي عام ١٨٩٢م، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، جورجي زيدان، كلمات عربية للترجمة والنشر، ٦١/١ .

(٢) محمد شريف باشا سياسي مصري بارز ومن أصول شركسية، ولد محمد شريف باشا عام ١٨٢٣م، أوفد في بعثة إلى فرنسا، تولى رئاسة الوزراء في مصر أربعة مرات، توفي محمد شريف باشا في النمسا في إبريل من العام ١٨٨٧م، تراجم مشاهير الشرق، ٢٥٩/١ .

(٣) أحمد الحسيني عرابي ١٨٤١م، قائد عسكري وزعيم مصري، قاد الثورة العرابية ضد الخديوي توفيق، وصل إلي منصب ناظر الجهادية (وزارة الدفاع حاليا)، وكان أميرلاي (عميد)، توفي عام ١٩١١م، تراجم مشاهير الشرق، ٢٧٥/١.

الوضوح على ذلك، فيقول عن الجامعة الإسلامية في هذا التقرير:

"المقصود من الجامعة الإسلامية بوجه الإجمال اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدي قوات الدول المسيحية ومقاومتها، فإذا نظر إليها من هذا الوجه وجب على كل الأمم الأوروبية التي لها مصالح سياسية في الشرق أن تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة؛ لأنها يمكن أن تؤدي إلى حوادث متفرقة، فتضرم فيها نيران التعصب الديني في جهات مختلفة من العالم..."(١).

ثم ذكر أن للجامعة الإسلامية معاني أخرى أهم من المعنى الأصلي وهي:

(أولها) الخضوع للإسلام في مصر، وترويج مقاصده .

(وثانيها) استلزامها لتهييج الأحقاد الجنسية، والدينية إلا فيما ندر.

(وثالثها) السعي في إصلاح أمر الإسلام على النهج الإسلامي الصحيح، وبعبارة أخرى السعي في القرن العشرين لإعادة مبادئ وضعت منذ ألف سنة .

وذكر أن عيب هذه المبادئ والسنن والشرائع هو المناقضة لآراء أهل هذا العصر في علاقة الرجال بالنساء، وأمر آخر قال: إنه أهم من ذلك كله وهو إفراغ القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تغييرًا ولا تحويراً، وقال: وهذا ما أوقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الإسلام ...(٢).

ومن هذا يتضح أن كرومر في هذه التقارير، سجل الخطوط العامة لتهديم كل عوامل الإيمان والاعتزاز بالإسلام .. وكان أوّل من ساق أكذوبة إن المصريين كانوا خاضعين أكثرَ زمانهم .. فقد حكمتهم دولة الفرس فاليونان فالرومان فعرب جزيرة العرب، وبغداد، فالجراكسة، فالترك .

وربما كان هذا التقرير من أهم الوثائق التي أبرزت بوضوح ما كان يرمي إليه كرومر من العمل الدائم على تغريب المجتمع والفكر المصري، وهذا التقرير ترجم في إدارة المقطم ، وطبع في مطبعته عام ١٩٠٧م، وقد قسم هذا إلى سبعة وعشرين بابًا، ثم ملاحق أخرى لمعاونيه في إدارة مصر، منها:

---

(١) تقرير اللورد كرومر لحكومة بلاده عام ١٩٠٦م، نقلاً عن موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، دار الأنصار، ط عام ١٩٨٣م، ٨٣/٥ .

(٢) انظر:الخلافة، محمد رشيد رضا، الزهراء للإعلام العربي القاهرة، ص١٣٠ والتي بعدها .

الباب الأول: في فصول عامة.

الباب الثاني: في الأمور الاقتصادية.

الباب الثالث: في المالية.

الباب الرابع: في الري.

الباب الخامس: في المواصلات.

الباب السادس: في الأعمال العمومية.

الباب السابع: في الإدارة.

الباب الثامن: في الصحة العمومية.

الباب التاسع: في الحقانية.

الباب العاشر: في التعليم.

الباب الحادي عشر: في العلوم والفنون.

الباب الثاني عشر: في الخاتمة.

ثم جاء تقريره عن السودان في خمسة عشر باباً أيضاً .

وقد ظهر منهج التغريب واضحاً في هذا التقرير في الباب العاشر الذي يتناول التعليم في مصر؛ ومن المعلوم أن للتعليم دورًا كبيراً في تغريب الشباب خاصة، وهم المقصودون من هذا المنهج، كما سيأتي بيانه في فصل مُستقل بإذن الله تعالى .

و مما يؤيد خطة التغريب التي حرص عليها كرومر طوال مدة عمله في مصر، وظهرت واضحة جلية في تقاريره ما وجدته في مجلة "التوفيق" من مقال نشرته تحت عنوان: "الأقباط في عهد الاحتلال" يقول:

جاء في العدد الصادر أول أمس من المجلة الغراء مقالة افتتاحية ضافية تحت عنوان "اللورد كرومر والأقباط"، وفيها من الحقائق والنصائح ما يجدر نشره على الجمهور، فرأينا أن نبسطها هنا للقراء لعلها تكون عبرة لمن يفقهون على أن نعود فنبدي عليها ما يعن لنا من الملاحظات.

ثم ذكرت المجلة نص تقرير كرومر عن الآثار المصرية، ثم عقبت عليه وقالت: حث اللورد كرومر في تقريره الأخير أغنياء الأقباط ليبسطوا يد السخاء، ويجمعوا ما يقوم بإصلاح الآثار القبطية المندرسة، وهو أمر خطير يحسن بهم أن شعروا بوجوبه لما يترتب عليه من إحياء معالم

السالفين، وإيجاد حيثية لهم محترمة لدى العالمين[١].

و هذا الكلام الصادر من اللورد في تقريره يعمل على تغريب المجتمع من ناحية أخرى؛ حيث العمل على نشر كل ما هو نصراني في مصر، من خلال إظهار آثارهم، وهذا فيه محو للديانة الإسلامية في مصر وإحلال النصرانية محلها .

- **كتاباته في جريدتي "المقطم"[٢] و"الجريدة":**

لقد كان كرومر ممن يكتب مقالات في الصحافة المصرية، وذلك من خلال جريدتين تحملان رأيه هما "المقطم" و"الجريدة"، وتنشران كلامه، بل وتؤيدانه في أحيان كثيرة، وكانت دعوته فيهما بشكل أساسي إلى:

١. الإقليمية، بحيث أن مصر للمصريين، فنحن لسنا عربًا وليس لنا بالمسلمين أي روابط، ولا يجوز لنا أن نشارك في معارك طرابلس التي وقعت مع إيطاليا في سبيل مقاومة الاستعمار، حيث عمد إلى تفكيك الرابطة الحقيقية التي تجمع بين أطراف العالم الإسلامي وهي رابطة الدين .

٢. محاربة الإسلام ذاته، حيث صوره على أنه هو الدولة العثمانية بأخطائها – التي كان سببها تكالب الكفار عليها من يهود ونصارى في آخر عهدها –، وباعتبار أن الكيان القائم في الدولة العثمانية بكل ما فيه هو الإسلام ذاته؛ وما كان ذلك إلا لإسقاط السلطة الدينية والدنيوية للخلافة الإسلامية – التي كانت عاصمتها في ما يُسمى تُركيا اليوم – من نفوس الناس في مصر، بل وأيد خصومها، وفتح لهم أبواب مصر، وأتاح لهم أن يحملوا على الخلافة والإسلام معاً .

٣. التعليم لا يكون إلا لطبقة معينة من الأمة، هي الطبقة الثرية التي تتأهل لولاية الحكم، وأبناء الفقراء لا يجوز أن يتعلموا إلا فك الخط، أو ما يُؤهلهم فقط لوظائف بسيطة جداً، كما سيأتي بيان ذلك في الفصل الذي نتحدث فيه عن التعليم .

٤. اللغة العربية الفصحى هي مصدر التخلف، ولذلك لابد من تحسين اللغة العامية

---

(١) انظر: مجلة التوفيق، تصدرها جمعية التوفيق القبطية المركزية بالقاهرة، السنة التاسعة، ص٣٢٩.

(٢) جريدة المقطم: جريدة مصرية سياسية تجارية يومية، دعمها كرومر بالمال والأخبار والإعلانات التي تكفل رواجها، صدرت عام ١٨٨٨م .

حتى تصبح لغة الكلام والكتابة، وهذا الأمر من أخطر الأمور في محاولة التغريب التي عمل عليها .

٥. نشر شُبهة أن الإنجليز يعملون لتمديننا وحمايتنا، وليس لهم أهداف أو مطامع أخرى تجعلنا ننفر منهم ونحذرهم.

٦. نشر ثقافة الوطنية، وأنه لا ينبغي التعلق بأوهام الرابطة أو الوحدة الإسلامية، بل إن الرابطة الأساسية هي التي تقوم فقط على أساس المصالح أولاً وقبل كل شيء .

لقد كان لمؤلفات كرومر ومقالاته ونتاجه الفكري المتعدد أمور رئيسة يرتكز عليها، وتتلخص في عدة أمور أساسية هي:

١- الحملة على الرابطة التي تجمع العالم الإسلامي .

٢- الحملة على الإسلام .

٣- توقيع اتفاق ودي مع فرنسا حتى لا تُضرب فرنسا ببريطانيا .

٤- نشر اللغة الإنجليزية ومحاربة اللغة العربية .

٥- تجهيل أغلب المجتمع وتجفيف منابع الإسلام من حوله .

٦- خلق روح الإقليمية ونبذ الروح الإسلامية.

إن المتابع والمفتش عن آثار كرومر في المجتمع المصري يجد بأنه كانت لمؤلفاته ومقالاته أثر كبير داخل المجتمع المصري، وكان لها حِراك بين مُثقفي المجتمع خاصة وبين عوامها عامة ما بين مُؤيد ومُعارض، مما يدل على أن كرومر نجح في نشر أفكاره المسمومة بين أفراد المجتمع المصري، والتي كانت نتيجتها الطبيعية هي ازدراء الفكر والتراث والحضارة الإسلامية، والتشكيك في صلاحية قِيم ومقومات الإسلام لبناء أمة قوية .

# المبحث الثاني
# آثار مؤلفاته إجمالاً

تعرضت في المبحث السابق إلى ذكر مؤلفات اللورد كرومر، وتبين لي بأنه قد حرص فيها على أفكار وشُبهات كثيرة أراد نشرها بين المسلمين في مصر؛ لهدف تغريب ذلك المجتمع الإسلامي الذي يُعد من المجتمعات الإسلامية المهمة والمؤثرة في شتى المجتمعات الإسلامية الأخرى، وحيث ذكرنا أن مؤلفاته ومقالاته لقيت قبولاً في شريحة من المجتمع آنذاك مما أدى إلى حِراك داخل أوساط العلماء والمثقفين بين مؤيد ومُعارض، فكان لابد وأن شريحة ثالثة وقعت فريسة للتذبذب حول تلك الأفكار والشُبهات، خاصة ممن هم من عوام الناس وسطحيي العلم والثقافة والتفكير ؛لذلك رأيت إفراد هذا المبحث لبيان آثار مؤلفات هذا المستشرق الانجليزي إجمالاً، وهي كالتالي:

١- ظهر في عهد كرومر خطاب جديد وأسلوب غير مألوف في نقد الدين الإسلامي، وهو الأسلوب الاستشراقي الذي يقوم على دراسة العلم بغرض الدس فيه، وتشكيك أهله به، ولذلك انتهج نهج كرومر هذا عدد غير قليل من بني المسلمين، الذي أصبحوا حرباً على أمتهم بمؤلفاتهم ومقالاتهم لصالح أمم أخرى .

٢- إثارة الشكوك حول الإسلام الذي يدين به أغلب المجتمع المصري، وذلك بترويجه لأفكار وشُبهات لم تُعرف قبل ذلك المستشرق الانجليزي، منها أن الإسلام جاء لإصلاح جيل بسيط في قرون مضت قد عفى عليها الزمن، ولم يعد يصلح لمثل هذه الأزمنة (١)، وهذه الفكرة وإن قيل بأنها فكرة قديمة إلا أن كرومر هو باعثها وناشرها، وهو من حرص على إذكائها بين العوام بالتأليف وغيره، وكثيراً ما تُنسب الأفكار لناشريها والقائمين عليها .

٣- قتل الروح الإسلامية في المجتمع المصري المسلم، إلا بقية ممن من الله عليهم بالثبات والدفاع عن حياض الدين وهوية الأمة (٢).

---

(١) انظر: أعلام وأقزام، ٤١١/٢ وما بعدها .

(٢) انظر: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص٧٠ .

٤- تفكيك الرابطة الرئيسة التي كانت تربط المجتمع المصري المسلم مع غيره من المجتمعات الإسلامية الأخرى وإحلال الروابط الفاسدة محلها، حيث روج كرومر للأفكار القومية، والمبادئ المادية على أنها هي الروابط الحقيقية بين المجتمعات والأمم (١).

٥- نجح في خلق جو من النفور لدى المجتمع المصري من كل مظهر إسلامي، وكان ذلك نتيجة لترويجه لأفكار التمدن والحضارة المزعومة (٢).

٦- أغرى بمؤلفاته وكتاباته التي كان ينتهج فيها أسلوب المرواغة ودس السم في العسل شريحة عريضة من سطحيي الثقافة (٣)، وممن كان في قلبه هوى، حتى تشربت تلك الفئات أفكاره واستماتت في ذلك الحين وفيما بعد دفاعاً عنه وعنها ودعوة إليها .

٧- نجح في احتواء بعض الشخصيات المؤثرة بل وذات التوجهات الشرعية (٤) –كما يبدو للناس في ذلك الحين –، وجعلها تسير في ركابه، بل ويستشيرها في كتاباته ووسائل تغييره للمجتمع المصري، حتى أن بعضهم لا تُفرق في مؤلفاته بين أفكاره وأفكار كرومر إلا في مواطن قليلة (٥).

٨- نجح في إقناع فئة كبيرة من المجتمع المصري بأفكار التحرر بشتى أنواعه، وإغراء أهل الشهوات والشُبهات بالحرية الغربية المزعومة .

٩- نجح في إظهار الأحكام الشرعية الإسلامية بصورة مُقززه خاصة فيما يتعلق بأحكام المرأة والرقيق والخمر والربا والعبادات، حيث قارن بين النصرانية والإسلام مُقارنة غير مُتجرده للحق (٦).

---

(١) انظر: أعلام وأقزام، ٢/٤١٤ وما بعدها .

(٢) انظر: كتابات جورجي زيدان دراسة تحليلية في ضوء الإسلام، محمود الصاوي، دار الهداية، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ص٣٤٤ .

(٣) من أمثال أحمد لطفي السيد، ممن سُمي زوراً أستاذ الجيل .

(٤) من أمثال محمد عبده، وتلميذه سعد زغلول، وكذلك قاسم أمين، وغيرهم .

(٥) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، محمد رشيد رضا ٢/٥٣٦ وما بعدها، وانظر: الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي، ص ٢٢٤ .

(٦) انظر: المسيحية والإسلام على أرض مصر، وليم سليمان قلادة، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، ط١، =

١٠- استطاع خلق طبقة من المتفرنجين المستغربين، حيث كان يُنظر في كتاباته على أنهم سيكونون حلفاء أوربا الحقيقيين [١].

١١- استطاع كذلك تمييع قضية الولاء والبراء بين المسلمين وغيرهم من النصارى سواء القادمين من خارج مصر أو الأقباط داخل مصر .

١٢- استطاع التقليل من حساسية المسلم المصري تجاه المنصرين الغربيين، الذين كانوا في زمن الاحتلال الفرنسي يلقون كل صنوف الإبعاد والتضييق حتى من الفلاحين[٢].

١٣- ظهرت في عهده أفكار التحزب والمشاركة في الحياة السياسية على النمط والمنهج الغربي، حيث صور لهم بأن المشاركة السياسية حق لكل فرد في المجتمع، وأن هذه المشاركة من كل أطياف المجتمع من أسباب تطور الغرب [٣].

١٤- استطاع نزع الحماسة الإسلامية من المجتمع المصري تجاه قضية الخلافة الإسلامية والانتماء للدولة العثمانية التي كانت مصر آن ذاك جزءاً من هذه الدولة [٤].

١٥- نجح في ربط المجتمع المصري بالغرب سواءً اقتصادياً أو فكرياً [٥].

١٦- نجح في نشر ثقافة علو اللغة الانجليزية، حتى أصبح من لا يتحدث بها في المجتمع، أو على الأقل يملك ولو كلمات منها مُتخلفاً [٦].

=

١٩٨٦م، ص٢٩٢ .

(١) انظر: أعلام وأقزام، ٤١١/٢ وما بعدها .

(٢) انظر: التبشير والإرساليات التبشيرية، وهو كتاب ممنوع إخراجه من التحف البريطاني، نقلاً عن واقعنا المعاصر، محمد قطب ص ٢١٦ .

(٣) انظر: أعلام وأقزام، ١١٧/١ إلى ١٢١/١ وانظر: نفس المرجع ١/ ١٣٤ .

(٤) انظر: المرجع السابق ٤١٥/٢ وما بعدها .

(٥) انظر: مصر الحديثه، ١٣٢/١ وما بعدها، وانظر: أعلام وأقزام، ٤٣١/٢ .

(٦) انظر: أعلام وأقزام، ٤١٥/٢ وما بعدها .

# الفصل الثالث

# شبهات اللورد كرومر التغريبية
# في العقيدة، وآثاره

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: شبهاته في العقيدة ونقضها**

**المبحث الثاني: آثاره التغريبية في العقيدة**

# المبحث الأول
# شبهات اللورد كرومر في العقيدة ونقضها

إن اللورد كرومر ليس كغيره من النصارى ممن يعتقدون بأن الإسلام دين موضوع، ابتدعه رجل عربي بدوي أمي، لم يقرأ في حياته صحيفة، ولا تعلم في مدرسة، ولا سمع حكمة اليونان، ولا رأى مدن الرومان، ولا تلقى شيئًا من علوم الأمم، بل كان كرومر مستشرقاً تخرج من مدرسة لاهوتية، درس الإسلام وشرائعه وعرف أنه حق، لكنه لم يستنر بنوره ولم يهتد بهداه، مثله كمثل كثير من المستشرقين الذين تعلموا علوم المسلمين لا لأخذ الحكمة والحق منها وإنما تعلموها لدس الدسائس في طياتها، وإفسادها على أهلها، فإذا كان هذا حاله وحال أمثاله فماذا ننتظر من كلامه عن عقائد الدين الإسلامي الذي يُعري ديانتهم المحرفة ؟!

أما ما نقرؤه أو نسمعه أحياناً لقلة قليلة من مُستشرقي الغرب النصارى من وصف للدين الإسلامي بصفات جميلة، أو مدح لآرائه وأحكامه، أو ثناء على نبيه ﷺ، فما هي إلا حقائق ثابتة معروفة قبل أن يعترفوا بها، وهم يُشكرون من جهة أنهم أدوا للتاريخ حق الأمانة والصدق فيما كتبوا فحسب، حيث لم يعبث بهم التعصب الديني، ولا تمشت الروح النصرانية في أقلامهم، ولا ريب في أن اللورد كرومر ليس واحداً منهم كما ذكرنا سابقاً، فإن من قرأ كتابه "مصر الحديثة" تخيل أنه يسمع صوت راهب في صومعته(١)، قد لبس قلنسوته(٢) ومسوحه(٣)، وعلق صليبه في زناره(٤) .

فهل يحق بعد ذلك لأحد من المسلمين أن يندهش أو يذهب به العجب كل مذهب إذا رأى في كتاب اللورد كرومر ما يراه كل يوم في كتب المبشرين (٥) الإنجيليين وجرائدهم ومجلاتهم

---

(١) الصومعة: مادة (صمع)، وجمعها صوامع: الكلمة أصيلة العروبة بمعنى البرج العالي، لكن اقتبست من الحبشية ومعناها: سكن الراهب . القاموس المحيط، ص ٥٤ .

(٢) قلنسوة: لِباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال . انظر : لسان العرب ، ١٨١/٦ .

(٣) المسوح من المسح وهو ثوب من الشعر، يلبسه من يُريد التقشف . المعجم الوسيط، ص ٨٦٨.

(٤) زنار: هو رباط كالحزام يشده الذمي على وسطه . انظر : لسان العرب ، ٣٣٠/٤ .

(٥) لفظة ( مُبشر ) في وجهة نظري – غير صحيحة؛ لأن فيها قلباً للحقائق، وإطلاقها على من يدعو الناس إلى دين مُحرف باطل فيه تضليل للناس وغش؛ حيث هم قصدوا البشارة بمعنى الإخبار بالخبر السار، وهؤلاء أبعد ما يكونون =

من الطعن على الإسلام وعقائده وشرائعه[(١)].

لقد كان لكرومر مطاعن كثيرة وشبهات خطيرة في الدين الإسلامي، والتي نشرها في مؤلفاته وكتاباته إبّان مدة حُكمه لمصر، وعند معرفتنا لذلك يمكننا تقسيم طعونه وشبهاته حول الإسلام إلى قسمين:

١- شبهات في العقيدة الإسلامية .

٢- شبهات في الأحكام الشرعية الإسلامية .

وفي هذا الفصل سأتعرض لأهم طعونه وشبهاته في العقيدة الإسلامية، مستدلاً على ذلك بما نُقل عنه من مؤلفاته وكتاباته أو ما نُقل عنه في المجلات التي كانت تنشر له آنذاك، وهي كما يلي:

**١- الإسلام دين خالٍ من التسامح:**

لقد كان من مزاعم اللورد كرومر التي غصت بها كتبه ومقالاته هو أن الإسلام دين خالٍ من التسامح، وهي تهمة مُطلقة يتعلق بها كل حاقد وكل جاهل بحقيقة دين الإسلام، ولا بُدَّ من تحديد وإيضاح لهذه التُّهْمَة العامّة المطلقة .

لقد شهر النبي ﷺالسيف على الكافرين، بعد أن استنفذ كل السُبل الممكنة التي من شأنها ردهم إلى فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وهي الاستسلام لله بالعبودية الخالصة، ولما أبوا واستكبروا واستعبدوا الناس ولم يُخَلوا بينهم وبين دين الله وفطرته أتى أمر الله تعالى في ردهم إلى الطريق وقسرهم للعبودية قسراً، حيث شهد كثير من الغربيين للإسلام بقولهم أنها لم تشهد الإنسانية ديناً كدين الإسلام الذي يُعطي كُل ذي حقٍ حقه، دين الإسلام الذي أمر بحفظ حق الحيوان بل والحشرات ونهى عن أذية غير المؤذي منها فكيف ببشر كرمهم الله تعالى وحملهم في البر والبحر ؟!

لقد نقم كرومر وغيره على الإسلام الاسترقاق ونسي أو تناسى استعبادهم لأمم بأكملها لم يكن أفرادها في يوم عبيداً لأحد، زد على ذلك أن الإسلام لم يسترق أحداً إلا من أبت

=

عنه، والصحيح أن يُسموا بالمنصرين، حيث هم يقومون بدعوة الناس إلى دين النصرانية المحرفة .

(١) انظر: النظرات، مصطفى لطفي المَنْفَلُوطي، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، ص ٢١٣ – ٢١٤ بتصرف كبير .

نفسه الانقياد لله بالطاعة فكان لزاماً على المسلمين حملهم على ذلك بجعلهم تحت أيديهم والإحسان إليهم، بل ونهى عن ظلمهم والتعدي عليهم بغير حق، ولم يكن ذلك الاسترقاق شهوة كما هي حال النصارى وأمثالهم من الأمم التي لم تعرف يوماً معنى العدل والحق الإنساني في الشعور بإنسانيته، ولذلك لم يشهد تاريخ الإسلام شيئاً مما شهده تاريخ دواوين التفتيش النصراني .

ومما كان يردده كرومر عن الإسلام تأييداً لشُبهته كما ذكره صاحب مجلة المنار(١) قوله: ومع ذلك نرى الإسلام يميل إلى بَثّ رُوح عدم التساهل، وإنماء الحقد والاحتقار لا للمشركين فقط، بل يشرك معهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون: إن محمدًا هو رسول الله ﷺ(٢).

وكان يصنف الإسلام ؛حيث قال: "إن المسلم منذ قرونٍ كثيرة ما برح يؤمر أن ينتقم لنفسه مِن أعدائه، وأن يضرب من يضربه عينًا بعين، وسِنًّا بِسِنّ، وعليه تجد أن الإسلام يختلف عن النصرانية في أنه يغرس في العقول أن الانتقام والكره يجب أن يكونا أساسًا للعلاقات بين الرجل والآخر بدلا من المحبة والإحسان" (٣) .

ثم يستدل على قوله: إن الإسلام يحدث بغضًا خاصًّا للذين لا يقبلون الدين الإسلامي بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾(٤).

ثم يقول: "نعم، إن محمداً إنما أشار في طعنه على الكافرين بوجه خاصٍّ إلى الوثنيين الذين أقاموا في زمنه في شبه جزيرة العرب، ولكن الذين فسروا القرآن بعد ذلك جعلوا تلك

---

(١) مجلة المنار: مجلة تُعنى بالإصلاح الديني والاجتماعي للأمة، وبيان أن الإسلام يتفق مع العقل والعلم ومصالح البشر، وتُعنى كذلك بإبطال الشبهات الواردة على الإسلام، وتفنيد ما يُعزى إليه من الخرافات والأكاذيب والتُهم الباطلة، صدر العدد الأول منها في ( ٢٢ من شوال ١٣١٥ هـ، من مارس ١٨٩٨م )، صاحب المجلة وكاتب معظم مواضيعها هو محمد رشيد رضا . انظر: الصحافة الإسلامية في مصر القرن التاسع عشر، ص ٨٧-٩٩ .

(٢) انظر: مجلة المنار، المجلد ١١، جمادى الأولى، ١٣٢٦هـ - يونيو ١٩٠٨م، ٣٥٤/٥ .

(٣) المرجع السابق، ٣٥٤/٥ .

(٤) سورة محمد، آية ٤.

المطاعن موجهة إلى المسيحيين واليهود، وهذا الذي يفهمه الآن جمٌّ غَفِير من المسلمين، أليست كلمة الغازي – وهي أسمى لقب يطمع بإحرازه أي ضابط في جيش السلطان – معناها: مَن يحارب في سبيل الإسلام، والبطل الشجاع الذي يذبح كافرا ؟ ألا نجد أن كل عالم ألقى الخُطْبَة في الجامع يستنزل غضب الله على رؤوس غير المؤمنين بصراحة واضحة في كل زمان، وبصراحة تزداد كثيراً عند وجود ظروف تضرم شعلة التعصب ؟ ألا يجب أن تعتبر كل بلاد غير إسلامية (دار حرب) ؟ فَمَتَى علمنا أن مثل هذه المبادئ ما برحت تغرس في أذهان المسلمين كل القرون الماضية لا نجد باعثًا على الدهشة من نمو رُوح عدم التساهل فيهم"(١).

وكلام كرومر فيه كثير من الكذب وتبديل الحقائق، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي أعطى الإنسانية حقها من عرب وعجم ومن مسلمين ويهود ونصارى، ولم يكن الإسلام يوماً ديناً متعصباً يبحث عن دماء الخلق، والتاريخ يشهد على ذلك، فلم يكن الإسلام يغزو بلداً حتى يقدم لهم ثلاثاً إما الإسلام وإما الجزية وإما القتال، وإن تنزلنا لكرومر في قوله عن الإسلام فإنا نقول: إن الإسلام لم يبلغ ولو جزءاً بسيطاً مما كان يفعله النصارى في حروبهم واستيلائهم على المدن بل إنه لا يُذكر عند ما سُمي في ذلك الحين بمحاكم التفتيش التي رتبها النصارى لمسلمي الأندلس (٢) بعد سقوطها في أيديهم، فكيف لو كان الإسلام أجل وأعلى وأرفع من أن يفعل شيئاً مما فعل أولئك الهمج بل وقد شهد على ذلك بعض المنصفين من بني ديانته .

إن سماحة الإسلام والحديث عنه لا يؤخذ من حاقد أو حاسد، أو من فعل مسلم قد أهمل أحكام دينه واتبع هواه، بل يؤخذ من نصوص كتابه العزيز، وهدي نبيه ﷺ، وتاريخه الصحيح، وسأورد هنا شيئاً من الأدلة القولية والعملية التي تكشف زيف وكذب ما يدعيه كرومر، حيث شملت سماحة الإسلام أهل الكتاب والمشركين ليس فقط في حال السلم بل حتى أثناء الحروب فلقد أوصى نبي الرحمة ﷺ بالقبط خيراً فجاء في الصحيح أنه قال: «إنكم

---

(١) المرجع السابق،٥/٣٥٤ .

(٢) الأندلس : بضم الدال وفتحها، وضم الدال ليس إلّا : وهي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم وإنما عرفتها العرب في الإسلام ، على البحر تواجه من أرض المغرب تونس، والى طبرقة الى جزائر بني مزغنّاي ثم إلى نكور ثم إلى سبتة ثم إلى أزيلي ثم إلى البحر المحيط . انظر معجم البلدان ، ١/٢٦٢

ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط[١] فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذم [٢] ورحماً»[٣]، وفي رواية: «ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، وفيها: فإن لهم ذمة ورحماً[٤]» [٥] .

وعندما قُتل أحد الصحابة في أحد أحياء اليهود في خيبر [٦] رضي ﷺ وقبل يمين اليهود إذ أقسموا أنهم لم يقتلوه ولم يعلموا قاتله فقد أخرج البخاري بسنده عن بشير بن يسار ﷺقال: «زعم أن رجلاً من الأنصار يقال له سهل بن أبي حثمة أخبره أن نفرًا من قومه انطلقوا إلى خيبر فتفرقوا فيها فوجدوا قتيلاً، وقالوا للذي وجد فيهم: قد قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلنا وما علمنا قاتلاً، فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلاً، قال: الكُبرَ الكبرَ، فقال لهم تأتون البينة على من قتله ؟ قالوا: ما لنا بينة، قال: فيحلفون، قالوا: لا نرضى بأيمان اليهود، فكره رسول الله ﷺ أن يُطَلَّ [٧] دمه فوداه [٨] مائة من إبل الصدقة» [٩].

قيل في شرح هذا الحديث: وفي هذا دليل لصحة يمين الكافر والفاسق واليهودي [١٠] .

بل لو تتبعنا المعاهدات التي صدرت عن النبي ﷺ لوجدناها مبنية على أساس التسامح، ومن هذه المعاهدات " معاهدة المدينة التي اشتمل على سبع وأربعين اتفاقاً منها ما يخص موادعة اليهود، وهي بأرقامها كما يأتي:

٢٤ – إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

---

(١) قال العلماء القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به، انظر: شرح مسلم للنووي، ١٦ / ٩٧ .

(٢) الذمة هي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام، وأهل الذمة هم اليهود والنصارى، انظر: شرح مسلم ١٦ /٩٧ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، رقم ٢٥٤٣.

(٤) الرحم هو من تربطك به صلة قرابة، وأما المراد بالرحم في الحديث فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، انظر: شرح مسلم ١٦ / ٩٧ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) خيبر : ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير ، وقد فتحها النبي، صلى الله عليه وسلم، كلها في سنة سبع للهجرة وقيل سنة ثمان . انظر معجم البلدان ، ٤٠٩/١ و التي بعدها

(٧) طَلَّ: طل دم فلان أهدره و أبطله . انظر : معجم مقاييس اللغة ، ٤٠٥/٣ .

(٨) وداه: من ودى أي أعطى وليه ديته . انظر : معجم مقاييس اللغة ، ٩٨/٦ .

(٩) البخاري، كتاب الديات ، باب القسامة ، حديث رقم ٦٨٩٨ .

(١٠) شرح صحيح مسلم للنووي، ١١ / ١٤٧.

٣١ –وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته .

٣٧ – وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .

٤٥ – وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين .

٤٦ – وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .

٤٧ – وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ)(١).

كما نرى سماحة الإسلام في تعامل نبي الأمة ﷺ مع أهل الكتاب من الذين يعادون ويخالفون فيما يفتي إذ يتكلمون فيه ويبلغه ذلك، ثم يقدم لهم الهدية من اللبن أخرج مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه: «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبيّ ﷺ النبيَّ ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ** ﴾(٢) فقال رسول الله ﷺ «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله ! إن اليهود تقول: كذا وكذا، فلا نجامعهن ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما، فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما» (٣) .

هكذا هو دين الإسلام فهو ليس ديناً يبحث عن العداوة والأحقاد، بل هو دين يريد صلاح العباد وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ويريد توازن النفوس مع فطرها السوية، وإذا

---

(١) هذه المعاهدة ورد ذكرها في كتاب الأموال لأبي عبيد، ص ٢٩٢ – ٢٩٥، والأموال لابن زنجويه ٢ / ٤٦٦ – ٤٧٠، وسيرة ابن هشام ٢ / ٩٢، والروض الأنف ٤ / ٢٩٣ .

(٢) سورة البقرة، آية٢٢٢ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها، حديث ٣٠٢ .

تسامح مع غير المسلمين فلا يعني ذلك التنازل عن المبادئ، بل يعطيهم حقوقهم كاملة كما أمر الله تبارك وتعالى، ويطلب منهم مقابل ذلك حقوقاً عليهم تجاه أصحاب الفطر السوية، دون إفراط أو تفريط .

ثم يقول كرومر ممتناً على المصريين بإعطاء الإنجليزي لهم أراضيهم الزراعية، وترقيته لعقولهم وآدابهم: " ومع ذلك فإن المسلم المصري – مع أنه يكره الباشا التركيّ، ويخافه إلى حد أنه يدرك الفوائد التي أجزلها له الإنكليزي ويعترف بسموّ مداركه وكفاءته – فهو على كل ذلك لا يقدر أن ينسى أن الإنجليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشًا أو عمامة .

و مع أنه يقبل المنافع بمزيد الارتياح، فهو يذكر دائمًا أن اليد التي منحتها ليست يد مسلم، وهذا الأمْر يؤثر في نفسه أكثر من كون الإنكليزي أجنبيًّا عنه، مهما بذل الإنكليزي مِن وسائط التودد والعقل، فهو عاجز عن هدم هذا الحاجز الحصين ... "[(١)] .

و لذلك نحن نقول بأنه صحيح أن المصري كان يقبل ما كانت تقدمه له دولة الاستعمار لعلمه بأنها سلبته أعظم من ذلك بكثير والذي يأخذه منها ما هو إلا جزء من حقه فكيف لا يأخذه بارتياح، وأما أنه لا ينسى بأن الإنجليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشًا أو عمامة فلأنه يعلم بأن الانجليزي كذلك لن يقبله بطربوشه ولا بعمامته ولذلك قدم هذا المستعمر ليسلبه حقوقه وهويته، بل ويستنقص من دينه ويجعله من أقل الأديان شأناً رغم أنه خير الأديان والمهيمن عليها جميعاً، وكذلك فإن له الحق في أن يرد كل ما سُلب منه، وكذا يرد على المعتدي الذي يُؤذيه في دينه وماله وعلى أرضه متى استطاع وامتلك القدرة على ذلك فالمعتدي بالسلاح لا يُرد إلا بالسلاح .

### ٢- شريعة محمد ﷺ مبنية على الحوادث الجارية، و الأحوال الشخصية:

زعم اللورد كرومر بأن الأقوال المتناقضة وغير المتلائمة الموجودة في القرآن لا يمكن التوفيق بينها وقد نسب ذلك إلى أساس شريعة محمد ﷺ بزعمه حيث قال: ولعلّ السببَ في ذلك هو أن تعاليم محمد ﷺ كانت مبنيةً في الأكثر على الحوادث الجارية، وعلى أحوال شخصية في

---

(١) المرجع السابق، ٥/٣٥٤ .

حياته [١].

وهذه مراوغة أخرى له على دين الإسلام، فلا يُنكر بأن في القرآن شيئاً مما كان يحكي حوادث جرت في عهده كانشقاق القمر والخسوف وغيرها، ولكنه لو تأملها بعين المنصف لوجد أنها من أعظم الدلائل على صدق نبوته ﷺ وأن ما يقوله ليس مجرد حكاية لأحداث جرت بل أغلبها حقائق ودلائل علمية متسلسلة ليست متناقضة وقد شهد على ذلك علماء غربيون وأثبتوها بعد ألف وأربعمائة سنة كان فيها الغرب والشرق يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض .

وكذلك فإن ما ورد في القرآن الكريم من حوادث شخصية فهي أحوال تتكرر على البشرية، ذكرها الله لأمته لأخذ العبرة منها بل ذكر حتى حوادث الأمم الغابرة لتستفيد منها البشرية وتنظر في حقائق الأمور قال تعالى:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[٢] .

لقد كان كرومر يحاول التلاعب بعقول الجهال من الناس بكتاباته وافتراءاته .

### ٣- الإسلام يراعي التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه:

زعم كرومر أن الإسلام بمراعاته التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه جمع بين الدين والشرع، فجعلهما جزءًا واحدًا غيرَ قابِلٍ للتفريق أو التغيير، فنتج عن ذلك أن تلاشى من النظام الاجتماعي المرونة، فإن المصري حتّى الآن إذا لجأ إلى الشرع في أمور الوصاية فإن قضيته يحكم بها بمقتضى المبادئ الضيقة، التي وضعت لما يوافق أحوال الهيئة الاجتماعية الأولى في شبه جزيرة العرب في القرن السابع [٣] .

وزاد كرومر بأنه منذ سنوات قليلة أي: سنة ١٨٩٠م أوضح مُفتي الديار المصرية الأكبر كيف تُعاقب عصابات اللصوص التي يثبت ارتكابها لجريمة الاعتداء بالسلاح ليلاً على إحدى القرى، فقال: إنه يمكن أن يُعاقب المجرم على سِتّة وُجُوهٍ مختلفة: فإما أن تقطع يده اليمنى

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٣٥٤/٥ .

(٢) سورة النمل، آية ٦٩ .

(٣) انظر: مجلة المنار، ٣٥٤/٥ .

ورجله اليسرى، ثم يقطع رأسه، أو يشوه جسمه كما تقدم، ثم يصلب بعد ذلك، أو أن يقطع رأسه فقط، أو أن يصلب فقط، أو أن يقطع رأسه أولا ثم يصلب بَعْدئذ [١] .

وأفاض المفتي في تقريره عن كيفية صَلْب المجرم، وهو أن يربط الرجل إلى صليب في شكل معين، ثم يوخز بِحَرْبَة في الجانب الأيسر، وتبقى الحَرْبَة وهي تحز في محل الجرح إلى أن يموت .

ثم إن بعض المسلمين قد عمدوا بنية حسنة إلى تشويه الشرع المقدس؛ إذ أقلقوا خواطرهم في اختراع وسائل يريدون فيها أن يبينوا أن مبادئ القرن السابع الشرعية، ونظامه الاجتماعي يمكن تطبيقها على مجرّبات القرن العشرين المدنية، ولكن العادة المبنية على القانون الديني مؤيدة بالمغالاة في إكرام الشارع الأصلي قد قيدت جميع المتعلقين بالإسلام بقيد من حديد لا سبيلَ إلى النجاة منه[٢].

تدور شُبهات كرومر كلها حول أن الإسلام دين مُتخلف لا يصلح إلا للقرون البدائية التي لم تعرف المدنية الحديثة، وما كلامه السابق إلى شاهد على ذلك فهو يتحدث عن الاضطراب في حياة الناس الاجتماعية ويعزو ذلك إلى سبب رئيس هو تنزيل أحكام الدين على حياة الناس العامة، بل ويرى أن المسلمين يُحاولون إقناع أنفسهم بأن أحكام الإسلام لازالت تُناسب الحضارة الحديثة، وكل ذلك محض افتراء ومُغالطات لا تنطلي إلا على الجهلة من المسلمين، فالذي أنزل شريعة عيسى – عليه السلام – والتي يُحاول هو جذب الناس إليها مُتظاهراً بالتمدن والحضارة فهي وإن سلمنا له تنزلاً بأنها غير مُحرفة ما هي إلا شريعة أُنزلت قبل شريعة محمد ﷺ بعدة قرون ولازال هو يرى بأن فيها ما يُلائم حياة التمدن !! فكيف بشريعة محفوظة ما إن تتأمل فيها المرة بعد المرة إلا وتجدها جديرة بقيادة الأمم إلى قيام الساعة ؟!

ثم أنه لا يُنكر بأنه توجد تطبيقات للشريعة على واقع الناس غير صحيحة كبعض الفتاوى التي لا تستند على دليل صحيح وبعض التشريعات التي لا تتوافق مع الدين الإسلامي وإن لُبست بالإسلام من بعض المجتهدين أو بعض المتظاهرين بالإسلام لأهداف خاصة إلا أنها لا تمت للإسلام بصلة وقد بين لنا النبي ﷺ في الحديث الشريف بأن الحاكم إذا اجتهد وأخطأ

---

(١) انظر: المرجع السابق ٣٥٤/٥ .

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣٥٤/٥ .

فله أجر [١]، فدل ذلك على أنه ربما تُطبق أحكام خاطئة لكنها لا تمت للإسلام بصلة وإنما هي منسوبة إلا ذات المجتهد فيما لا يوجد فيه نص صريح صحيح، وإن وجد النص وخالفه المخالف فمن باب أولى براءة الإسلام منه هذا الخطأ .

لذلك كان حقاً على كرومر إن كان يُريد الحق أن ينظر للإسلام بكافة تفاصيله لا أن يحط كما يحط الذباب على مكان الخطأ الفردي البشري الذي لا يُحكم به على شريعة كاملة .

**٤- الإسلام دين جامد ولا يصلح للمدنية، ولا للنظام الاجتماعي:**

وفي هذه الشبهة يحاول إلصاق تهمة الجمود والتحجر بالدين الإسلامي، وإبعاد المرونة وملاءمته مع العصور المختلفة، يقول كرومر في ذلك: "إن الدين الإسلامي دين جامد لا يتسع صدره للمدنية الإنسانية، ولا يصلح للنظام الاجتماعي" [٢] .

ويقول: "إن ما لا يصلح له الدين الإسلامي يصلح له الدين المسيحي" ويستدل على الإسلام بالمسلمين، وعلى النصرانية بالنصارى"[٣].

وكما بينتُ في الرد على الشبهة السابقة بأن كرومر ينفي عن الإسلام مُلاءمته للحضارة والتمدن بدعوى أنه وجد قبل قرون طويلة، ولذلك فهو لا يصلح إلا لتلك البيئة فقط حيث هو جامد لا مجال فيه للنظام الحضاري الحديث، وبالمقابل نجده يدعي بأن النصرانية خيرٌ من الإسلام للحضارة وأكثر مُلائمة مع أن النصرانية شريعة نزلت قبل شريعته ﷺ بل ومحرفة وليست باقيةً كما نزلت على عيسى – عليه السلام – !!

ومما يدحض هذه الافتراءات هو أن الدين الإسلام دين كامل شامل لكل جوانب الحياة كما بين ذلك النصوص الشرعية، وواقع أمة الإسلام قبل مجيء أمثال هذا المستشرق الحاقد المفتري على الإسلام الكذب، حيث بين الله تعالى في كتابه الكريم كمال هذا الدين العظيم، وشموله، وهيمنته على كل الديانات السابقة، فقال تبارك وتعالى: ﴿**ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ**

---

(١) حديث "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر "، أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث ٧٣٥٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث ١٥/ ١٧١٦ .

(٢) النظرات، مصطفى المنْفَلُوطي، ص ٢١٥ .

(٣) المرجع السابق، ص٢١٥ .

**وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾[١]، وقال في موضع آخر من السورة ليبين شموله على كل خير في كتب الأمم السابقة: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾[٢]، وقال كذلك: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾[٣]، ولقد ورد في السنة النبوية بأن بعض المشركون قالوا لأحد الصحابة: «إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة، فقال: أجل، إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه، أو أن يستقبل القبلة، ونهى عن الروث والعظام، وقال: لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار»[٤] .

إن ما مر من الأدلة ما هو إلا غيض من فيض من الأدلة التي تدل على كمال هذا الدين وشموله لكل جوانب الحياة، فدين يعلم أتباعه أقل مبادئ الحضارة وهي إزالة النجاسة والإستبراء منها كيف لا يهتم بأعلاها مكانة ؟!، بل ضرب الإسلام أعلى أمثلة الحضارة والتقدم عندما بلغت دوله التي قامت بعد زمن النبوة مراتب متقدمة في من الازدهار والحضارة والتقدم، ولم يكن الدين مانعاً لها من ذلك، وكان ذلك بوجود كثير من الصحابة – رضوان الله عليهم – ومن تبعهم من علماء الأمة، فقلب بصرك في حضارة الدولة العمرية الراشدة، وكذلك الدولة الأموية سواءً التي قامت في المشرق أو التي قامت في المغرب في بلاد الأندلس .

و إذ عُلم ذلك فإننا نستطيع أن نرى حيدة كرومر عن الحق إلى الباطل، رغم وضوح الحق لطالبه ولكنها حيدة الحاقد المعادي، وسيأتي في فصل لاحق كلامه عن المدنية ومزيداً عن مقارنته بين الإسلام والنصرانية .

---

(١) سورة المائدة، آية ٣ .

(٢) سورة المائدة، آية ٤٨ .

(٣) سورة الأنعام، آية ٣٨ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسي ﷺ،كتاب الطهارة، باب الإستطابة، حديث رقم ٢٦٢ .

# المبحث الثاني
# آثاره التغريبية في العقيدة

من الطبيعي أن يحرص اللورد كرومر – في الأساس – على تغريب المجتمع المصري الإسلامي في جانب عقيدته؛ لأنها الحصن الحصين للأمة الإسلامية عموماً وللمصريين خصوصاً، وذلك من خلال التشكيك في العقيدة الإسلامية الراسخة لدى المصريين، فلو حدث أن استطاع اللورد كرومر التأثير على العقيدة، وترك آثار التغريب فيها، فهو بذلك يكون قد نجح في القضاء على أول وأهم مقوم للإسلام في مجتمع إسلامي مهم .

لذلك كان حرصه شديدًا على تغريب العقيدة الإسلامية لدى المصريين، وكانت لهذه المحاولات آثارٌ كبيرة منذ بداية عمله كمندوب لبلاده في مصر، وحتى بعد رحيله منها، وإن كان قد تنبه بعض العلماء لهذه المحاولة الخبيثة فنبهوا الناس إليها .

وإن أردت معرفة حجم هذه المحاولة الخبيثة وأن الهدف الذي يسعى إليه هو محو العقيدة الإسلامية وإن لم يستطع فلزعزعتها فلتقرأ قوله عن أهمية نشر التعليم الغربي بين صفوف الشباب المصري حين قال: "إن الحقيقة أن الشباب المصري الذي قد دخل في طاحونة التعليم الغربي، ومرَّ بعملية الطحن يفقد إسلاميته، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزائها، إنه يتجرد عن عقيدة دينه الأساسية"(١).

إن هذه المقولة تبين أن هدفه الأساسي هو زعزعة العقيدة الإسلامية لدى الشباب المصري الناشئ، ومن ثم يصبح الشباب مزعزع العقيدة قابلًا لأي عقيدة أخرى أن تحل محلها.

ونحن هنا نحاول رصد أهم هذه الآثار المترتبة على محاولاته لتغريب المجتمع في العقيدة؛ حيث تعددت آثاره في تغريب العقيدة الإسلامية .

لقد عمل كرومر منذ البداية على ضرب العقيدة الدينية لدى المصريين، ولم يتردد في استخدام أي وسيلة لتحقيق هذا المأرب، وقد استخدم للوصول إلى هذا الهدف عدة وسائل، هذه الوسائل قد حققت كثيرًا مما يرمي إليه من تغريب لعقيدة المجتمع، وظلت آثارها ممتدة

---

(١) مقال هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق، وائل عبد الغني، مجلة البيان، العدد ١٢٩، ص ٤٢ .

يعاني منها حتى الآن المجتمع المصري، بل حتى بقية المجتمعات الإسلامية التي تربطها روابط الدين واللغة مع المجتمع المصري .

ولذلك فإن أهم الآثار التي خلفها كرومر في قضية تغريب العقيدة من خلال اطلاعي هي ما يلي:

**١- عزوف كثير من المصريين عن تعلم العقيدة الصحيحة، وضعف الاعتزاز بها:**

لقد عرضت قريباً في التمهيد للمبحث هدفه من إدخال التعليم الغربي في المجتمع المصري المسلم حيث قال: "إن الحقيقة أن الشباب المصري الذي قد دخل في طاحونة التعليم الغربي، ومرَّ بعملية الطحن يفقد إسلاميته، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزائها، إنه يتجرد عن عقيدة دينه الأساسية"(١)، وهذا فعلاً ما حصل بعد إدخاله مناهج تعليم أوربا على المصريين، فقد طحنت مناهجه عقيدة كثير من المجتمع المصري - إلا من رحم الله -، استطاع من خلال تلك المناهج التي تعلمهم تاريخ أوربا، ولغتها، وحضاراتها ممزوجة بشيء من التصورات النصرانية، والعقائد المحرفة، والأفكار البشرية التي تبدو لأول وهلة لمن كان يجهلها بأنها منتهى العلم وهي التي بلغت بأوربا تلك الحضارة الزائفة المادية التي يشاهدونها حيناً ويسمعون عنها كثيراً ممن ذهب إلى أوربا فرجع مبشراً بحضارة أوربا وأفكارها وثقافتها.

لقد استطاع أن يجعل من الشباب المصري المسلم، خلقاً تابعاً لأوربا كارهاً لما نشأ فيه وتربى عليه وعرفه، كيف لا والنفوس مجبولة على الربط بين المحسوس (حضارة أوربا التي يرون) وبين عقائدها وثوراتها وتمردها على الدين ؟!، لقد أصبح كثير منهم يعتقد بأن سبب التأخر الذي يراه في أمته هي عقيدة الإسلام، فأصبحت في نظره نظيراً للدين النصراني المحرف الباطل، ومن حماه الله من شباب مصر من الوقوع في ذلك الاعتقاد قلت حماسته الدينية لعقيدته وهويته الإسلامية، وهذا ما قصده كرومر بمقولته: "... وعلى الأقل يفقد أقوى عناصر عقيدته وأفضل أجزائها ... "(٢)، نعم والله لقد فقدَ عدد ليس باليسير إيمانهم القاطع بعقيدتهم، وانعكس ذلك على حماستهم لها، واعتزازهم بها، فضلاً عن دعوتهم إليها .

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢، بتصرف يسير جداً .

**٢- إهمال اللغة العربية الفصحى (لغة القرآن الكريم):**

رأى اللورد كرومر بمكره العظيم أن هدم اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم في المجتمع المصري هو بداية هدم وتغريب العقيدة في هذا المجتمع الإسلامي، ولن يكون تغريب هذه العقيدة الراسخة إلا تدريجيًّا بإبعاد الناس تدريجيًّا عن الإسلام نفسه .

ويتضمن ذلك: استهداف العربية التي تعد أداة لوصل الماضي بالحاضر، ولفهم كتاب الله تعالى، ولربط الشعوب الإسلامية بعضها ببعض، حيث أصبحت اللغة العربية اللغة الأهم لكل مسلم وإن كان أعجمياً .

ومن ثم يسهل الهجوم على التراث الإسلامي الذي صيغ بهذه اللغة واستنبطت من خلالها أسس الإسلام وتصوراته ومقوماته، وذلك كله لإفساح المجال أمام الثقافة الجديدة بما تحمله من قيم وتصورات مختلفة .

وكانت آثار هذه الدعوة أن جند كرومر بعض أتباعه وتلاميذه للعمل على إهمال المصريين للغة العربية –كما نرى اليوم – سواء في المدارس والجامعات أو في المعاملات الشخصية، وكانت حملة لطفي السيد على اللغة العربية الفصحى هي أخطر الأعمال التي قام بها والتي دفعته بالتبعية؛ لأن يواصل الخطة التي بدأها الاستعمار البريطاني بقيادة وكوكس(١)، وقد كانت محاولته ماكرة خبيثة بدأها في ١٨٩٩م في مجلة الموسوعات؛ حيث ادعى أن اللغة العربية أصبح تعلمها أبعد منالاً من تعلم اللغات الأجنبية، ودعا إلى تسكين حروف الهجاء وفك الإدغام، وإهمال الشكل، وسخر من هذه الضوابط كلها، ثم وسع نطاق الدعوة عام ١٩١٣ م في جريدته " الجريدة " فكتب أكثر من سبع مقالات (إبريل- ومايو ١٩١٣م).

---

(١) بيرسي كوكس، سياسي بريطاني ساهم في رسم السياسة البريطانية في الوطن العربي بعد انهيار الدولة العثمانية، حيث شارك قوات الثورة العربية الكبرى في محاربة القوات العثمانية، وعمل بمنصب المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي، تخرج في الكلية الملكية البريطانية العسكرية في ساند هيرست، وعين مباشرة بعد تخرجه في الهند في العام ١٨٨٤م، وانتقل للعمل في منطقة الخليج العربي وإيران في العام ١٨٩٣م واستمر في العمل في المنطقة حتى العام ١٩٠٣م، تقلد خلالها عدة مناصب، وفي العام ١٩١١م منح لقب سير كأفضل سياسي في المنطقة وكان ذلك بسبب خدماته أثناء الحرب العالمية الأولى، توفي عام ١٩١٥م . انظر: كتاب:
" THE LIFE OF SIR PERCY COX"، ص٣٢ .

وهو في هذه الحملة كان مُخادعًا حيث لم يفاجئ القارئ بالحملة على اللغة العربية (و كذلك هم خصوم اللغة العربية يفعلون ذلك فلا يكشفون عن خصومتهم)، بل يصدرون عن غيرة مفتعلة تدعوهم إلى ادعاء المحافظة عليها حين يوجهون سمومهم، وهو لم يدع إلى ترك الكتابة بالفصحى إلى العامية، بل تسلل إلى ذلك بطريقة فيها كثير من المكر، وكانت دعوته إلى إدخال الكلمات الأجنبية إلى اللغة العربية في بادئ الأمر .

كانت تلك نُبذة عن هذه المؤامرة التي حملها أتباع كرومر، والتي اختير رأسها الأول بعد ذلك رئيسًا لمجمع اللغة العربية !! .

وقد عاشت هذه الأفكار قائمة في حياته وفكره، بل وعمل المجمع إلى تحقيقها بعد أن ضم إليه عدداً من خصوم اللغة العربية أمثال طه حسين(١)، وعبد العزيز فهمي(٢) الذي دعا إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ومن بعد ذلك عدد كبير من هؤلاء التغريبيين(٣)، وسيأتي مزيد بيان عن هذا في محله لاحقاً في البحث .

لقد كان هذا الأثر من الآثار الخطيرة التي خلفها كرومر بعده؛ حيث صار الأمر إلى أنه لا يحسن اللغة العربية إلا القليل جداً، ومن كان هذا حاله مع اللغة لغة القرآن فكيف به مع القرآن ذاته ؟! .

---

(١) طه بن حسين بن علي بن سلامة، دكتور في الأدب، ولد في قرية (الكيلو) بمغاغة من محافظة المنيا (بالصعيد المصري) وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره، وبدأ حياته في الأزهر ثم بالجامعة المصرية القديمة، وهو أول من نال شهادة (الدكتوراه) منها (١٩١٤م) بكتاب (ذكرى أبي العلاء) وسافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون (١٩١٨م) وعاد إلى مصر بأفكار جديدة غريبة الطابع، فاتصل بالصحافة، وأقبل الناس على كتبه، ومن أشهرها: (في الأدب الجاهلي) و(في الشعر الجاهلي) و(حديث الأربعاء)، وتوفي عام ١٩٧٣ م . انظر: الأعلام ، ٢٣١/٣ .

(٢) عبد العزيز فهمي "باشا"، ابن الشيخ حجازي عمرو، ولد في كفر المصيلحة (من قرى المنوفية) وتعلم بالأزهر، ثم بمدرسة الحقوق بالقاهرة، واحترف المحاماة، وجعل من أعضاء الجمعية التشريعية، ثم وزيرا للحقانية سنة ١٩٢٥م فرئيسا لمحكمة الاستئناف الأهلية، فرئيسا لمحكمة النقض والإبرام، وهو أحد مؤسسي الوفد المصري، توفي سنة ١٩٥١ م . انظر: الأعلام ، ٢٤/٤ .

(٣) انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، سيد بن حسين العفاني، دار ماجد عسيري، جدة – السعودية، ط ١، ١٤٢٤ هـ، ١٢١/١-١٢٣ .

### ٣- نشر التعليم الغربي:

من الآثار التي خلفها كرومر وكان لها أثر في تغريب عقيدة المجتمع المصري، وتحلل كثير من الأخلاق والآداب الإسلامية هي نشره للتعليم الغربي من خلال دعوته إلى التعليم في المدارس الغربية بل وإنشاؤه للمدارس على المناهج الغربية، وفسحه المجال لإفساد التعليم العام وتقليص المناهج الدينية فيه بكل الأساليب الممكنة، وكذلك بإهمال الجامع الأزهر الذي كان مناراً في يوم من الأيام للتعليم الشرعي الإسلامي.

وقد عمد كثير من المصريين إلى مثل ذلك التعليم، باعتبار أنه طريق إلى المدنية الحقيقية، وأن التعليم الديني هو التخلف والرجعية، لا سيما وكانت الدولة في ذلك العصر تفتح ذراعيها لمن يحصل على شهادات غربية ولا تنظر للحاصلين على التعليم داخل البلاد .

والذي دعاه إلى نشر هذا التعليم في مصر أن هذا التعليم يخلق جيلًا يفقد إسلاميته، يقول كرومر عن سبب سعيه لنشر التعليم الغربي في مصر: "إن الحقيقة أن الشباب المصري الذي قد دخل في طاحونة التعليم الغربي، ومرَّ بعملية الطحن يفقد إسلاميته، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزائها، إنه يتجرد عن عقيدة دينه الأساسية"(١).

وقد سنَّ كرومر ودنلوب سنة متبعة من مدارس الاستعمار الغربية، ويعد دنلوب الذي جلبه كرومر من الكنيسة هو المخطط الأساسي لتغريب التعليم والتربية وإقصاء الإسلام عقيدةً وشريعةً وتاريخاً ولغةً عن برامج التعليم في المدرسة المصرية، وهو أيضًا المنفذ المشرف لسنوات طويلة، ولما كان لهذه الطريقة التي اعتمدها كرومر أثر ظاهر جلي في تغريب عقيدة المجتمع المصري فقد اتبع عدد من المستشرقين والمستعمرين ذات الطريقة في عدد من بلاد الم(٢).

لقد أدرك أعداء الأمة أن أعظم وسيلة لإبعاد المسلمين عن دينهم هو أن يكونوا جهلاء به، واتعظوا بما لا قوه من مقاومة للتغريب على أيدي طلبة العلم في الهند والجزائر وليبيا وغيرها؛ حيث وقف في مواجهة تلك المحاولات علماء الشريعة وطلابهم؛ لحفظ عقيدة الأمة وهويتها .

لقد حرص المستعمرون على تقليص التعليم الديني تدريجيًّا وإحلال التعليم اللاديني محله،

---

(١) بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٤هـ، ط١، ص٤٠ والتي بعدها .

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٤٠ والتي بعدها .

تماماً كما فعل كرومر في مصر .

ولا أدل على نجاح هذه الخطة الخبيثة التي انتهجها كرومر وخطرها من بقاء آثارها إلى اليوم ليس في مصر وحدها بل حتى في الدول العربية والإسلامية عامة [(١)].

## ٤- حَمْل المجتمع المسلم على الحضارة الغربية:

من الآثار التي تركها كرومر، وكانت من أهدافه، هو حمل المجتمع المصري على الحضارة الغربية، وذلك من خلال إغراء المجتمع بمظاهر التحضر الأجوف في الدول الغربية، وهذا بطبيعة الحال إن نجح فإنه سيحلَّ محل التقاليد والحضارة الإسلامية، ومن ثم يفقد أفراد المجتمع المصري هويتهم الإسلامية .

وكان قصده من هذا العمل وأد الرغبة الإسلامية للعودة للحضارة الإسلامية بإغراء الجيل وإنزاله إلى مستنقع الحضارة الغربية الهشة، ومن ثم ربط المجتمع روحياً وحسياً بالغرب.

ولتوضيح ذلك يقول كرومر معبرًا عن ذلك: "المصريون يتمسكون تمسكًا تامًّا بالإسلام، الذي هو أحد الكلمات المرادفة للوطنية في الشرق، والإنجليز لا يهدفون إلى نشر المسيحية، ولكنهم يريدون نشر حضارة تقوم على أساس مسيحي"[(٢)].

ويقول كرومر عن محاولة حمله العالم الإسلامي على الحضارة الغربية: "... وإذا استمر المضي في هذا الطريق أصبح المصري الآخذ بحضارة أوروبا أقل مصريةً وأكثر ميلاً لأوروبا؛ إذ يصبح المصريون بهذا الفيضان المتدفق من الحضارة الأوروبية أقل إسلامًا، وهم في الوقت نفسه لم يحصلوا بعد على العمود الفقري في الحضارة الأوروبية"[(٣)].

## ٥- تقريب الهُوة بين المسلمين والمستعمر الأوروبي:

كما ذكرنا في مبحث الوسائل لقد كان لكرومر وسائل عديدة لتغريب المجتمع المصري عموماً وكان تغريب عقيدة المصريين هو أهم ما يشغل كرومر؛ حيث هي مشكلتهم الكبرى مع المسلمين، ولذلك حرص على النظر البعيد في الخلاف الدائر بين المسلمين خصوصاً والغرب

---

(١) انظر: موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديمًا وحديثًا، محمد بن مطر آل مطر الزهراني، مكتبة الصديق، ط١، ١٤١١هـ، ص٤٠.

(٢) مصر الحديثة، اللورد كرومر، ٢/٢٢٨-٢٣١، نقلاً عن: د سامي عزيز، ص٣٠٠.

(٣) المرجع السابق، ص٣٠٠.

وكيف يمكن تجاوزه أو على الأقل احتواؤه لا سيما وأن بعض المسلمين لا يتقبلون أفكاره العدائية للإسلام .

لقد "لاحظ كرومر وجود هذا الخلاف بين المسلمين وبين المستعمر الغربي في العقائد وفي القيم، وفي التقاليد والعادات، وفي اللغة، وفي الفن، وفي الموسيقى ... ووجد أن هذه الخلافات هي السبب في انعدام ثقة المسلم بالمستعمر الأوروبي وسوء ظنه به، وهي السبب في وجود هُوَّة واسعة تفصل بينهما، وتجعل مهمة المستعمر محفوفة بالمتاعب، ودعا من أجل ذلك إلى العمل بمختلف الوسائل على بناء قنطرة فوق هذه الهوة .

وقد اتخذت هذه الوسائل طريقين:

أ- أحدهما هو تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشَّئون تنشئة خاصة تقربهم من الأوروبيين، ومن الإنجليز على وجه الخصوص في طرائق السلوك والتفكير، ومن أجل ذلك أنشأ كرومر (كلية فكتوريا)، التي قصد بها تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي، ليكونوا من بَعْدُ هُم أدوات المستعمر الغربي في إدارة شؤون المسلمين، وليكونوا في الوقت نفسه على مضي الوقت أدواته في التقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوروبي، وفي نشر الحضارة الغربية، وبالفعل يكاد ألا يخلو قطر عربي ممن تربى فيها وتخرج منها، ثم تسنم في بلاده مناصب سياسية أو اجتماعية أو ثقافية وتربوية أو إعلامية رفيعة، مما مكنهم من التأثير في تلك البلاد، حتى إن هذه الكلية، وهي مدرسة من المرحلة الابتدائية حتى الثانوية، التي أصبح لها فروع عديدة تفخر بذلك وبأنها يطلق عليها اسم: (مدرسة المشاهير) .

ب- أما الوسيلة الأخرى التي اتخذها الاستعمار لإيجاد هذا التفاهم المفقود، وعمل على تنفيذها، فهي أبطأ ثمارًا من الوسيلة الأولى، لكنها أبقى آثارًا ... وهي تتلخص في تطوير الإسلام نفسه وإعادة تفسيره؛ بحيث يبدو متفقًا مع الحضارة الغربية، أو قريبًا منها، وغير متعارض معها على الأقل، بدل أن يبدو عدوًّا لها معارضًا لقيمها وأساليبها..." (١) ولذلك "... عمد رجال الاحتلال إلى العمل على زيادة عدد المصريين الآخذين بنصيب من الحضارة

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٤٥ والتي بعدها .

الأوروبية "[١].

وماذا يتوخى رجال الاحتلال من ذلك ؟ يقول كرومر: "... وإذا استمر المضي في هذا الطريق أصبح المصري الآخذ بحضارة أوروبا أقل مصريةً وأكثر ميلاً لأوروبا؛ إذ يصبح المصريون بهذا الفيضان المتدفق من الحضارة الأوروبية أقل إسلامًا، وهم في الوقت نفسه لم يحصلوا بعد على العمود الفقري في الحضارة الأوروبية "[٢].

أو كما يصفهم في عبارة قصيرة "بأنهم مسلمون وليست فيهم خواص إسلامية، وأوروبيون وليست فيهم خواص أوروبية"[٣]، وهذا هو التغريب العقدي الذي سعى إليه كرومر، وقد نجح نجاحاً كبيراً في تكوين جيل يضم بعض المصريين ممن تأثروا بخطته تلك.

والجدير بالذكر أن كرومر كان يرى أن المصري المتحضر بالحضارة الأوروبية ما هو إلا الخطوة الأولى، وليست الأخيرة في المجتمع الممسوخ الذي يسعى لتكوينه .

**٦- ظهور اتجاهات منحرفة فكرياً تتبنى ما كان ينادي به كرومر:**

لقد كان من نتيجة مخططات كرومر لتغريب العقيدة الإسلامية في مصر أن ظهرت في بلاد المسلمين – بعد ذلك – اتجاهات منحرفة تتبنى أفكاراً عقدية منحرفة، وتحاول نشرها في المجتمعات الإسلامية عموماً فضلاً عن المجتمع المصري ذاته، ولعل الصورة التي يعرضها اللورد كرومر للمصري الجديد –كما تصورها هو وسعى لها – تنطبق إلى حد ما على مجموعات من أبناء المسلمين الذين أثر فيهم الغزو الفكري الغربي.

يقول كرومر: "إن المجتمع المصري في مرحلة الانتقال والتطور السريع، وكان من نتيجته الطبيعية أن وجدت جماعة من أفرادهم" مسلمون "ولكنهم متجردون عن العقيدة الإسلامية والخصائص الإسلامية، وإن كانوا" غربيين "فإنهم لا يحملون القوة المعنوية والثقة بأنفسهم، وأن المصري الذي خضع للتأثير الغربي فإنه وإن كان يحمل الاسم الإسلامي لكنه في الحقيقة ملحد وارتيابي، والفجوة بينه وبين عالم أزهري لا تقل عن الفجوَة بين عالم أزهري وبين أوربي "[٤].

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٥ والتي بعدها .

(٢) مصر الحديثة، ٢/ ٢٢٨- ٢٣١، نقلاً عن: د سامي عزيز، ص ٣٠٠.

(٣) المرجع السابق، ص٣٠٠ .

(٤) الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية، الندوي، ص ١١٤.

ويصور الدكتور سامي النشار[١] دور اللورد كرومر في تغريب الفكر العربي الإسلامي على نحو أشد وضوحًا وقوة، وذلك بعد مرور أكثر من ثلاثين عامًا على كتابات فريد وجدي[٢] فيقول: "إن كرومر قد أتى وكان إليه جماع الحروب الصليبية، وفيه حقيقتها، وأضغان الصليبيين القدامى وأحقادهم وسخائمهم العتيقة، إنه حين أتى أعلن أنه سيهدم في مصر ثلاثًا: القرآن، والكعبة، والأسرة الإسلامية، وظن هذا الصليبي الصغير أنه قادر على هدم حقيقة الكون الكبرى، وأنه إله صغير في يده الأمر والنهي، ولكنه حاول وحاول، واستخدم ببراعة نادرة حلقة معينة، وقد استطاعت هذه الحلقة أن توجه الفكر الإسلامي إلى الاتجاه الذي أراده كرومر"[٣].

وإليك نبذة عن هذا الجيل الذي خرجه كرومر ليتبنى هذه المعتقدات الباطلة التي نادى بها كرومر وحاول من خلالها بث روح التغريب في العقيدة الإسلامية .

يقول الدكتور محمد جابر الأنصاري[٤] تحت عنوان: (الصراع بين توفيقية عبده وتغريبية كرومر) مبينًا التأثير الذي قام به كرومر في الجيل الذي تلقى المنهج منه:

---

(١) علي سامي بن أمين النشار، ولد في مدينة القاهرة في عام ١٩١٧م، ينتمي إلى أسرة مصرية شرقاوية دمياطية، وقد عاش النشار حياة حافلة بالعلم، بحثاً وتأليفاً وتعليماً، وكانت آخر سنوات حياته في دولة المغرب، في مدينة الرباط، حيث كان أستاذاً في قسم الفلسفة بجامعة محمد الخامس، منذ عام ١٩٧٣م، وكان يتمنى أن يعيش بقية حياته في المغرب، وقد تحقق له ما أراد، وقد توفي عام ١٩٨٠م، ومن أشهر كتبه موسوعة: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام . انظر: رسالة "الدكتور . علي سامي النشار وموقفه من الفرق .. عرض ونقد"، أبو زيد بن محمد مكي، ص٢٢-٢٧.

(٢) محمد فريد بن مصطفى وجدي، عالم، كاتب، صحافي، ولد ونشأ بالإسكندرية، وانتقل إلى السويس، فأصدر بها مجلة الحياة، وسكن القاهرة، ثم أنشأ مطبعة أصدر بها جريدة الدستور اليومية، ثم الوجديات وهي شبه مجلة أسبوعية، وتولي تحرير مجلة الأزهر وإدارتها، وتوفي بالقاهرة عام ١٩٥٤ م، من تصانيفه الكثيرة: دائرة المعارف القرن العشرين، على أطلال المذهب المادي، الإسلام دين عام خالد . انظر: معجم المطبوعات، ١٤٥١/٢ .

(٣) أعلام وأقزام، ٢٧٨/١ .

(٤) محمد جابر الأنصاري، المستشار الثقافي للعاهل البحريني، كاتب ومفكر بحريني، أستاذ دراسات الحضارة الإسلامية والفكر المعاصر، وعميد كلية الدراسات العليا في جامعة الخليج في البحرين وعضو المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون في البحرين، ونال الدكتوراة في الفلسفة الإسلامية الحديثة والمعاصرة عام ١٩٧٩م، من أهم مؤلفاته: الفكر العربي وصراع الأضداد، التأزم السياسي عند العرب وسوسيولوجيا الإسلام . انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا الإلكترونية " محمد جابر الأنصاري " .

"كانت قوّة التحدّي الأوروبي، الحضاري والسياسي أعظم من أن تصمد لها توفيقية محمد عبده ومعادلته التي حاولت بعد أزمان من التنافر والعداء الجمع بين الإسلام والغرب في صيغة تصالحية واحدة، فمن ١٨٨٢م عام الاحتلال البريطاني لمصر إلى ١٩١٨م عام السيطرة (البريطانية – الفرنسية) الكاملة على المشرق العربي، إلى ١٩٢٤م عام إلغاء الخلافة، استطاع الغرب تدريجيًا أن يصفّي الكيان العربي الإسلامي الموحد نهائيًّا – لأوّل مرة في التاريخ، وأن يحكم أقطار الشرق العربي حكمًا مباشرًا، وأن يفرض أسلوبه فيالإدارة والتشريع، ومنهجه في التربية، ونمطه في الاقتصاد، وأن يلحق المنطقة بدورته الرأسمالية العالمية مصدرًا للمواد الخام، وسوقًا استهلاكية لمنتوجاته، وممرًا استراتيجيًّا لطرق تجارته .

و أصبحت مؤثّراته الحضارية تبعًا لذلك تنفذ إلى المجتمعات العربية بقوة واندفاع دون أن يكون لهذه المجتمعات حرّية الاختيار أو الرفض في ظلّ شخصية جماعية مشتركة متماسكة، ونتج عن ذلك سوء استيعاب وهضم المؤثّرات الغربية ممّا أدّى إلى ارتباك واضطراب في تلك المجتمعات؛ واختلّ التوازن إلى حدّ كبير بين موروثها وجديدها، وهو التوازن الذي طمحت توفيقية عبده لإقامته في وجه التحدّي الغربي .

وممّا يستحق المقارنة أنه في الفترة ذاتها التي ظهرت فيها كتابات محمد عبده داعية لإحياء الإسلام مابين ١٩٠٠م – ١٩٠٥م، كان اللورد كرومر، أبرز حاكم غربي "تحديثي "في الشرق العربي، ينشر كتابًا عام ١٩٠٨م يزعم فيه أن الإسلام إذا لم يكن ميتًا فإنّه في طور الاحتضار اجتماعيًّا وسياسيًّا، وأنّ تدهوره المتواصل حسب زعمه لا يمكن إيقافه مهما أدخلت عليه من إصلاحات تحديثية بارعة، لأنّ التدهور كامن في جوهره الاجتماعي – منذ الأصل – وهو جوهر قائم على تخصيص دور متخلّف للمرأة في المجتمع، وعلى التغاضي عن نظام الرقّ، وعلى جمود الشرع وقطعيّة العقيدة، وأنّها لا بديل عن التحديث الكامل بدون الإسلام، وهي نتيجة تلخص أفكار الغلاة من المستشرقين المعادين للإسلام.

ونحن إذا قارنّا بين القوّة الفاعلة التي مثّلها كرومر في الشرق العربي ومن ورائه دولته البريطانية وحضارته الأوروبية – والقوّة المحليّة المشتّتة التي يحاول تجميعها محمد عبده، تبّين لنا مدى الاختلال في المعادلة بين الجانبين، واستطعنا أن ندرك مغزى روح المهادنة التي أظهرها عبده تجاه كرومر، وهي الروح التي ستتحوّل إلى نزعة قبوليّة شبه مطلقة للفكر الأوروبي

وللسياسة الأوروبية ونظمها لدى الفرع العلماني من مدرسته: لطفي السيّد، سعد زغلول[١]، طه حسين، إسماعيل مظهر[٢]، الذي اتّجه بعد وفاة عبده إلى ما يقرب من نظرة كرومر بشأن مسألة التجديد وطريقة معالجة أزمة الإسلام .

وقد برز هؤلاء المجدّدون بعد الحرب العالمية الأولى بمدة وجيزة، لكنّ الاتّجاه التحديثي كان قد لاح قبل الحرب؛ ففي ١٩٠٧م تأسّس حزب سياسي جديد عرف باسم "حزب الأمّة"، وأفردت صحيفة الحزب "الجريدة" صفحاتها لكُتّاب شربوا من مناهل الفكر الغربي... كان بعضهم من حواريي محمد عبده، أمّا الآخرون فتلقّوا العلم في أوروبا، وتأثّر اثنان منهم، هما طه حسين ومحمد حسين هيكل[٣] اللّذان لعبا دورًا بارزًا في الحركة التجديدية بالآراء التحديثية للطفي السيّد .

وإذا كان لطفي السيّد لم يعالج قضايا الفكر الديني مباشرة فإنّ طريقة معالجته للمسألة الوطنية المصرية، ومطالبته بانتهاج النظام الحُرّي – أي الليبرالي حسب ترجمته له، بما يستند إليه من قيم وأسس فلسفيّة وحضارية، كلّها أمور يستشف منها اتّجاهه الفكري بشأن قضية الإسلام والعصر، والنصّ التالي الذي نشره لطفي السيّد عام ١٩١٣م في "الجريدة" وكذلك في كتابه (تأملات في الفلسفة والأدب ...)يوضح أين يقف فكريًّا من خلال مذهبه السياسي

---

(١) سعد (باشا) بن إبراهيم زغلول، زعيم نهضة مصر السياسية، وأكبر خطبائها في عصره، ولد في (إبيانة) من قرى (الغربية) بمصر، واتصل بجمال الدين الأفغاني، فلازمه مدة، واشتغل بالتحرير في جريدة الوقائع المصرية مع محمد عبده، ونبه ذكره، فاختير قاضياً، فمستشاراً، وتولى وزارة المعارف، فوزارة (الحقانية) فوكالة رياسة الجمعية التشريعية، توفي عام ١٩٢٧م . انظر: الأعلام ، ٨٣/٣.

(٢) إسماعيل مظهر بن محمد بن عبد المجيد بن إسماعيل، باحث مصري من علماء الكتاب، من أعضاء المجمع اللغوي، مولده ووفاته في القاهرة، نشأ في بيت علم ووجاهة، وتعلم بالمدرسة الناصرية ثم الخديوية، وأصدر وهو طالب (صحيفة) علمية، وانتسب إلى الحزب الوطني، فكتب في صحفه، ومن كتبه (فك الأغلال) و(الإسلام لا الشيوعية) و(فلسفة اللذة والألم)، توفي عام ١٩٦٢م . انظر: الأعلام ، ٣٢٧/١ .

(٣) محمد بن حسين بن سالم هيكل، كاتب صحفي، مؤرخ من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة بمصر، ولد في قرية كفر غنام (بالدقهلية) وتخرج بمدرسة الحقوق بالقاهرة، وحصل على (الدكتوراه) في الحقوق من السربون بفرنسا (١٩١٢م)، وكان من أركان الحزب الدستوري المناوئ لسعد زغلول وحزبه، وولي وزارة المعارف مرتين، ثم رئاسة مجلس الشيوخ (١٩٤٥ م- ١٩٥٠م)، وصنف كتبا، طبع منها (حياة محمد) و(في منزل الوحي) و(ثورة الأدب) و(الصديق أبو بكر) و(الفاروق عمر) وغيرها كثير، توفي عام ١٩٥٦ م . انظر: الأعلام ، ١٠٧٠/٦ .

الذي يحدّده بجلاء: "يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها أن تتقدّم، إذا كانت تجبن عن الأخذ بمنفعتها وتتواكل في ذلك على أوهام وخيالات يسمّيها بعضهم الاتّحاد العربي، ويسمّيها آخرون الجامعة الإسلامية"(١) .

من هذا المنطلق الخالص بمنزعه "الحُري" العلماني المستغرب انطلقت حركة التجديد الجذري، الرافض لروح التوفيق، في فترة مابين الحربين، وهي الحركة التي تولّدت – تاريخيًّا – من توفيقيّة الأفغاني (٢)، ومحمد عبده، وغيرهما، ولكنّها تحوّلت إلى تجسيد اتّجاه نقيض لها بتأثير الإصلاحات الغربية (نهج كرومر)، من ناحية، وبتأثير المدرسة العربية العلمانية الخالصة من ناحية أخرى.

وفي صميم هذه الحركة التجديدية سيتم اللّقاء لأوّل مرّة في الفكر العربي بين الإسلام والعلمانية في مزيج مذهبي واحد، وسيتبلور لدينا المصطلح النادر "المسلمون العلمانيّون"، أو "العلمانية الإسلامية" .

وهو مصطلح وجد مضمونه الواقعي ونموذجه الحي في تجربة تركيا الكمالية، التي تمثّل العامل الثالث لنشوء هذه الحركة (بالإضافة إلى الإصلاحات الغربية العلمانية المسيحية العربية).

و في المدة ما بين ١٩٢٥ م– ١٩٣٠م تبلغ هذه الحركة أوجها وتستجمع زخمها وقوّة دفعها، بحيث لو تأمّل مؤرخٌ حال الشرق العربي في تلك السنوات، لرجّح أنّ المعركة بين القديم والجديد، بين الإسلام والحداثة، بين السلفية والعلمانية لابدّ أن تصل إلى نهايتها الحاسمة بانتصار نقيض على آخر بصورة لا تحتمل عودة التوفيق بينهما ؛و لَتواتَر وتجمّع لديه من الظواهر الماثلة عندئذ ما يدلّ على أنّ التيّار التجديدي هو المؤهّلُ للحسم التاريخي .

---

(١) تأملات، ص٧٥ .

(٢) هو محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين الأفغاني: فيلسوف الإسلام في عصره، تلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات، وسافر إلى الهند، وانتظم في سلك رجال الحكومة في عهد (دوست محمد خان) ثم رحل ماراً بالهند ومصر، إلى الآستانة (سنة ١٢٨٥هـ) فجعل فيها من أعضاء مجلس المعارف، ونفي منها (سنة ١٢٨٨هـ)، تتلمذ عليه محمد عبده، وكثيرون، وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة (العروة الوثقى)، ومن أهم كتبه: (تاريخ الأفغان) و(رسالة الرد على الدهريين) ترجمها إلى العربية تلميذه محمد عبده، وجمع محمد باشا المخزومي كثيراً من آرائه في كتاب: خاطرات جمال الدين الأفغاني . انظر: الأعلام ، ١٨٦/٦ .

١- وكان منصور فهمي[١] قد بدأ علميّا هذا التقليد عندما كتب أطروحته في فرنسا عام ١٩١٣ بعنوان: "حالة المرأة في التقاليد الإسلاميّة وتطوّراتها" بإشراف مستشرق يهودي[٢]؛ ونهج فيها منهج النقد التاريخي العلمي، المتحرّر من الالتزام بحقيقة الوحي، في تفسير سلوك النبي وعلاقاته وتشريعاته .

٢- وفي عام ١٩٢٥ م تبعه علي عبد الرازق[٣] الخريج الأزهري، والقاضي الشرعي، بإصدار كتاب "الإسلام وأصول الحكم" طرح فيه قضية العلمانية للمرّة الأولى في صميم الفكر العربي الإسلامي، بعد أن أصدرت الحركة العلمانية الكمالية كتيّبا برّرت فيه لجوءها إلى العلمنة ببعض المبرّرات المستمدّة من مبادئ الإسلام ذاته— على حد زعمها -.

وتكمن خطورة هذا العمل الذي طوّره عبد الرازق بصورة أكثر منهجية وعمقًا وارتباطًا بأصول الإسلام، في أنه استند لأوّل مرّة في تاريخ الفكر الإسلامي إلى حجج ومبرّرات دينيّة شرعية مستمدّة من القرآن والسنّة والتاريخ الإسلامي - بعد أن حرّف معانيها لتناسب أهدافه - لتبرير العلمانية ضمن إطار الإيمان الديني ذاته، وليس من منطلق العلمانية الخالصة المنافية للدين، وذلك ما جعل منها قضيّة

---

(١) منصور فهمي بن على فهمي بن عبد المتعال، من آل البقلي، مفكر مصري، من الخطباء، له علم بالفلسفة والتربية والأدب، من أعضاء المجامع العلمية العربية الثلاثة، مغربي الأصل، من أسرة رفيعة النسب حسينية، ثم مديراً لدار الكتب المصرية، فمديراً لجامعة الإسكندرية إلى سنة ١٩٤٦م، وكان كاتب السر للمجمع اللغوي المصري إلى آخر حياته، توفي سنة ١٩٥٨ م . انظر: الأعلام ، ٣٠٢/٧ .

(٢) هو ليفي بروفنصال (١٨٩٤م — ١٩٥٦ م)، مستشرق فرنسي اشتهر بأبحاثه في تاريخ المسلمين في فرنسا، ولد في الجزائر لأسرة يهودية، عين أستاذاً للتاريخ الإسلامي في جامعة الجزائر عام ١٩٣٥م، من مؤلفاته: تاريخ أسبانيا الإسلامية في ثلاثة مجلدات . موسوعة المستشرقين، ص٥٢٠-٥٢٢ .

(٣) علي بن حسن بن أحمد عبد الرازق، باحث، من أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر، ولد بالمنيا وتعلم بالأزهر، ثم بأكسفورد، وأصدر كتاب "الإسلام وأصول الحكم" سنة ١٩٢٥م فأغضب ملك مصر وسحبت منه شهادة الأزهر، وانصرف إلى المحاماة، وانتخب عضوا في مجلس النواب، فمجلس الشيوخ، وعين وزيرا للأوقاف، و طبع من كتبه "أمالي علي عبد الرازق" رسالة جمع بها دروسا ألقاها عام ١٩١١م، و"الإجماع في الشريعة الإسلامية" محاضرات ألقاها في جامعة القاهرة، و"من آثار مصطفى عبد الرازق" في سيرة أخيه "مصطفى"، توفي عام ١٩٦٦ م . انظر: الأعلام ، ٢٧٦/٤ .

"مشروعة" داخل الفكر الإسلامي، بعد أن كانت تطرح منذ مطلع النهضة من خارجه .

٣- ثمّ أصدر طه حسين عام ١٩٢٦م كتابه "في الشعر الجاهلي" مستخدمًا منهج الشكّ الديكارتي(١) والنقد التاريخي الأوروبي في غربلة الروايات والنصوص الدينية — بما فيذلك آيات القرآن — ممّا طرح إمكانية نقد القرآن ونقضه من وجهة نظر البحث العلمي، وهنا تكمن خطورة هذا الكتاب، وليس في مجرّد تشكيكه بمصادر الشعر الجاهلي، من هذا المنطلق كان طه حسين يؤكّد وقتها أن العلم في ناحية والدين في ناحية، وأن التوفيق بينهما محال .

٤- وفي العام ذاته ١٩٢٦م كتب إسماعيل مظهر في المقتطف يدعو إلى نقض العقلية الغيبيّة المخلوطة بشيء من العلم التي تميزّت بها الحضارة الإسلامية، وإلى إحلال العقلية العلمية الأوروبية محلّها دون تقريب وتوفيق، و بأسلوب الصدام والمواجهة بين العقليتين المضمحلّة والصاعدة حيث قال: "إنّني أتوقّع، وعسى أن يكون ذلك قريبًا، أن الخطوة التي خطوناها في سبيل الخروج من ظلمات الأسلوب الغيبي إلى وضح الأسلوب اليقيني، سوف تقودنا سعيًا إلى ميدان يتصادم فيه الأسلوبان تصادمًا يثير في جوّ الفكر عجاجة ينكشف غبارها عن الأسلوب الغيبي وقد تحطّمت جوانب هو اندكّت قوائمه، وتترك الأسلوب اليقين قائمًا بهامه الجبّار القوي الأصلاب مشرفاً على الشرق، وقد هبّ من رقاد القرون، ليسير في الدروب التي مهّدت سبله للأنام نواميس النشوء والارتقاء"، وهي دعوة نلمح من وراء سطورها روح يعقوب صروف(٢) ومنزعه العلمي الخالص، ولقد كان (مظهر) متأثّراً

---

(١) منهج الشك الديكارتي: منهج يقوم على الشك كخطوة أولى للوصول إلى حقائق الأشياء ويقول صاحبه: لا يوجد حقائق يقينية مسلّمة قبل البحث والتدقيق والتمحيص فيها، لكنه في الوقت نفسه لا ينكر وجود هذه الحقائق مطلقاً، (فالشك عنده هو الأصل للوصول لإثبات حقائق الأشياء أو نفيها)، وهو نسبةً إلى رينيه ديكارت (المتوفي في١٦٥٠م )، فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب ب"أبو الفلسفة الحديثة . انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٦٥-٨٥ .

(٢) يعقوب بن نقولا صروف الدمشقي، فلكي، أديب، كاتب، ناظم، صحافي قصصي، مترجم عن الإنكليزية، ولد في بيروت، وتعلم في الجامعة الأمريكية، ونال شهادة بكالوريوس في العلوم، أصدر بالإشتراك مع فارس نمر وشاهين =

بصروف أكثر من تأثّره بخاله لطفي السيّد .

وبعد وفاة صروف أسّس إسماعيل مظهر مجلّته "العصور" عام ١٩٢٧ معلى نهج "المقتطف"، و لكن بصراحة أكبر في تناول المسائل الدينية وفي التعرّض لرجال الفكر السلفي، وفيها طبق مظهر ما دعا إليه من ثورة عقلية في "المقتطف" .

٥- وفي هذه المدة أيضاً كان محمد حسين هيكل يطرح مفهوماته في الأدب الفرعوني، وفي الدعوة إلى العلم الخالص ويترجم أبحاثًا عن نظريات غربية وضعية تتحدث عن انتصار مرحلة العقل.

٦- وفي عام ١٩٣١ م نشر الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي(١) ملحمته "ثورة في الجحيم" في مجلّة "الدهور"، واستمرت سنتين (١٩٣١م– ١٩٣٣م)، وتتضمّن ملحمة الزهاوي تأملات في العدل الإلهي وفي مفهوم الجنّة والنار، والعمل الصالح .

٧- وفي هذه المدة أيضا أخذ الدكتور إسماعيل أحمد أدهم(٢)يعالج كذلك الموضوعات

=

مكاريوس مجلة المقتطف، ثم انتقلوا بها إلى مصر، وشارك في إصدار جريدة المقطم، وتولى رئاسة جمعية شمس البر في بيروت، فرئاسة المجمع العلمي الشرقي وأجيز بالدكتوراة في الفلسفة من جامعة نيويورك، وتوفي بالقاهرة في ١٩٢٧ م، من آثاره: أعلام المقتطف، بسائط علم الفلك، العلم والعمران، رسائل الأرواح، وفتاة الفيوم . انظر: معجم المؤلفين، ١٣/٢٥٣ .

(١) جميل صدقي بن محمد فيضي بن الملا أحمد بابان الزهاوي، شاعر، نحى منحى الفلاسفة، من طلائع نهضة الأدب العربي في العصر الحديث، مولده ووفاته ببغداد، كان أبوه مفتياً، وبيته بيت علم ووجاهة في العراق، وتقلب في مناصب مختلفة فكان من أعضاء مجلس المعارف ببغداد، ثم من أعضاء محكمة الاستئناف، ثم أستاذاً للفلسفة الإسلامية وأستاذاً للآداب العربية في دار الفنون، ثم من أعضاء مجلس الأعيان العراقي، إلى أن توفي عام ١٩٣٦ م، و شعره كثير يناهز عشرة آلاف بيت، منه ديوان الزهاوي، والكلم المنظوم، والشذرات. انظر: الأعلام ، ٢/١٣٧ .

(٢) إسماعيل أحمد إسماعيل إبراهيم أدهم (١٩١١ - ١٩٤٠ م)، كاتب مصري ولد بالإسكندرية وتعلم بها، ثم أحرز الدكتوراه في العلوم من جامعة موسكو عام ١٩٣١م، وعُيِّنَ مدرسًا للرياضيات في جامعة سانت بطرسبرج، ثم انتقل إلى تركيا فكان مدرساً للرياضيات في معهد أتاتورك بأنقرة، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٦، وهو من الكُتّاب المسلمين الذين أعلنوا إلحادهم وكتبوا فيه ودافعوا عن أفكارهم بالعلم والمنطق والحجة، وله في ذلك كتيّب بعنوان "لماذا أنا ملحد؟"، وفي ١٩٤٠م وُجِدَتْ جثته طافية على مياه البحر المتوسط، وقد عثر البوليس في معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهيته لها، وأنه يوصي بعدم دفن جثته في مقبرة المسلمين ويطلب إحراقها . انظر: الأعلام ، ١/٣١٠ .

الدينية بحرية شديدة "[١].

لقد استطاع الدكتور بتفصيلاته السابقة أن يُجلي مدى الآثار الخطيرة التي خلفها كرومر في فكر بعض أفراد الأمة المسلمة والذين سعوا فيما بعد لنشر تلك الأفكار الضالة بلسان الأمة مما أدى إلى انحرافات فكرية عقدية كبيرة على الصعيدين المصري والأمة الإسلامية بشكل عام، لذلك فالمنهج الذي وضعه كرومر لتغريب المسلمين في مصر استطاع أن يؤتي ثماره في زمن يُعتبر قصيراً بالمقارنة مع الحملات الصليبية التي لم تستطع بلوغ عُشر ما بلغه كرومر في مدة حكمه لمصر، بل أن كرومر استطاع أن يوجد جيلًا يفهم الإسلام كما يريده الغرب لا كما فهمه السلف الصالح – رحمهم الله – .

(١) تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (١٩٣٠م –١٩٧٠م)، د. محمد جابر الأنصاري، طبعة عالم المعرفة، العدد ٣٥، نوفمبر ١٩٨٠م، ص١٣– ١٧ .

# الفصل الرابع

# شبهات اللورد كرومر في الشريعة وأحكامها، وآثاره

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: شبهاته في الشريعة وأحكامها ونقضها.**

**المبحث الثاني: آثاره التغريبية في الشريعة وأحكامها.**

# المبحث الأول
# شبهاته في الشريعة وأحكامها ونقضها

إن أكثر الشبهات التي أثارها كرومر تندرج تحت الشبهات في العقيدة؛ حيث أن طعونه موجهة إلى الإسلام كدين بصفة عامة، ولم يهتم كثيرًا بتفصيل القول في هذه الجزئيات التي تندرج تحت مسمى الأحكام الشرعية، ولكن نجد من الشبهات التي أثارها وتتعلق بالأحكام الشرعية عددًا من أهم ذلك ما يلي:

**١ـ طعنه في صلاة المسلمين:**

يزعم اللورد كرومر أن الصلاة التي يؤديها المسلمون في المسجد جهارًا بين الناس هي مجرد عملاً لمراءاة الناس، وليس فيها إخلاص العبادة لله وحده على عكس النصراني الذي يصلي في الخفاء، يقول كرومر في ذلك: "المسيحي يصلي صلاته اليومية في الخَفَاء، وأما المسلم فإنه يصلي جهارًا بين الناس، وليس لديه شيء من الخَجَل الكاذب دون اعترافه جهارًا أنه معتمد على الله في جميع أعماله وأموره، قال المطْرَان ستانلي[١] بعد أن دَرَسَ الأديان الشرقية: إن الله موجود عند المسلمين وُجُودًا يندر مثله عندنا في وسط العجلة الغربية وما يَشُوبُها من الارتباك"[٢].

يُحاول كرومر أن يجد شيئاً ينفذ من خلاله إلى الطعن في الإسلام كما هي عادة المستشرقين، وما قوله بأن صلاة المسلمين فيها رياء لأنه يُؤديها مُجاهرة إلا محض افتراء، فإن الصلاة عند المسلمين هي إحدى العبادات وتكون سراً وجهراً، وما كان منها جهراً كالصلوات الخمس المفروضة فهي عامة واجبة على كل المسلمين ولا يكون التفاضل فيها إلا بما تحمله قلوب المصلين من الخشوع والخشية، ولذلك لا يكون فيها رياء حيث أن جميع المسلمين مطالبون بها على حدٍ سواء، وأما غيرها من الصلوات المستحبة فمنها ما يكون ظاهراً ومنها ما يكون سراً وكلها لا يستطيع أحد من المسلمين وصف فاعلها بالمراءاة؛ لتعلق الرياء بالقلب وليس الظاهر .

---

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) مجلة المنار، ٣٥٤/٥.

**٢- طعنه في صيام المسلمين:**

وكما طعن في صلاة المسلمين يطعن كذلك في صيامهم، فيقول: "ومتى صام المسيحي فهو يعمل باعتدال نهارًا وينام ليلاً، وأما المسلم فهو في صيامه ينقطع عن الأكل والشرب والتدخين، ولكنه إذا جاء الليل تمتع بكل ذلك بدون ضابط" (١).

إن حياة المسلمين وأجسادهم ليست ملكاً لهم بل هي ملك لخالقها وهو المتصرف فيها والعالم بما يصلحها وينفعها، وعلى ذلك فالصيام شرعه الله تعالى على كل الأمم حيث قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** ﴾(٢)، وقد علمنا الشرع الحنيف بأن الصيام هو الامتناع عن الأكل والشرب والجماع وما كان في حكمها في شهر معلوم (رمضان) من طلوع الشمس إلى غروب الشمس، وبعدها أذن الشارع بالأكل والشرب والجماع إلى طلوع الفجر، حيث هو بشر له حاجات فأذن الله له بذلك بحكم علمه بمن خلق تبارك وتعالى، وهذا الصيام له حكمته البالغة سواءً علمناها أم لم نعلمه، وما يدعيه كرومر بأن المسلم يتمتع في ليلة صيامه بدون ضوابط فهذا غير صحيح بل إن الغالب فيمن صام عبادةً لله تعالى لا يُحدث في ليله ما يخالف فيه رضا الله، ومن خالف ذلك فالمخالفة تطاله هو بذاته ولا تطال الإسلام وبقية المسلمين .

**٣- شبهة تحريم الإسلام الفنون عامة:**

وهذه أيضاً من الشبهات التي أثارها؛ حيث حاول أن يجرد الإسلام من كل ما يمت للفنون بصلة، وأن النصرانية تميزت عنه في ذلك، فيقول: "ثم إن الديانة المسيحية تنشط الفنون وتستفيد منها، وأما الديانة الإسلامية فإنها تكسر الصور والتماثيل، وهي تحرم الصور وصناعة النقش والنحت إذا كانت تمثل شخصًا حيًّا، وأما الموسيقى فلا يُسْمَعُ لها صوتٌ في جامع"(٣).

إن كرومر ينطلق كالعادة من نصرانيته المحرفة ومدنيته المدعاة، حيث يخلط الفنون ببعضها ويجعل ما يتقبله هو وقومه أساساً لما يجب أن يتقبله كل الأمم، والحق أن ما يجب أن يكون

---

(١) المرجع سابق، ٣٥٤/٥.

(٢) سورة البقرة، آية رقم ١٨٣ .

(٣) المرجع السابق ٣٥٤/٥ .

أساساً لحياة الأمم هو شريعة رب العالمين الذي خلق الخلق وهو أعلم بمن خلق – جل جلاله –، فالفنون التي يتحدث عنها كرومر ليست على إطلاقها محرمة في الإسلام بل منها ما نص الشارع على تحريمه ومنها ما لم ينص، فما نص الشارع على تحريمه كالغناء المصحوب بالمعازف والكلمات الفاحشة فهو محرم، وكذلك التصاوير التي تصور الأرواح سواءً المنحوتة أم المرسومة فهي مما يُضاهي فيه الراسم خلق الله تعالى، بل هي مفتاح من مفاتيح الشرك بالله؛ لأنها تؤدي إلى تعظيمها في نفوس الناس، وهناك من الفنون غير محرمة في شريعتنا كالنقوش والصناعات الخالية مما حرمه الله تعالى، وما الأندلس والفنون التي ازدهرت فيها إلا أكبر شاهد على هذا، ولو عدل كرومر ما قال مثل هذا .

**٤ - الإسلام يدعو إلى الخمول والتعصب:**

وهذه من الشبهات التي أثارها كرومر حيث زعم أن الدين الإسلامي يأمر بالخمول والتعصب، وزعم كذلك بأن المسلمين لا يمكنهم أن يرقوا في سلم الحضارة والتمدن إلا بعد أن يتركوا دينهم، وينبذوا القرآن وأوامره ظهريًّا؛ لأنه يأمرهم بالخمول والتعصب، ويبث فيهم روح البغض لمن يخالفهم والشقاق وحب الانتقام، وأن المانع الأعظم والعقبة في سبيل رقي الأمة هو: القرآن والإسلام(١).

وكعادته كرومر يكيل التهم ويُلقي الشبهات دون مراعاة للأمانة والصدق فيما يدعي، فوصف كرومر الإسلام بأنه دين يشجع على الخمول والتعصب، وكلامه هذا منقوض بحقيقة الإسلام؛ فإن الإسلام لم يكن يوماً مُشجعاً على الخمول بل هو دين الحركة والنشاط والعمل، ومن يتأمل عشرات النصوص الشرعية يجد أنها تحض على العمل وعدم الاتكال على الغير ولو في أدنى الأمور، حيث جاء عن ثوبان رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ: «من يتقبل لي بواحدة وأتقبل له بالجنة قال قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئا، فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه حتى ينزل فيتناوله»(٢)، وقد حض النبي ﷺ على العمل باليد وترك تكفف الناس فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله

(١) انظر: الخلافة، محمد رشيد بن علي رضا، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، ص١٣٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٢٨١، رقم ٢٢٤٧٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله، فيسأله أعطاه أو منعه»[(١)]، وغير هذه النصوص الكثير من النصوص التي تحض على العمل وترك الكسل والحاجة للناس .

أما عن دعواه في أن الإسلام يشجع على التعصب فهذا افتراء يُضاف إلى سابق افتراءاته وكذبه العريض على الإسلام، فهو يعلم يقيناً بأن الإسلام ليس دين تعصب في ذاته ولا يبث روح البغض والشقاق وحب الانتقام، بل هو دين الرحمة للعالم كله ولم تشهد الإنسانية على مر العصور ديناً يدعو للرحمة وحسن التعامل ويحذر من التعصب كالإسلام فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٢)]، وأقرب دليل يمكن أن يقارن فيه كرومر بين رحمة المسلمين والنصارى هو أن ينظر في تعامل الجيوش المسلمة إذا دخلت البلاد الكافرة وتعامل جيوش بني دينه إذا دخلوا بلاد المسلمين وهذا المثال أظنه أقرب إلى ذهنه بحكم أنه قائد عسكري درس التاريخ العسكري والحروب المختلفة بين بني ديانته والمسلمين .

**٥- الإسلام تساهل في الاسترقاق :**

زعم كرومر أن الإسلام لا يشجّع على الرِّقّ، ولكنه يتساهل في الاسترقاق، وعجز عن إلغائه تماماً، أما أتباعه فقد تناسوا عدم تشجيعه، وأجمعوا على إباحة الرق، وجعله عنوانًا لسلوكهم[(٣)] .

لقد عدل كرومر بقوله أن الإسلام لا يشجع على الاسترقاق؛ حيث أن الإسلام حقيقةً يُشجع على عِتق العبيد بل ورتب على ذلك أُجوراً عظيمة، وجعل كذلك لبعض الذنوب التي يرتكبها المسلمون عقوبات ومكفرات كان من ظمنها إعتاق الرقاب من الرق، لكنه لم يجبر أحداً على وجوب الإعتاق؛ لأن الأصل في الرقيق أن يكون من أُسراء الحروب بين المسلمين والكفار، ومعلوم بأن المسلمون لا يُحاربون قوماً كافرين إلا بعد أن يعرضوا عليهم الإسلام ضمن شرطين آخرين، فإن لم يُسلموا ولم يقبلوا الجزية إن كانوا من اليهود والنصارى فإنهم يُحاربون وتُسبى نساؤهم وذراريهم ويكونون مُسترقين في بلاد المسلمين؛ وذلك لأنهم بعد قتل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم ١٤٠٢ .

(٢) سورة الأنبياء، آية رقم ١٠٧ .

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٣٠ والتي بعدها .

رجالهم من المقاتلين للإسلام لم يعد لأكثرهم عائل ودخلوا في ذمة المسلمين، هذا من ناحية وأما من ناحية أخرى فإن من لم يعرف طريق ربه ويُسلم وجهه لخالقه كان في حُكم القاصر الذي وجب أن يكون تحت من يقوم على شؤونه وكان استرقاقهم مقابل بقاؤهم في رعاية المسلمين وتحت أيديهم، وقد حض الشارع على الإحسان لهم وعدم أذيتهم وعدم تكليفهم ما لا يُطيقون من الأعمال، بل وحض النبيﷺ على مُكاتبة من كان مُسلماً منهم إن طلب المكاتبة، لكن الذي لا يُقبل من كرومر هو همزه المسلمين في عدم التخلي عن الرقيق، وقد بينت فيما سبق بأن الإسلام لم يأمر بعتقهم بأمر قاطع واجب النفاذ بل كان ترغيباً وتحبيباً، وعليه فلا يُلام من استمر على ذلك [١].

وكان على كرومر قبل أن يقدح في المسلمين بشيء ليس محلاً للقدح كان يتوجب عليه الخجل من بني جلدته؛ حيث لم يكْتَفوا باستعباد عبيد الله بَلِ ارتكبوا أقبح من ذلك، فكانوا يتخطفون الناس ليُنصروهم[٢].

**٦- طعنه في أحكام الإسلام المتعلقة بالمرأة :**

يقول رشيد رضا[٣] عن شُبهة كرومر هذه: "وهذه الشبهة يرى أنها أعظم الشبهات مكانةً، وهو أن الإسلام يجعل المرأةَ في مركز منحطّ جداً " [٤] حيث يقول كرومر عن هذه

---

(١) استدل عليه العلماء من حديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ...»، رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله )، حديث رقم ٢٢.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدينملا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل، ولد في عام ١٢٨٢هـ – ١٨٦٥م، في قرية قلمون الواقعة جنوب طرابلس الشام، نشأ في بيت علم وتقوى، وترعرع في أسرة متديّنة، كان أبوه شيخًا للقلمون وإمامًا لمسجدها، التقى بمحمد عبده في طرابلس حين جاء إلى زيارتها؛ تلبية لدعوة كبار رجالها، وتوثقت الصلة بينهما، وازداد تعلق رشيد رضا به، سافر إلى مصر عام ١٨٩٨م، واتصل بمحمد عبده هناك، أنشأ مجلة المنار في القاهرة عام ١٨٩٨م، وحدد في افتتاحية العدد الأول أهداف المجلة التي تتركز في الإصلاح الديني والاجتماعي وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام، والحثّ على تربية البنات، والبنين والترغيب في تحصيل العلوم، والفنون، وإصلاح كتب العلم، وطريقة التعليم، والتنشيط في مجاراة الأمم المتميّزة في الأعمال النافعة، وطرق أبواب الكسب ...، ومن أهم مؤلفاته "تفسير المنار"، " الخلافة "، " الوحي المحمدي "، "تاريخ الأستاذ محمد عبده "، توفي عام ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م. الأعلام ، ١٢٦/٦ .

(٤) المرجع السابق .

الشبهة: "وضع النساء في مصر وفي البلاد الإسلامية يعد عقبة قاتلة تحول دون رفع المستوى الفكري والشخصي الذي يجب أن يصحب دخول الحضارة الأوروبية إلى هذه البلاد [مصر]، وإذا أرادت هذه الحضارة أن تحقق أفضل فائدة ممكنة فليس أمامنا إلا تعليم المرأة...

و يذكر كرومر ما نصه: إن هناك سؤالاً مفتوحاً يحتاج إلى إجابة، ألا وهو: هل تعليم المرأة [حسب المنظومة الغربية] يمكن أن يترك آثاراً صحية وإيجابية على سلوك الرجال ؟

كما أنه يناقش على المستوى التصوري النتائج التي قد تنشأ عن ضعف التأثير الأخلاقي لتعليم المرأة، وما قد يترتب عليه من يأس في متابعة جهود الإصلاح، كما أنه يشير إلى أن تعدد الأدوار الإصلاحية[توجيه وإرشاد وشرح ومناقشة]لن تحدث التأثير المرجو ما لم يكن المرء قادراً على رفع مستوى المرأة، فذلك هو المدخل الأساسي لتنمية الرجل المصري وفق قواعد التعليم الأوروبي " (١).

طعن كرومر وغيره في الأحكام المتعلقة بالمرأة في الإسلام مقصوده ليس نزيهاً، وليس هدفه رفعة المسلمين كما يزعم ويردد، بل هدفه إسقاط المرأة المسلمة في براثن الحضارة الغربية التي لم تجعل للمرأة قيمة إلا أنها جسد يُعرض لترغيب الزبائن بالبضائع من عرض الأزياء وكشف المفاتن وغيرها، وقد غاض كرومر كما غاض غيره من أعداء الإسلام بقاء المرأة المسلمة على عفتها وطُهرها؛ فأرادوا إخراجها من كينونتها وخصوصيتها إلى ميدان ليس لها، ودعواهم بأن المرأة تحتاج للتعليم فهذا لا يُنكره عاقل، فقد كانت كِبار الصحابيات يتعلمن ويتفقهن في الدين ويسألن النبيﷺعن كل ما يُشكل عليهن، بل أصبحت عائشة – رض الله عنها – وغيرها ممن يُفتين المسلمين في أمور الدين، والذي نُنكره هو إخراجها من بيتها للأماكن المختلطة بذريعة التعلم، أو إقحامها في تعلم علوم لم يُخلقن لها مما اختص الله به الرجال فهذا هو الغير مقبول، ودعواهم بأن الحضارة لن تستقيم في بلاد المسلمين حتى تلغى أو تُسقط أحكام المرأة التي شرعها الله لها فهذا من الهُراء الذي لا يقوله إلا أحد اثنين أحدهما: جاهل قد بلغت به جهالته إنكار حضارات الأمم من شرق وغرب، أو حاقد بلغت به صفاقته أن يكذب علانية دون مراعاة لأخلاق ومروءة، وظني بكرومر أنه الشخص الثاني، إذا لا يليق

(١) مجلة المنار، ٣٥٤/٥ .

بقائد بلغ منزلته جهل التاريخ السياسي للأمم .

و هنا سأذكر جملةً من الأدلة الصحيحة الدالة على مكانة المرأة في الإسلام، حتى يظهر جلياً كذب كرومر وتجنيه على الإسلام وأحكامه خاصةً فيما يخص المرأة:

إن من أهم الأدلة التي بينت مكانة المرأة في الإسلام وموقعها من الرجل هو قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ﴾ [1] حيث بين الله تعالى بأن لهن من الحقوق مثل الذي يجب عليهن، وليس للرجال مزيد فضل إلا بدرجة واحدة فقط، حيث أن هذه الدرجة نالها الرجال فقط لما فضلهم الله به على النساء من صفات جسدية، وإنفاق من أموالهم عليهن، ولذلك قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[2]، ولذلك أكدﷺذلك المفهوم بقوله: «إنما النساء شقائق الرجال» [3]، بل لقد ساوى الله تعالى بين المرأة والرجل في الإيمان فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾[4]، وقال كذلك في موضع آخر: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [5]، فجعل تعالى المؤمنة كل المؤمن في الإيمان، وكذلك في كل ما يترتب عليهما ولهما من حقوق في هذا .

وكذلك في حقوقها المالية والمعاملات فقد "أكد الإسلام على احترام شخصية المرأة المعنوية، وسَواها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء، وأثبت لها حقها في التصرف، ومباشرة جميع العقود: كحق البيع، وحق الشراء، وحق الدائن، وحق المدين، وحق الراهن، وحق المرتهن، كذلك حق الوكالة، والإجارة، والاتجار في المال الخاص ... ولقد أطلق الإسلام للمرأة حرية

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٨ .

(٢) سورة النساء، آية ٣٤ .

(٣) الحديث روته عائشة – رضي الله عنها – وأخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٥٦/٦، وأخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، رقم ٢٣٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٢٨١/٢ .

(٤) سورة الممتحنة، آية ١٠ .

(٥) سورة الأحزاب، آية ٥٨ .

التصرف في هذه الأمور بالشكل الذي تريده، دون أية قيود تقيد حريتها في التصرف، سوى القيد الذي يقيد الرجل نفسه فيها، ألا وهو قيد المبدأ العام: أن لا تصدم الحرية بالحق أو الخير، قال تبارك وتعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ (١)، كذلك جعل لها حق الميراث، فقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٢)، كما جعل صداقها ملكًا خالصاً لها، لا يشاركها فيه أحد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (٣)، والمرأة في تملك كل تلك الحقوق شأنها أمام الشرع شأن الرجل تمامًا إذا أحسنت أو أساءت... " (٤) .

و المرأة كذلك حق طلب العلم كالرجل إذا تجنبت ما يخدش عفتها وحيائها حيث كانت عائشة – رضي الله عنها – عالمةً مُفتية، حيث روت عنهﷺ ألفين ومائة حديث، وهي مشتهرة في كتب السنة النبوية حتى قال أحد الحُفاظ: " مسند عائشة – رضي الله عنها – يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري أربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين "(٥)، ولم تكن عائشة – رضي الله عنها – هي الوحيدة التي اهتمت بالعلم حتى أتاها الرجال لطلب العلم منها بل حرصت نساء الصحابة على التعلم والتفقه في الدين، فكن أن طلبن منهﷺ يوماً ليتعلمن منه فاستجاب لهن ولم يمنعهن طلب العلم بل خصص لهن يوماً ليتعلمن (٦)، فإذا كان هذا حال رسول هذه الأمة يهتم لتعليم النساء ويحرص على تفريغ وقته لهن، هل يكون فعل بعض جهلة الأمة ممن يمنعن نسائهم من التعلم المنضبط بالضوابط الشرعية دليلاً على عدم مُلائمة الإسلام لأن يرقى بكل أفراد المجتمع

(١) سورة النساء، آية ٣٢ .
(٢) سورة النساء، آية ٧ .
(٣) سورة النساء، آية ١٩ .
(٤) عودة الحجاب، ٧٨/٢-٧٩ .
(٥) سير أعلام النبلاء، ١٣٩/٢ .
(٦) من حديث أبي سعيد الخدريﷺ (غلبنا عليك الرجال ...)، أخرجه البخاري كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم، رقم ١٠١ .

؟! لا يقول هذا أو يستدل به إلا حاقد أو جاهل بطرق الاستدلال الصحيحة .

و لقد أوصى الإسلام بهن خيراً فعن عائشة - رضي الله عنها – قالت: قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «استوصوا بالنساء خيرا» (٢)، وفي الحديثين السابقين دليلاً على اعتناء الإسلام بالنساء، وإيلائهن اهتماماً خاصاً من قبله ﷺ حيث حرص على حفظ المرأة والإحسان إليها وعدم التقصير في حقها، فربط بين الخيرية في النفس بالإحسان للأهل وهن النساء، وأكد على ذلك بخيريته هو ﷺ لأهل بيته وهن زوجاته – رضي الله عنهن جميعاً وأرضاهن – .

هذا قليل من كثير مما حبى الله به المرأة في حمى الإسلام، وهو ظاهر لكل ذي عين مبصرة وقلب مستنير، وعصيي على كل عين حاسدة وقلب حاقد ملأت حياته الشهوات والرغبات الدنيوية الزائلة .

## ٧- الطعن في الطلاق وتحريم الربا والخمر:

من الشبهات كذلك التي أثارها كرومر حول الإسلام طعنه في بعض أحكامه الشرعية كإباحة الطلاق، وكذلك تحريم الربا والخمر، ويعتبر ذلك عيباً من عيوب الإسلام !!، عجباً لكرومر كيف يكون ذلك عيبًا والنصارى يتظاهرون ويعتصمون في الكنائس منذ زمن بعيد لمحاولة أن يجبروا الكنسية أن تبيح لهم الطلاق، وأنهم يرون أن الحياة مستحيلة دون إباحة الطلاق ؟! (٣) .

إن الطلاق قد شُرع في الإسلام لأغراض اجتماعية هامة ضرورية، كما إذا قام بين الزوجين شِقاق تقطعت به علائق الزوجية، وحلت محلها الكراهية والنفرة، ولم يتمكن المصلحون من إزالتها، فإن الدواء لمثل هذه الحالة الطلاق، وإلا انقلبت الزوجية إلى عكس الغرض المطلوب، فإنها ما شرعت إلا للجمع بين إلفين تنشأ بينهما مودة ورحمة، لا للجمع بين عدوين

(١) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ، رقم ٣٨٩٥، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ١١٧٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم ٣٣٣١، ومسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم١٤٦٨.

(٣) انظر: الخلافة، ص١٣٠ والتي بعدها .

لا يستطيع أحدهما أن ينظر إلى الآخر، ولا يبادر الإسلام مباشرةً إلى الطلاق كما قد يظن الظان مما سبق بل الإسلام يسعى حثيثاً لرأب الصدع الذي يحدث في الحياة الزوجية فهو يهتف بالرجال: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1] فيميل بهم إلى التريث والمصابرة حتى في حالة الكراهية، فإذا تجاوز الأمر مسألة الحب والكره إلى النشوز والنفور، فليس الطلاق أول خاطر يهدي إليه الإسلام، بل لا بد من محاولة يقوم بها آخرون، وتوفيق يحاوله الخيرون ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[2]﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[3]، فإذا لم تجد هذه الوساطة حلاً، فالأمر في تلك الحال أصبح صعباً، وهناك ما لا تستقيم معه هذه الحياة، ولا يستقر لها قرار، وإمساك الزوجية على هذا الوضع إنما هو محاولة فاشلة، يزيدها الضغط فشلاً، ومن الحكمة التسليم بالواقع، وإنهاء هذه الحياة خير من الاستمرار فيها .

وقدح كرومر في هذا الحكم مردود عليه بل إن هذا الحكم الشرعي دليل على محاسن الدين الإسلامي؛ قال تعالى: ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾[5] فليس عقد الزوجية عقداً للعب كما أنه ليس عقداً لتعذيب الزوجين .

والغريب كذلك أن يطعن كرومر في حكمة الإسلام من النهي عن الخمر والميسر وهو نفسه حث المصريين على ترك الخمر والميسر عندما ذهب إلى مدينة الفيوم [6] ، فاجتمع

(١) سورة النساء، آية ١٩ .
(٢) سورة النساء، آية ٣٥ .
(٣) سورة النساء، آية ١٢٨ .
(٤) سورة البقرة، آية ٢٢٩ .
(٥) سورة النساء، آية ١٣٠ .
(٦) الفيوم : بالفتح، وتشديد ثانيه ثم واو ساكنة، وميم ، وهي في موضعين أحدهما بمصر والآخر موضع قريب من هيت =

لاستقباله والاحتفاء به المئات من وجهاء المديرية وعُمد قُراها، فخطب فيهم خطبة ظهرت منها معرفته التامة بخير الإسلام للأمم وإن كان لم يُصرح بالإسلام .

فنصح للناس بأن يتركوا الخمر والميسر لما فيهما من إفساد الأخلاق التي يمتاز بها عادة سكان القرى والمزارع على سكان الحواضر والمدائن، وألمح إلى انتقال هذين الوباءين من المدن إلى القرى، وأرشد العمد إلى العناية بمنع انتشارهما .

وقد حث الناس على الاقتصاد وحفظ العفو من أموالهم في صناديق التوفير كما حثهم على ترك المقامرات التي تخرب البيوت العامرة، وتجعل الأغنياء فقراء والأعزاء أذلاء، وقلما ربح منها أحد فكان من الموسرين (١) .

كان كافينا رداً على كرومر أن أظهرنا تناقضه عندما طعن في الإسلام من الباب الذي يحمده عليه في أماكن أخرى !!، لكن لابد من عرض شيء مما يدل على حكمة الإسلام في النهي عنها .

لقد فضل الله الإنسان بالعقل، وميزه عن سائر الحيوانات التي تشاركه في بقية المزايا، وبهذا العقل صار الإنسان خليفة الله في أرضه وسخر له ما في البر والبحر بواسطة هذا العقل، وكلفه بعبادته وطاعته اعتماداً على وجود العقل .

ولذلك اعتبر العقل أصلاً من الأصول التي اتفقت الشرائع على وجوب المحافظة عليها من الإزالة والإضعاف، ومن أجل ذلك حرمت الشرائع المسكرات حرصاً على حماية العقل وسلامته كي يقوم بالمهمة التي خلق لأجلها؛ ولذلك حرم الإسلام الخمر، فمن شربه استحق شرعاً إقامة الحد عليه؛ فالإنسان في الشريعة الإسلامية ليس حراً كما يشاء بلا قيد ولا شرط في مأكله ومشربه، وإنما هو مقيد في كل تصرفاته بما جاء في كتاب الله وسنة رسولهﷺ، وقد بين الإسلام ما يحل للمسلم أكله وشربه كما بين ما يحرم على المسلم أكله ومشربه، ومن أمهات المحرمات الخمر، وهي أم الخبائث، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ**

=

بالعراق، فأما التي بمصر فهي ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهي في منخفض الأرض كالدارة . انظر : معجم البلدان ، ٢٨٦/٤ .

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٩١٧ والتي بعدها .

﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ (١) وقال كذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ (٢)، حيث أن المخمور عقله لا يدري ما يقول، ومن لا يدري ما يقول كيف سيقوم بأمور دينه ودنياه ؟! .

كذلك روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي – ﷺ – قال: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام» (٣)، وبين ﷺ سبب تحريم الخمر في حديث ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وعمته وخالته» (٤) .

وكذلك الحال مع الميسر فإن الله تعالى لا يحرم شيئاً إلا لمصلحة عباده؛ فهو أعلم بما يصلح به حالهم وما يضرهم: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ (٥)، فالميسر يعتمد على الربح السريع دون مشقة وسعي وبذل في سبيل الحصول عليه، والشريعة الإسلامية تحارب الكسل، كما أنها تحارب التعلق بالأوهام والجلوس في انتظار ما يأتي به الغيب، بل هي تأمر بالسعي الجاد في الأرض، لكسب لقمة العيش، كذلك الشريعة الإسلامية تمنع من كل ما يؤدي إلى العداوة بين الناس، أو يمنع الإنسان مما ينفعه في دينه ودنياه، ولذلك كانت الآية صريحة واضحة في ذلك حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ (٦)، إن المتأمل في حال من يقع في مثل هذه المحرمات يرى حكمة تحريم الإسلام لممارستها، فالعقل السليم في كل دين وملة يعلم سوء هذه الأمور، وأنها لا تأتي إلا بالشر على أصحابها، وكرومر ذاته الذي طعن في

---

(١) سورة المائدة، آية ٩٠-٩١ .

(٢) سورة النساء، آية ٤٣ .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، رقم ٥٣٣٩ .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب العين، أحاديث عبد الله بن العباس، رقم ١١٣٧٢، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ١٨٥٣ .

(٥) سورة الملك، آية ١٤ .

(٦) سورة المائدة، آية ٩٠-٩١ .

الإسلام من هذا الجانب قرر محاسن تركها والبعد عنها عندما زار الصعيد المصري، وتكلم بالحق مع الناس بخصوص هذه المحرمات، لكنه الحقد، والتدليس، والمراوغة، وتلبيس الحق بالباطل، كما هو حال كل مستشرق .

**٨- دعواه بأن الإسلام أفرغ القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد:**

وذكر عيبًا آخر من عيوب شرائع الإسلام كما يزعم، حيث رآه مُهماً، وهو إفراغ القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تغييراً ولا تحويراً، ثم قال: وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الإسلام، يقول محمد رشيد رضا: قال اللورد كرومر: "إن الجامعة الإسلامية تستلزم السعي في القرن العشرين في إعادة مبادئ وضعت منذ ألف سنة ... وهذه المبادئ منها ما يجيز الرق، ومنها ما يتضمن سُنَنًا وشرائِعَ عن علاقات الرجال والنساء مناقضة لآداب أهل هذا العصر، ومنها ما يتضمن أمرًا أهم من ذلك كله وهو إفراغ القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تغييرًا ولا تحويرًا، وهذا ما وَقَّفَ تَقَدُّمَ البلدان التي دان أهلها بدين الإسلام"[(١)].

ثم يجمل هذه الشبهة فيقول: "إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين، ولكنَّه فشل كنظام اجتماعي "[(٢)].

ويعود كرومر إلا مناقضة نفسه إذ كيف يكون الإسلام ناجحاً كعقيدة ودين ثم يكون فاشلاً اجتماعياً ؟!، وقد عرف أن الإسلام لو لم يكن ديناً مُهتماً بكل جوانب الحياة وتفصيلاتها لما نجح في البقاء مدةً تزيد على ١٤ قرن، بل إن الأمم الأوربية ترى فيه الدين الوحيد القادر على البقاء لترابط أحكامه وقوانينه ومُلائمتها لكل العصور، بل ومُلائمتها لقوانين الفطرة وقوانين الكون، ودعواه بأن قوانين الإسلام مُفرغة في قالب واحد تلاعب بالألفاظ لا يقوم على دليل حسي، لكن نقمته على شدة الترابط بين جوانب الإسلام الاجتماعية والاقتصادية وغيرها حمله على الشطط في الوصف، كما هي عادته في رمي التُهم .

---

(١) القرآن ونجاح دعوة النبي عليه الصلاة والسلام " آراء علماء أوربا في ذلك "، محمد رشيد رضا، مقال منشور بمجلة المنار، مجلد١١، ص ٩ .

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، ط٣، ١٤٠٠هـ، ١/٢٤٠ .

تلك كانت أهم الشبهات التي أثارها اللورد كرومر، و التي رأى أنها الأسباب التي أوجبتْ فشلَ الإسلام .

# المبحث الثاني
# آثاره التغريبية في الشريعة وأحكامها

كما أن كرومر قد استطاع بمكره أن يعمل على تغريب عقيدة المجتمع المصري، وأن ينشئ جيلًا على عقيدة إسلامية من صنعه هو – إن صحت التسمية –تتماشى مع أهداف الاستعمار وتمشي في ركابه وتحقق أهدافه، كذلك فقد عمل كرومر جاهداً على تغريب أحكام الشريعة؛ حيث حاول أن يباعد بين المجتمع المصري المسلم وبين أحكام دينه الحنيف، وأن يضع لهم أحكامًا وقوانين في ظاهرها إسلامية وفي حقيقتها أحكام خديجة أقرب إلى ما يُريده الغرب، وكان لذلك الجهد الذي بذله كرومر آثار خطيرة ترتبت عليها، أهمها ما يلي:

### ١- تفريغ المحاكم الشرعية من محتواها:

لقد كانت بريطانيا –كعادتها – عازمة على إلغاء الشريعة الإسلامية فور تمكنها في البلاد، غير أن كرومر رأى أن أفضل وسيلة لذلك هو تفريغ المحاكم الشرعية من محتواها، وذلك بأن يتولاها علماء ذوو طابع تحرري، تتم تربيتهم بإشرافه هو وإشراف الشيخ محمد عبده — صديقه وجليسه – في معهد خاص لقضاة الشرع .

وقد قوى عزمه على ذلك المعلومات التي يذكر أنه حصل عليها من الكلية التي أنشأتها في سراييفو حكومة النمسا والمجر لتخريج قضاة الشرع المسلمين، والتي يقول عنها: إنها كلية أثبتت نجاحها من كل الوجوه، ويتحدث عن ذلك في تقريره السنوي لحكومته عام ١٩٠٥م: "... وقد وضعت هذه المعلومات تحت تصرف لجنة ذات كفاية ممتازة يرأسها المفتي الأكبر السابق [محمد عبده] بقصد وضع خطة مشابهة تلائم ظروف مصر وحاجاتها، وقد أتمت اللجنة عملها في شهر يونيه السابق ووضعت النظم المقترحة تحت تصرف الحكومة ... وهذه النظم تزود الطالب ببرامج ثقافية ذات طابع تحرري لا تحصر الطالب في الدراسات الدينية الخاصة"(١).

وقال كرومر عندما حصلت مشكلة المحاكم الشرعية وعزمت الحكومة المصرية على ندب

(١) الفكر الإسلامي الحديث دراسة وتقويم، غازي التوبة، دار القلم، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م، ص٣٠ .

بعض القضاة الأهليين لإصلاح محكمة مصر الشرعية الكبرى ما معناه:

إنني لا أصدق أنه فقد العدل من المحاكم الشرعية، وأن الذي أنطق ألسنة الناس بالشكوى هو الشريعة الإسلامية؛ فإن شريعة قامت بها دول واهتدت بها أمم، ووجد من أهلها العلماء والفلاسفة لا تكون إلا عادلة؛ وإنما منشأ هذا الخلل التقاليد[أي تقاليد رجال الدين] وحسبك بهذه الشهادة من هذا السياسي الكبير(١).

ومن خلال هذا الكلام يحاول كرومر التشكيك في آراء علماء المسلمين، وإن كان يحاول إخفاء ما يضمره للإسلام؛ حتى لا يثير المسلمين، ونحن الآن نعاني من بعض من يخرج علينا يقول بمثل هذا القول من رفض كل ما يقوله علماء الدين .

وكان من آثار ذلك ما رأيناه من الاعتماد بعد ذلك على القوانين التي يشرعها مجالس النواب، وهي كلها قوانين مدنية من وضع البشر، ومن ثم تركوا قوانين وتشريعات الإسلام، واعتمدوا على هذه القوانين التي كان كرومر مؤسسها .

### ٢- التشكيك في العلوم الإسلامية والقضاء على الأوقاف الإسلامية:

أدرك المستعمرون وعلى رأسهم كرومر أن أعظم وسيلة لإبعاد المسلمين عن دينهم هو أن يكونوا جُهالاً به، واتعظوا بمصير (كليبر)(٢) على يد طالب الأزهر: سليمان الحلبي(٣)، وبما

---

(١) انظر: مجلة المنار، ٧٣٧/٤ .

(٢) الجنرال جان باتيست كليبر، أحد جنرالات فرنسا أثناء الحروب الثورية الفرنسية، وقد اشترك في حملة نابليون بونابرت في حملته على مصر، بدأ حياته العسكرية في خدمة آل هابسبورغ، ولكن أصوله الشعبية حالت دون ترقيه في الخدمة، فتطوع في الجيش الفرنسي سنة ١٧٩١ م ليترقى سريعاً في الرتب العسكرية إلى أن وصل إلى رتبة جنرال، ورافق نابليون في حملته على مصر عامي ١٧٩٨ م و١٧٩٩م، وعندما غادر نابليون مصر عائداً إلى باريس، قام بتعيين كليبر قائداً للحملة خلفاً له، طعنه سليمان الحلبي سنة ١٨٠١م . انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، بعنوان "الجنرال كليبر" .

(٣) سليمان بن محمد أمين الحلبي، هو قاتل الجنرال كليبر بمصر، وهو سوري الأصل، وأقام ثلاث سنوات في القاهرة، يتعلم بالأزهر، وقابل بعض قواد الجيش العثماني، فعاهدهم على أن يقتل كليبر (قائد الجيش الفرنسي والحاكم العام بمصر، بعد عودة بونابرت إلى فرنسا)، وحمل من علماء غزة رسائل إلى بعض علماء الأزهر، يوصونهم بمساعدته، وطعن كليبر بخنجر كان يخفيه في ثيابه، عدة طعنات، مات كليبر على أثرها، وفر سليمان، فقبض عليه، وحوكم أمام محكمة عسكرية فرنسية، فقضت بإعدامه (صلبا على الخازوق، بعد أن تحرق يده اليمنى، ثم يترك طعمة للعقبان) ونفذ فيه ذلك سنة ١٨٠٠ م. انظر: الأعلام ، ١٣٣/٣ .

ذاقوه من مقاومة في الهند والمغرب تزعمها علماء الشريعة وطلابهم، فوضعوا المخططات الماكرة لتقليص التعليم الديني تدريجيًّا، وإحلال التعليم اللاديني محله .

و أشهر هذه المخططات مخطط كرومر ودنلوب في مصر، الذي انتهج سياسة بعيدة المدى دقيقة الخطا في القضاء على الأزهر ومعاهده وكتاتيب القرآن، ووضع أنموذجًا ماكراً للدس على الإسلام وتشويه تاريخه خلال المنهج التعليمي، ولا أدل على نجاح هذه الخطة من بقاء آثارها إلى اليوم في مصر والدول العربية عامة [(١)].

لذلك كان من أخطر الآثار التي ترتبت على محاولات كرومر في تغريب الشريعة الإسلامية أنه محا جزءاً كبيراً من التعليم الديني بين المصريين وأحل محله تعليمًا يحمل منهجًا مشوهًا عن الإسلام يشوه صورة الإسلام أمام أهله أكثر من أن يحببه إليهم، وبذلك أصبحت أحكام الشريعة الصحيحة غريبة بين المصريين؛ لأنهم تعلموا أحكامًا جديدة وشُكِكوا في الأحكام المسلمة .

**٣- إقناع المجتمع أن أحكام الشريعة لا تناسب العصر الحديث:**

جاء كرومر بمخططه الخبيث مع الاحتلال، وبدأت القوى العالمية تشرف على حركة إلغاء الإسلام، أو عزله عن شؤون الحياة كلها، والحق أنه لم يكن لكرومر ولا لغيره أن ينجح لولا الزعماء والعلماء الذين تطوعوا بخدمته، فالحزب الوطني – أول حزب سياسي في مصر – يعلن برنامجه الرسمي سنة ١٨٨٢م ونجد فيه:

الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني؛ مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب، وأغلبيته مسلمون؛ لأن تسعة أعشار المصريين من المسلمين، والبقية من النصارى واليهود، وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم إليها؛ لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات، ويعلم أن الجميع إخوان، وأن حقوقهم في السياسة والشرائع متساوية .

و لهذا فما الذي يمنع كرومر بعد ذلك أن يقول: " إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين، ولكنه فاشل كنظام اجتماعي، فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي ولكنه مع ذلك أبدي لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع

---

(١) انظر: هل نحن مسلمون، محمد قطب، دار الشروق، ط٦، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ص١٣٦ وما بعدها .

الإنساني"[١]؟![٢].

ثم إن كرومر قد حرص على أن يؤكد للمصريين أن المسلم غير المتخلق بأخلاق أوروبية لا يصلح لحكم مصر، كما أكد أن المستقبل الوزاري سيكون للمصريين المتربين تربية أوروبية[٣].

ومن هنا كانت رغبة المحتلين الشديدة في تعاون العلماء المستنيرين – بزعمهم – معهم، وهي الرغبة التي تجلت في تشجيعهم للحركة الإصلاحية واحتضانها .

وكان زعيم الإصلاح – على الطريقة الغربية – في مصر هو الشيخ محمد عبده الذي أثاره تقدم الغرب وتخلف المسلمين في كل ميدان، فهب يدعو إلى الإصلاح متأثرًا بفكر شيخه، وكان أمل المخطط اليهودي الصليبي – كما أوضح كرومر وغيره – أن تكون حركة الشيخ مماثلة تمامًا لحركة سير أحمد خان[٤]، وكانوا مفتونين بحضارة الغرب منبهرين بها إلى أقصى حد .

و لكن ظروف مصر غير ظروف الهند، كما أن الشيخ وإن لم يكن على عقيدة سلفية لم يستطع أن يصدم المشاعر الإسلامية بأكثر مما فعل؛ حيث قامت ضد بعض تصرفاته ضجة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي .

و ليس ثمة شك في أن مصر الحديثة التي يريدها كرومر هي دولة لا دينية لا صلة لها بالإسلام البتة، وحكومتها ستكون على الشرط الذي مر آنفًا، أما محمد عبده فلم تكن لديه كما يبدو صورة واضحة، وإنما كان يهدف إلى الإصلاح الذي ينشده في ظل الاحتلال الإنجليزي – إن أحسنا الظن به –، ولهذا فإن التعاون بين كرومر والشيخ يعني تقديم تنازلات

---

(١) نقلاً عن الاتجاهات الوطنية، ١/٢٤٠ – ٢٥٩.

(٢) انظر: الاتجاهات الوطنية، ١/٢٤٠ – ٢٥٩.

(٣) انظر: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط٥، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ص ٢٦، وانظر: الإسلام والحضارة الغربية، ص٤٦ .

(٤) السيد أحمد بن المتقي الدهلوي، المعروف بالسيد أحمد خان، ولد عام ١٢٣٢هـ، كان من مشاهير الهند، وحدثت في زمانه حوادث وفتن منها، وهو مؤسس جامعة علي قرة بالهند، وكان يدعو إلى تعظيم الإنجليز وترك جهادهم ومقاتلتهم، ورتبت له الحكومة الإنجليزية مئتي ربية مدى حياته، وأيضاً لوالده الكبير، وجعلته صدر الصدور في بلدته، فسر الإنجيل ولم يتمه، واجتهد في تقريب الإسلام للنصرانية، كفره عدد من العلماء بناء على بعض أقواله في مجلته " تهذيب الأخلاق " . الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام، ٨/١١٧٥–١١٧٨ .

من الأخير للأول، أما العدو المشترك لهما، فهم العلماء غير الربانيين الذين كانوا – رغم ما فيهم – ينفرون من المحتل والعمل معه في أية صورة .

وابتدأ محمد عبده عمله الإصلاحي بمهاجمة الأزهر، ونقد المحاكم ونقد الحياة الاجتماعية، وكرومر من ورائه يقطف الثمار .

و العجيب – حقًّا – أن محمد عبده لم يكن يرى حرجًا من اقتباس القوانين التشريعية الغربية، ما دام ذلك يحقق الإصلاح في نظره، بل قال عنه أحد المثقفين من المعجبين به: إنه علم أن المراجع العربية لهذه القوانين لا تعطيه الإحاطة الواجبة بتلك المبادئ في أصولها المأثورة عند فلاسفة التشريع الغربيين، فشرع في تعلم اللغة الفرنسية، كما أن إعجابه بالثقافة الغربية هو الذي جعله يبالغ في انتقاص الأزهر مطلقًا عليه لفظ الإصطبل .

ويحاول إصلاحه وإصلاح التعليم كله على الطريقة الغربية فيقول: إن كان لي حظ من العلم الصحيح ... فإنني لم أحصله إلا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق فيه من وساخة الأزهر وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة(١) .

ولا شك أن الأزهر كان بحاجة إلى الإصلاح، ولكن الإصلاح الذي يريده الإنجليز – ومعهم الشيخ – كان من نوع آخر (٢).

والخلاصة أن كرومر قد عمل على إقناع المصريين أن أحكام الشريعة الإسلامية كانت للعصور الأولى للإسلام، ولا يمكن أن تناسب أبدًا عصر المدنية الذي نعيشه، فهي جامدة غير قابلة لمجاراة العصر الحديث، وكان من أثر هذه الأفكار أن أخذ محمد عبده هذه الفكرة وسار عليها، وكون لنا بعد ذلك ما يسمى بالتيار العلماني الذي يرى أن أحكام الشريعة الإسلامية غير صالحة لزماننا، وأنه يجب التخلي عنها ونفصلها تمامًا عن أمور الحياة.

وكان من أثر دعوات كرومر في التيارات العلمانية(٣) بعد ذلك وحتى اليوم أن أصحاب

---

(١) نقله غازي توبه في الفكر الإسلامي الحديث، ص٢٧، ولم يُحل لمصدره.

(٢) انظر: العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الشيخ سفر الحوالي، ١١٧/٢ .

(٣) العلمانية: Secularism وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم Ssience وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق في =

هذا التيار يحاولون المساواة بين الإسلام وما عداه من الأديان المحرفة والوضعية، ويحاولون إقناع الناس بأنه لا يوجد في مجال العقائد والشرائع حقائق فكرية ثابتة، وإنما آراء قابلة للأخذ والرد، مما أوصل بعض المسلمين إلى الشك في اليقينيات وعدم الاعتقاد بوجود الله؛ أي الإلحاد والعياذ بالله .

بالإضافة إلى أن هذا التيار العلماني الموجود في بلادنا الآن أخذ عن كرومر رفض الدين من خلال تقسيمه إلى إسلام سلفي وإسلام تجديدي –كما فعل محمد عبده بمحاولاته التجديدية في الدين – ويقصدون بالسلفية عدم مواكبة العصر أو الجمود، أما التجديدية فهي الملائمة لهذا العصر، المتوافقة مع معطياته، ومعلوم أن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ، ولكن هذه إحدى الطرق لرفض الإسلام الخالص، والتي لا يجرؤون على القول بها علنًا .

وكان من آثار محمد عبده - المتبع لمنهج كرومر في التغريب – أن التيار العلماني الناشئ بعده قد طوع الخطاب الديني وفق رؤيته، فأذاب مفهوم الولاء والبراء، وحرف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة أو مبتورة لها، فتبدو كأنها تؤيد الفكر العلماني، أو على الأقل لا تعارضه .

ومن الوسائل الحديثة لتطويع الخطاب الديني خبر بثته القناة الخامسة الفرنسية في ١١/ ٢/ ٢٠٠٩م مفاده: تخريج أول دفعة من الأئمة المسلمين الذين تم تأهيلهم في المعهد الكاثوليكي التابع لجامعة باريس، وهو الجهة التي قبلت أن تنظم لهم دورات تثقيفية في موضوعين أساسيين هما: الجمهورية والعلمانية، وقد بلغ عددهم أربعة آلاف إمام مسجد للجالية المسلمة التي تبلغ خمسة ملايين شخص، وقد قررت الجهات المعنية إخضاعهم لهذه العملية باعتبار أنهم بإسلامهم وحده كائنات معيبة تحتاج لتهذيب وإصلاح، وذلك لا يتأتى إلا بتلقينهم مبادئ وتعاليم الديموقراطية [1] والعلمانية عبر الكنيسة [1].

=

بداية القرن التاسع عشر، وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر، أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية، ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه . الموسوعة الميسرة، ٦٧٩/٢ .

(١) الديمقراطية: هي في الأصل كلمة لاتينية مكونة من شقين وهما Demos وتعني الحكم أو السلطة، وKratos =

### ٤- إنشاء مجلس شورى القوانين لسنِّ قوانين تحل محل أحكام الشريعة:

و كان من أعظم خطط كرومر للقضاء على الشريعة الإسلامية إنشاء مجلس شورى القوانين، الذي كان الإنجليز يحكمون مصر من خلاله، والذي قدم الشيخ محمد عبده له خدمات جليلة مما دفع المستشار القضائي الإنجليزي إلى رثائه في تقريره عن المحاكم لعام ١٩٠٥م قائلاً: "ولا يسعني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في شهر يوليه الفائت، وأن أبدي أسفي الشديد على الخسارة التي أصابت هذه النظارة بفقده ...

إلى أن يقول: و فوق ذلك، فقد قام لنا بخدمة جزيلة لا تقدر في مجلس شورى القوانين، في معظم ما أحدثناه أخيرًا من الإصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الإصلاحات القضائية؛ إذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها، ويناضل عنها، ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك .

و إنه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظرًا لسمو مداركه وسعة إطلاعه وميله لكل ضروب الإصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظفه في محكمة الاستئناف وسياحاته إلى مدن أوروبا ومعاهد العلم..."(٢).

و بالطبع فقد كان إنشاء مثل هذه المجالس التي تسن قوانين ما أنزل الله بها من سلطان لتحل محل الأحكام الشرعية من أخطر الآثار التغريبية في أحكام الشريعة الإسلامية والتي عمل كرومر كثيرًا على تحقيقها .

وبالجملة فإن محاولات كرومر للقضاء على أحكام الشريعة الإسلامية بعد زعزعة العقيدة

=

وتعني الشعب، وبذلك فإن الديمقراطية هي حكم أو سلطة الشعب، ويقصد بها حكم الشعب بواسطة الشعب أو من خلال اختيار الشعب لمن ينوب عنه في الحكم . العلمانية – الليبرالية – الديمقراطية – الدولة المدنية في ميزان الشرع، ص ٢١ .

(١) انظر: آثار العلمانية على العالم الإسلامي (التعليم – الإعلام – الدين والقيم)، نوره محمد عبد الله العويشز، بحث لاستكمال درجة الماجستير بكلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ/ ١٤٣١هـ، ص٩ – ١١.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث، ص٢٥-٢٧ .

عند المسلمين قد أتت ثمارها من خلال التأثير الكبير الذي استطاع تحقيقه في كثير ممن اعتبروا علماء المسلمين كالشيخ محمد عبده، والذي أخذ من أحكام الإسلام ما يتماشى مع فكره وترك منه ما يخالف مصالح المستعمرين .

وكانت بداية تجديد الخطاب الديني من الآثار التي ترتبت على دعوة محمد عبده للتوفيق بين الدين الإسلامي والحضارة الأوروبية؛ وكان انطلاق منهج تجديد الخطاب الديني له تأثير كبير على المجتمعات والشعوب بعد ذلك، وكان من أهم هذه النواحي التي تأثرت بالتجديد:

- **التعليم**: خاصة مناهجه؛ إذ كان لهذه القوى الكبرى تحت مسمى العولمة ومظلة التجديد اليد الطولى في التغيير والتحوير في مناهج التعليم في أكثر دول الإسلام .

فلا مناهج تتحدث عن الكفار وكيفية التعايش معهم، وإحياء مفهوم السلام العالمي، كما يريده الغرب الذي هو أبعد ما يكون عن السلام .

- **الإعلام بكافة وسائله**: سواء المقروءة أم المسموعة أم المنظورة؛ إذ أسند الأمر فيها إلى غير أهله من أصحاب الأفكار المنكوسة، مع حفنة من جهلة عوام المسلمين، الذين ليس لديهم علم في الدين الشرعي الصحيح، وهؤلاء مع الأسف الشديد العالم منهم والجاهل كلهم يدعون إلى تلك الدعوة من تجديد الدين، ونبذ الموروث عن السلف الصالح .

كما لا ننسى في هذا السياق أن نبين ما يسعى إليه بقوة من تجفيف المنابع، والمعنى بها تجفيف منابع الدين؛ إذ تدخل بكل خطاب إسلامي لكي يفي بمتطلبات تجدد الخطاب الديني، حتى نلائم الآخر ونقرب منه، فلا نتعرض للغرب وما هم عليه من باطل وتحريف .

كل هذا وغيره أنتج أمة جديدة خافية الفكر والتدين، وصاحب الفكر منهم ذو فكر مشوش منقطع عن أصوله، يدور حول مسألة تجديد الخطاب وتحريفه [١].

### ٥- آراء محمد عبده الاجتهاديه في الدين:

كان من أهم آثار كرومر التغريبية في الشريعة أنه ولى محمد عبده الإفتاء في مصر، وذلك لأنه سيسير على منهجه نفسه فيما يريده من تغريب الشرائع الإسلامية، وكان بالفعل كل ما

---

(١) انظر: العولمة وأثرها على الاعتقاد، علي بن عمر السحيباني، بحث مُحكم في مجلة الدراسات العقدية، التي تصدر عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، ٢٠١٠ م، ص٤٤٣- ٤٤٥.

أفتى به محمد عبده يعتبر تأثرًا بكرومر.

وتولى محمد عبده منصب الإفتاء في يوليو ١٨٩٩م، وأضفى عليه كرومر وجاهةً دينيةً وجلالا، وكان في منصبه هذا جريئًا، يصدر الفتاوى التي يرى فيها الجامدون — بزعمهم – زندقة وإلحادًا، وهو يراها اجتهادًا وتجديدًا وتمشيًا مع روح العصر بما لا يخالف حقيق الدين وجوهره، من ذلك " فتوى الترنسفال"(١) وهي إجابة على ثلاثة أسئلة:

أحدها: بقر يضربه النصارى على رأسه بالبلطة حتى تضعف مقاومته، ثم يذبح قبل أن يموت بدون تسمية الله عليه، فهل يجوز أكل لحمه ؟

فأفتى الشيخ بحلِّ هذا اللحم، وكانت للفتوى ضجة؛ لأن علماء الأزهر يقولون هي الموقوذة التي حرَّم الله أكلها، والشيخ يقول: إن الموقوذة التي ضربت بشيء غير محدد كالحجارة والخشب حتى ماتت، وهذه ذبحت قبل موتها .

و ثانيهما: يوجد أفراد في بلاد الترنسفال يلبسون القبعات لقضاء مصالحهم، وتمكنهم القبعة من جني بعض الفوائد، فهل يجوز ذلك أم لا ؟

فأفتى الشيخ بالجواز، ورأى أن لبس القبعة إذا لم يقصد به الخروج من الإسلام والدخول في دين غيره فلا يعد مكفرًا، وإذا كان اللبس لحجب الشمس أو دفع مضرة أو دفع مكروه وتيسير مصلحة لم يكره ذلك، وقد أثارت عليه هذه حملات شديدة من الجهلة وخصومه السياسيين .

والثالث: يصلي الشافعي خلف الحنفية بدون تسمية، ويصلون خلفهم العيدين فهل تجوز الصلاة ؟ ولم يكن لهذا السؤال ضجة كغيره .

وكلما هَمَّ الملك بعزله من منصب الإفتاء صرَّح كرومر بأنه لا يوافق على عزله، ومهما

---

(١) الفتوى الترنسفالية: هي فتوى لمحمد عبده، سألها قوم من المسلمين من بلاد الترنسف الجنوب إفريقيا، اشتهرت هذه الفتوى وسببت بعض الجدل بين علماء مصر، والفتوى جاءت رداً على عدة مسائل مختلفة، منها لبس البرنيطة وجواز أكل المسلمين من ذبائح أهل الترنسفال . انظر: موقع دار الإفتاء المصرية (الإلكتروني)، بعنوان الفتوى الترنسفالية.

كانت الأحوال ما دام موجودًا [(١)].

وما ذلك كله إلا لأن محمد عبده كان من أهم آثار كرومر في مصر، وأن فتاويه كانت تلقى قبولا كبيرًا عند كرومر ومن ورائه بريطانيا .

يقول سيد قطب[(٢)]: "يجب أن ننبه نحن في الظلال إلى دلالة مثل هذه العبارات (الأحرار) في مدرسة الشيخ محمد عبده وتلاميذها، فقد كانت هذه المدرسة بجملتها متأثرة بمناهج تفكير وأفكار غريبة على منهج التفكير الإسلامي الخالص، وكان هذا التأثر يجعلها تنظر إلى كتاب أوربا المناهضين للكنيسة بوصفهم أحرارًا، وكذلك الكتاب الذين يكتبون عن الديمقراطية والحرية الغربية، وكذلك إلى الأوضاع الأوربية نظرة استحسان، وكانت تدعو إلى الأخذ بما تسميه (الصالح من هذه الأفكار والأوضاع) بناء على ذلك التأثر.. وهذا مزلق خطر، كان يعطف عليه كرومر وأمثاله من الصليبيين، والأمر في حاجة إلى نظرة أعمق وأوسع وإلى استقلال واستغناء بالمنهج الإسلامي"[(٣)].

ومع وجود بعض الجوانب المشرقة في منهاج محمد عبده إلا أننا لا نستطيع أن نتجاهل نشاطه؛ حيث كان له أخطر الأثر في عملية "التغريب" وتقريب الأمة الإسلامية نحو القيم الغربية مما جعل كرومر يشيد بدعوته وبتلامذته ويعلق عليهم أمله في تغريب المجتمع المصري، ويذكر أنهم لذلك يستحقون أن يعاونوا بكل ما هو مستطاع من عطف الأوربي وتشجيعه .

ويكفي للتدليل على خطر هذه المدرسة أن نقرر دور تلاميذها في إفساد الحياة في مصر:

فهذا "لطفي السيد" يحيي التاريخ الفرعوني والنعرة الوطنية الإقليمية ويرعى الدعوة إلى "الحرية" بمفهومها الغربي، وهي كلها مبادئ بلغت مداها على يد تلميذ آخر لمحمد عبده هو

---

(١) انظر: في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ١/٢٩٠-٢٩٩ .

(٢) سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، من مواليد أسيوط، تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة)، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) وعين مدرساً للعربية، فموظفاً في ديوان وزارة المعارف، ثم (مراقباً فنياً) للوزارة، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، وكتبه كثيرة منها (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و(العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(التصوير الفني في القرآن) و(في ظلال القرآن)، توفي عام ١٩٦٧م . الأعلام ، ٣/١٤٧ .

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ٣٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ٣/١٦٣٧ .

"سعد زغلول" .

وهذا تلميذه "قاسم أمين"[(١)] يفسد الحياة الاجتماعية في مصر بدعوته إلى "تحرير المرأة".

لقد كان محمد عبده يريد أن يقيم سدًّا في وجه التيار العلماني اللاديني ليحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث أن هذا السد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الإسلامي لتحتل المواقع واحدًا تلو الآخر، ثم جاء فريق من تلاميذ "محمد عبده" وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى طريق العلمانية (اللادينية)[(٢)]:

رام نفعًا فضرَّ به من غير قصد ... ومن البرِّ ما يكون عقوقًا[(٣)].

(١) قاسم بن محمد أمين المصري، كاتب باحث، اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها، ولد ببلدة " طرة " بمصر، وانتقل مع أبيه "الضابط أمير ألاي محمد بك أمين " إلى الإسكندرية، فنشأ وتعلم بها، ثم بالقاهرة، وأكمل دراسة الحقوق في " مونبلييه " بفرنسا، وعاد إلى مصر سنة ١٨٨٥م فكان وكيلا للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة، فمستشاراً بمحكمة الاستئناف، وتوفي بالقاهرة عام ١٩٠٨م، له كتاب: "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة" وكان لصدورهما دوي كبير، وأثر سيء . الأعلام ، ١٨٤/٥ .

(٢) انظر:عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة، ط١٠، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٣٠/١-٣١.

(٣) ديوان الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص٨٣ .

# الفصل الخامس

# آثار اللورد كرومر في المؤسسات الشرعية والتعليمية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إنشاؤه مدارس، وجامعات للتعليم على المناهج الغربية.
المبحث الثاني: خططه لتغريب الجامعات، والمدارس الشرعية.

# المبحث الأول
# إنشاؤه مدارس، وجامعات للتعليم على المناهج الغربية

عمل اللورد كرومر منذ أن وطأ أرض مصر على تغريب المجتمع المصري، وكان من أهم الوسائل التي استخدمها في تحقيق هذا الغرض، أن حرص على إنشاء المدارس والجامعات على مناهج الغرب النصراني، ومن أهم الجامعات والمدارس التي أنشأها اللورد كرومر على مناهج الغرب ما يلي:

**١- كلية فيكتوريا بالإسكندرية:**

أنشأ كرومر كلية فيكتوريا بالإسكندرية، وقد تم افتتاحها سنة ١٩٣٦م، وعملت هذه الكلية على تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي، ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربية.

ويظهر المنهج الغربي في هذه الكلية من قول اللورد لويد[(١)] حينما افتتح هذه الكلية سنة ١٩٣٦م: "كل هؤلاء لن يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ"[(٢)].

و قال كرومر عن كلية فكتوريا في تقرير عام ١٩٠٦م: "في كلية فكتوريا في الإسكندرية الآن ٢١٥ تلميذًا منهم ٧٩ إسرائيليون و٧٩ مسيحيون و٥٧ مسلمون، والعمل جار في بناء الدار الجديدة التي ستنقل المدرسة إليها، وهي تسع ٣٥٠ تلميذًا، يكون منهم ١٢٠ إلى ١٥٠ داخلين"[(٣)].

**٢- مدارس البنات:**

عمل كرومر على توسيع دائرة التعليم للبنات، وكان يقصد بذلك أن تتحصل البنت على شيء من التعليم الغربي، فيكون لذلك تأثير كبير على أولادهن بعد ذلك، وهذا يؤدي إلى نشر

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة، ٢/٦٩٩ .

(٣) تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية في مصر وفي السودان سنة ١٩٠٦م، رفعه جناب الأول كرومر قنصل دولة إنكلترا الجنرال ووكيلها السياسي في مصر إلى جناب السر إدورد جراي ناظر خارجيتها، ص١٦٣ .

الثقافة الغربية شيئًا فشيئًا في الوسط المصري .

يقول في تقرير سنة ١٩٠٦م في الباب الخاص بتعليم البنات: "صارت مسؤولية تعليم البنات في مصر في منزلة عظيمة من التقدم تدعو إلى شدة الاهتمام بها، فإن ما كان الوالدان يبدونه في ما مضى من الاستنكاف من تعليم بناتهم في مدارس الحكومة والمدارس الخصوصة آخذ في الزوال سريعًا .

ولا تنحصر رغبة الوالدين الآن في تعليم بناتهم فقط، بل تتجاوزه إلى الاهتمام بنوع التعليم الذي تعلمه المدارس، فقد كان الوالد منذ بضع سنوات يقصر اهتمامه على السماح لابنته بالدرس في مدرسة مكتفيًا بذلك، أما الآن فكثيرون من الوالدين يزورون المدرسة السنية ويطلبون الوقوف على برامجها، فإذا لم يلائمهم أعربوا عن رغبتهم في البحث عن مدرسة خصوصية تفي برغباتهم .

وقد بلغ عدد مدارس البنات ٢٠٩٠ مدرسة في ديسمبر ١٩٠٦م فيها ١٣٧٠٥ تلميذات، أي بزيادة ١٥ % عن عدد التلميذات في سنة ١٩٠٥م، وزاد عدد البنات في الكتاتيب زيادة كبيرة، ففي سنة ١٩٠٠م كان عددهن ١٦٤٠ تلميذة في ٢٢٥ كتابًا، فبلغ عددهن في سنة ١٩٠٦م في كتاتيب الحكومة وحدها ٢١٣٥ و١٧٠٤ بنات في الكتاتيب الخصوصية التي تحت مراقبة الحكومة"(١).

### ٣- مدارس الراهبات الإنجليزية والفرنسية:

جاء راهبات(٢) المحبة وأسسن مدرسة لتربية البنات سنة ١٨٤٦م، وحذا حذوهن الراهبات الفرنسيسكان وأنشأن مدرسة بالقاهرة سنة ١٨٥٩م بالقرب من الأزبكية، وأخرى ببولاق سنة ١٨٩٨م، وغيرها بالمنصورة سنة ١٨٧٢م .

و قد أم هذه المدارس كثير من الطلبة والطالبات من كل جنس حتى بلغ عددهم في عهد إسماعيل ما يربو على ثلاثة آلاف طالب وطالبة، على الرغم من أن الغرض الأساسي لهذه البعثات كان نشر الدين الكاثوليكي، وخدمة الاستعمار الفرنسي، والتمكين لنفوذ فرنسا الأدبي

(١) المرجع السابق، ص١٥٤.

(٢) الراهب: هو العالم في الدين النصراني من الرياضة والانقطاع عن الخلق . التعريفات، ص١٠٩ .

بمصر، وفي ذلك يقول اللورد كرومر: "إن الفرنسيين قد قضوا نصف قرن قبل الاحتلال البريطاني ينشرون لغتهم بكل ما لديهم من وسائل، في حين ظلت الحكومة البريطانية متعطلة لا تبذل أي جهد في تعليم المصريين "(١) .

وعلى الرغم من أن فرنسا كانت تسودها روح الإلحاد فإنها شجعت رجال الدين الذين ينشرون الثقافة الفرنسية في الخارج، وأرسلت البعثات "العلمانية" إلى مصر، فأسست عددًا من المدارس، ونوه رئيس مجلس النواب الفرنسي، ورئيس البعثات العلمانية في الشرق بمنهج هذه المدارس، وأنها تعمل على احترام جميع العقائد ونشر الثقافة الفرنسية، والاهتمام بالروح الوطنية في البلاد، وأظهر أن البعثات العلمانية لا تسير في هذا المنهج إلا على ضوء التقاليد التي اشتهرت بها فرنسا، وهي الدفاع عن حرية الشعوب وكرامتها الشخصية(٢).

رأى كرومر أن الشعب المصري لا يمكن أن يقبل الاستعمار الإنجليزي إلا إذا أقبل على الثقافة الإنجليزية، وقدم له الإنجليز عملًا مجديًا في سبيل تعليمه، ولكن هل كان كرومر جادًّا في تعليم المصريين ؟ أو أن غايته هي بسط نفوذ الاستعمار، ولو أدى ذلك إلى الرجوع بالتعليم إلى الوراء ؟!

**٤- مدارس ثانوية (٣) على النمط الغربي:**

من المدارس التي أنشئت على المناهج الغربية المدارس الثانوية العديدة التي أنشأها اللورد كرومر في ربوع مصر؛ حيث أنشأ في عام ١٩٠٦ م فقط ثلاث مدارس ثانوية، يقول كرومر في تقرير عام ١٩٠٦م: فتحت مدرسة ثانوية رابعة في القاهرة في السنة الماضية في دار مؤقتة، والعمل في بناء مدرستين ثانويتين جديدتين، إحداهما في القاهرة والأخرى في الإسكندرية(٤).

لقد وضع كرومر سياسة تعليمية سار عليها أمدًا طويلًا، وجاء "دنلوب" في سنة ١٩٠٦م وورثها عنه ولقنها منه، وعمل على تنفيذها، وتتلخص هذه السياسة في الأمور

(١) نقلاً عن في الأدب الحديث، ١٣/٢ .

(٢) انظر: في الأدب الحديث، ١٣/٢.

(٣) مرحلة تعليميَّة بعد الإعداديَّة في بعض البلاد العربية، أو المتوسطة في بعض آخر وتُعِدّ للتعليم الجامعي . معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣٣٢/١ .

(٤) انظر: تقرير عن المالية والإدارة ... سنة ١٩٠٦م، ص١٤٩ والتي بعدها .

التالية:

١- نشر التعليم بين الفتيات المصريات، ولعله تأثر في ذلك بما قدمته "مس ونلي"[(١)] من خدمات في هذا المضمار، وظن أن تعليم البنت وتلقينها الثقافة الإنجليزية يهيئ الفرصة لوجود جيل من الأبناء يحبهم ويعطف عليهم .

٢- العمل على محو الأمية بين الفلاحين والطبقات الفقيرة بمصر، وذلك بتعميم مدارس القرى في الريف، ومدارس المساجد في المدن .

٣- إعداد فريق من الشبان المصريين لتولي الأعمال الكتابية والإدارية، والفنية المتواضعة في الحكومة .

٤- مناهضة الثقافة الفرنسية، واللغة العربية في المدارس وإحلال اللغة الإنجليزية محلها .

و قد أخفق كرومر في هذه السياسة كل الإخفاق؛ لأنه لم يكن خبيرًا بشئون التعليم؛ ولأنه قاوم الحركة الوطنية التي بدأت سيرها منذ عهد محمد علي، والتي نهضت باللغة العربية، وساعدت على انتشار اللغة الفرنسية؛ ولأنه لم يفهم نفسية المصريين على حقيقتها، وظن أنه حين ينهض بتعليم الفتاة يجد إقبالًا على سياسته تلك، ونسي أن الحجاب كان ذا سيطرة قوية حينذاك، وأن المصريين نظروا إلى اللغة الإنجليزية على أنها لغة المحتل الغاصب، فانصرفوا عن مدارسه، ومما عمل على شدة إخفاق سياسته في ميدان التعليم ذلك المستشار الإنجليزي الذي وضعه بوزارة المعارف يسير أمورها، وهو لا يعرف من شئون التربية قليلًا أو كثيرًا، ألا وهو "دوجلاس دنلوب" الذي خدم وزارة المعارف من سنة ١٩٠٦م إلى ١٩١٩م .

اجتمعت في دوجلاس دنلوب سوأتان، فهو قسيس اسكتلندي، وقد اشتهر أهل اسكتلندا بغلوهم الاستعماري، ونظرتهم إلى الشعوب الملونة نظرة ازدراء، واعتقدوا أنهم لا يصلحون لإدارة أمورهم بأنفسهم، وأنه لا بد لهم من قيادة غربية حتى تستقيم أمورهم . وقد جاء دنلوب خير مثل يضرب لضيق الأفق، ونقص الثقافة، والتعصب الذميم لرأيه، وأصدق ما وصف به هذا الذي نكتب به مصر بعامة، ووزارة المعارف بخاصة ما قاله عنه وعن سياسته البغيضة في التعليم "السير فالنتين تشرول" في كتابه المسألة المصرية:

---

(١) لم أقف لها على ترجمة .

"لقد كانت سياستنا التعليمية تفتقر إلى الروح المعنوية، والإلهام القوي؛ لأننا تركناها في يد مستشار وزارة المعارف دنلوب، وكان دنلوب حسن النية، دءوبًا على الجد والعمل، غير أن آراءه في التربية لم تتعدَ ما كانت توحي به تلك الدروس التربوية التي تلقاها في حداثته .

ومهما امتاز دنلوب من صفات محمودة فإنه كان ضيق الفكر، قصير النظر يؤمن بالكمية لا بالنوع، أي كثرة المواد الدراسية لا نوعها، وكان وهو متربع في كرسي مكتبه بوزارة المعارف يصدر الأوامر والنظم والقوانين المتعددة كما تتصورها عقليته، وقلما كان يأبه لرأي سواه .

أما نصح المصريين له فكان — بالطبع – لا يجد منه أذنًا مصغية ولا يتسع له صدره، فلا بدع إذا أخفق كرومر في سياسته التعليمية بمصر وهذه عِدده ووسائله، لقد أتى كرومر مصر ونسبة تعليم البنات بها ثلاثة في الألف في سنة ١٨٨٣م، وخرج من مصر سنة ١٩٠٧م ونسبة تعليم البنات ثلاثة في الألف كذلك، وأي إخفاق أعظم من هذا في أول مشروع في منهجه التعليمي !!.

و إذا قيل: لقد امتحن كرومر بتعليم البنت، وأبت مصر المحافظة التي كان للدين بها أثر كبير أن تدفع فتياتها إلى ميدان التعليم ولا سيما وميدان العمل لم يكن قد فتح أمام الفتاة كما هو الشأن اليوم، ولعله كان أكثر نجاحًا في مشروعه الثاني وهو محو الأمية؛ لأنه تعليم للذكور وتعليمهم استمرار للنهضة التي وضع أسسها محمد علي ونماها إسماعيل .

لقد بذل كرومر في تعليم الذكور جهدًا كبيرًا، وأعان مكاتب القرى بالمال، وأنشأ مجالس المديريات، وأعطاها سلطة فرض ضرائب محدودة لتستعين بها على محو الأمية، ومع كل هذا جاءت النتيجة عكس ما قدر "كرومر" .

فقد ابتدأ عهده في سنة ١٨٨٣م ونسبة المتعلمين من الذكور ١٦%، ورحل عن مصر سنة ١٩٠٧م ونسبة المتعلمين لا تزيد عن ٨%، ومعنى ذلك أن عدد المتعلمين قد تضاءل إلى النصف، فهل يعد هذا نجاحًا، أم إخفاقًا ذريعًا ؟

و لعل من أسباب هذا الإخفاق وإحجام كثير من المصريين عن التعليم ما نهجه كرومر من فرض اللغة الإنجليزية على المدارس الابتدائية والثانوية، وعدم تشجيع التعليم العالي، فلم يجد المصريون أمامهم إلا طريقة معقدة تتنافى ودينهم ولغتهم كما وجدوا مستقبلهم معتمًا لا

يشجعهم على دفع أبناءهم إلى المدارس المصرية التي صبغت بصبغة إنجليزية، ولقد كانت جمهرتهم متدنية، ونظرت إلى هذا النوع من التعليم على أنه شيء ليس فيه ما يرضى الله أو الدين أو الوطن، ولم يقبل على المدارس المصرية إلا القليل من أبناء المدن"(١).

لقد قصد كرومر من هذه الجامعات والمدارس التي بناها تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي ليكونوا من بعدهم أدوات المستعمر الغربي في إدارة شؤون المسلمين .

وجاء "دنلوب" المتخرج من كلية اللاهوت البريطانية ليرسم سياسة التعليم في مصر، حيث وضع مناهج كفيلة بإخراج النماذج التي عناها القس زويمر (لا تعرف الصلة بالله).

ومصداق ذلك أن دارس الدين لا يدرس منه إلا نتف يسيرة مثل: إن الإسلام جاء ليبطل عبادة الأوثان ويعبد الله الواحد، ويحرم وأد البنات، وأستاذ هذه المادة يختار من أسن الأساتذة وبمظهر رث، ثم تلغى مادة الدين في نهاية العام الدراسي .

أما مادة التاريخ فكان يخفى على الطالب فيها: أن الإسلام جاء ليحارب الشرك بكل مظاهره ويعطي نبذاً عن دراسة صدر الإسلام، وأن مهمة الإسلام تغيير ما كان عليه العرب في جاهليتهم، ويركز فيه أيضاً على الجانب السياسي والصراع بين الطبقات الحاكمة، أما حياة المجتمع الإسلامي فلا شيء يذكر من ذلك .

وكذلك البطولات الإسلامية والحركة العلمية الإسلامية، كل ذلك يخفى عن الطلاب في الوقت الذي يدرس فيه بتوسع تاريخ أوروبا ونهضتها ورجالها وأبطالها وأنها بلد التقدم والرقي ومهبط المدنية؛ لأن فيها فحمًا وحديدًا .

وخلاصة القول أنه كان يلقن الطلاب أن أوروبا هي العملاق الضخم الذي لا يقهر، والإسلام هو القزم الضئيل الذي عليه أن يتعبد هذا العملاق ليعيش(٢).

يقول كرومر عن هدفه من تعليم الشاب المصري: "إن الحقيقة أن الشباب المصري الذي قد دخل في طاحونة التعليم الغربي ومَرّ بعملية الطحن يفقد إسلاميته، وعلى الأقل أقوى

(١) في الأدب الحديث، ٢/١٦- ٢٣ .

(٢) انظر: الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم/ فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار طيبة – الرياض، ط ١، ص٣٩٦-٣٩٧ .

عناصرها وأفضل أجزائها، إنه يتجرد عن عقيدة دينه الأساسية"[(١)] .

ليُعلم أن طاحونة التعليم الغربي كما وصفها هذا لم تقتصر على مكان دون مكان، بل طبّقت العالَم، فعلوم الغربيين ولغاتهم شملت الأرض كلها، وقد مَرَّ بعملية الطحن وانْطحن من أخذ بُنَيّات الطريق عن منهج نبيّه وخلفائه الراشدين، وإنما لا يُشعر تائه بمصابه .

ويقول كرومر: "إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ! والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزا في طريق أي إصلاح تعليمي، وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني، ولا يصيبون إلا قدراً ضئيلاً من مرونة التفكير والتقدير، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة الخطر.

ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الأمل محصوراً في إصلاح التعليم اللاديني، الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح، وعندئذٍ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين: فإما أن يتطور، وإما أن يموت ويختفي .

هذا الكلام الذي قاله (كرومر) يبين أن انحراف الأمة في التعليم هدف مقصود من قِبَل الأعداء لِعلمهم أنهم لا يقدرون على الأمة إذا لم تُدخل علومهم ولغاتهم وتتخلى عن الطريقة السلفية وقد مكروا مكرهم وحصل لهم مرادهم"[(٢)].

ومن هذا البيان يتأكد لنا أن هدف كرومر من إنشاء المدارس والكليات فيعصره هو سير المصريين على المناهج الغربية، والابتعاد عن كل ما هو عربي إسلامي، للوصول في النهاية إلى تغريب المجتمع المصري والفكر الإسلامي .

---

(١) مقال ندوة عن الهوية الإسلامية ٢، مجلة البيان، العدد ١٢٩ .

(٢) بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٤هـ، ص٤٠-٥٢ .

# المبحث الثاني
# خططه لتغريب الجامعات، والمدارس الشرعية

إن المطلع على تاريخ حكم اللورد كرومر في مصر وسياسته في التعليم هناك يرى سياسة ماكرة خطيرة على الجيل المصري المسلم؛ حيث لم تكن إلا امتداداً لذات الأهداف التي قدم من أجلها من بلاده البعيدة وهي استتباع واستعباد الأمم المسلمة عامة والمصرية خاصة، ولا يكون ذلك إلا بالحرص على كل جوانب الحياة للمجتمع المصري؛ وحيث أن من أهم ما يشكل هُوية وعقيدة ووعي أي أمة هو التعليم ولذلك عمد إلى الخطط الحديثة المدروسة التي تُؤتي ثمارها الأكيدة دون تصادم مع المجتمع، ولذلك وجدت أن خططه لتغريب الجامعات والمدارس الشرعية في مصر كانت من خلال أربعة ركائز رئيسة هي كالتالي:

**١ - خطة تولية قيادات إدارية موالية للاحتلال:**

في بداية مشوار كرومر في مصر كان يُدرك الآثار العكسية التي ترتبت على سياسة القوات الفرنسية إبّان احتلالها لمصر، والتي كانت تعتمد على القوة لحمل المجتمع على النصرانية أو على الأقل دفعه لقبول الغرب ومبادئه وحضارته الجوفاء، ولذلك لم يحقق الفرنسيون أي انتصار فكري يُذكر، فعمد كرومر بحنكته وتجربته في بلاد الهند إلى تجنب القوة والعنف والإكراه تجاه تغيير المجتمع الذي كان يُدرك خطر المحتل وأهدافه، ولذلك كان يمنع المنصريين الذين كانوا يخطفون الرجال والأطفال لتنصيرهم حتى بلغ بهم الضيق أن شكوه إلى حكومته، ولما بلغته الشكوى اجتمع بهم وأوضح لهم الأمر بأن القوة لا تنفع مع هذا المجتمع وأنه بصدد الاستعانة بأحد رجال الكنيسة، حيث وضع له خطة ستحقق أهدافه وأهدافهم دون عناء، ثم لم يكن منه إلا أن عين ذلك الشاب القسيس على رأس هرم التعليم في مصر (١) .

وللقارئ التصور كيف سيكون حال التعليم في بلد مسلم عندما يعتلي صهوة مؤسساته التعليمية قسيس جاء محروساً بجنود الاحتلال ؟!

---

(١) انظر: كتاب التبشير والإرساليات التبشيرية، وهو كتاب ممنوع إخراجه من المتحف البريطاني، نقلاً عن واقعنا المعاصر، ص٢١٦ .

لقد طوع ذلك القسيس المدعو دنلوب كل التعليم المصري لأهداف بلاده وسعى ومن وراءه كرومر إلى إفساد مؤسسات التعليم وتفريغه من محتواه، وكان له كامل السلطة في وزارة المعارف وإن كان متوارياً خلف قيادات وطنية كانت تسير على نفس طريق الاحتلال.

**٢- خطته لتغريب مناهج الجامعات والمدارس الشرعية :**

لم يكن هم كرومر ودنلوب من التعليم للمصريين الرقي بهم كما كان ظن بعض المخدوعين من المصريين آنذاك، ولكن كانت سياستهم من الاهتمام بالتعليم هو قطع الطريق على الشباب المسلم من تلقي كل ما يمده بالقوة الروحية والمعنوية لمواجهة الحياة ومواجهة كل متربص بهم أو بدينهم أو بأمتهم أو ببلادهم، وما من سبيل إلى ذلك إلا عن طريق السيطرة على المنهج العلمي الذي يتلقاه الطلاب في المراحل الدراسية، بل كانت أهداف كرومر أبعد من ذلك بكثير؛ حيث كان يُريد من التعليم الدفع بالشباب تجاه أحضان الغرب بكل ما فيه وإن لم يتحقق هذا الهدف فلا أقل من يكون فارغ الروح والعقل مُنشغلاً بحياته ورزقه، وقد أكد هذا كرومر عندما قال: "إن الحقيقة أن الشباب المصري الذي قد دخل في طاحونة التعليم الغربي، ومر بعملية الطحن يفقد إسلاميته، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزئها، إنه يتجرد عن عقيدة دينه الأساسية"(١)، ثم بين هدفه من التعليم في حال لم يفلح ثني الشباب عن عقيدته حيث قال: "إن انجلترا لا تريد نشر التعليم العالي في مصر، وأنها لا تريد إلا إعداد جمهور من طبقة الأفندية ليشغلوا الوظائف الثانوية ..."(٢)، ولقد عمد هو ودنلوب إلى تقليص عدد سنوات الدراسة لمنهج مدرسة المعلمين إلى عام واحد بدلاً عن أربع سنوات كما هو المعمول بها في ذات المدارس في بريطانيا (٣) .

و كان من تمام الخطة الشيطانية هو إقصاء العلوم الدينية ولا يكون ذلك بسرعة حتى لا يتنبه الناس لذلك ويثوروا على خطته، ولكن عمدوا إلى تمييع المناهج الإسلامية باسم التطوير(٤).

---

(١) مقال ندوة عن هويتنا الإسلامية ٢، مجلة البيان، العدد ١٢٩ .

(٢) أعلام وأقزام، ٤٣١/٢ .

(٣) انظر: أعلام وأقزام، ٤٣٣/٢ .

(٤) انظر: مقال أساليب الغزو الفكري، ص٦٧ .

لم يكن ذلك كل شيء بل أدخلوا علوم أخرى ضررها أكثر من نفعها في المناهج المدرسية كالفن والرقص وغيره، ووصف كرومر بأن مثل هذه المناهج ستغري الجيل لامتصاص الروح الحقيقية للحضارة الأوربية [١] .

**٣- خطة كرومر بإنشاء مدارس وجامعات على النمط الغربي تكون منافسة للمدارس والجامعات الشرعية :**

لقد حرص كرومر ودنلوب على استحداث مدارس وجامعات جديدة، وكانت هذه الخطوة مقصودة لا لزيادة أعداد المتعلمين في المجتمع المصري، ولكن كانت مقصودة لأمرين:

أ-**جعلها محضن لتعليم الطلاب المناهج الغربية** الخالصة والتي ستشكل هويته الجديدة التي ستجعله يسير في ركاب الغرب، ويعمل لتحقيق مصالحه، وهذا بشهادة كرومر ذاته عندما افتتح جامعة فكتوريا حيث قال: "هم الجسر بين الثقافة الغربية ومواطنيهم المسلمين"[٢] ذلك لـ"أن الشباب المصري الذي قد دخل في طاحونة التعليم الغربي، ومر بعملية الطحن يفقد إسلاميته، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزئها، إنه يتجرد عن عقيدة دينه الأساسية"[٣] ومن يتجرد عن عقيدته ودينه، ويلبس لباس الغرب ويقبل مبادئه لابد وأن يكون سلاحاً لأسياده في وجه أمته، وهذه هي المحصلة التي يسعى لها كرومر من وراء إنشاء الجامعات والمدار س الغربية في بلاد المسلمين .

ب- **منافس ومزاحم للمدارس والجامعات الشرعية** التي لازالت تُعَلِم المناهج الشرعية، والصحيح أن كرومر لم يعمل على إنشائها إلا ليقصي تلك المؤسسات التعليمية ويُحقرها في أعين الناس فلا يحرصوا على تعليم أبنائهم فيها فهي غير متطورة وغير متحضرة كمدارس وجامعات كرومر الحديثة التي تعلم المناهج الإفرنجية لطلابها، زد على ذلك بأن المدارس والجامعات الشرعية لا تُأهل طلابها لوظائف مرموقة بعد التخرج؛ حيث جُيرت الوظائف والمناصب لطلاب مدارس كرومر ودنلوب الذين دخلوا طاحونة التعليم الغربي كما وصف ذلك كرومر بكلامه قريباً .

(١) انظر: مصر الحديثة، ٥٣٨/٢، نقلاً عن الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي، سامي عزيز، ص٢٧٦.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٤٦.

(٣) مقال ندوة عن هويتنا الإسلامية ٢، مجلة البيان، العدد ١٢٩ .

**٤ - خططه الموجهة لمعلمي الدين واللغة العربية :**

لقد عمد كرومر بمساعدة دنلوب لتهميش معلمي الدين واللغة العربية، حيث هضمت حقوقهم من الرواتب والترقيات والامتيازات، والتي كان يحضى بها أقرانهم من معلمي المواد الأخرى، ففي حين يتقاضى معلمي الدين واللغة أربعة جنيهات فقط كان يتقاضى أولئك اثنى عشر جنيهاً !، مما انعكس سلباً على مستوى هؤلاء المعلمين نفسياً ومعنوياً وحتى اجتماعياً، بل تعمدت الإدارات الخاضعة لدنلوب تهميشهم عن التصدر كما كان هو شأنهم على مر العصور الإسلامية، وسقطت هيبته بين طلابه، زد على ذلك أنهم يختارون لهاتين المادتين المعلمين الأكبر سناً بحجة إراحتهم، وتوضع حصصهم في نهاية الجدول الدراسي عندما يبدأ تململ الطلاب من المدرسة، وكل ذلك بهدف إسقاط أولئك المعلمين من أعين الطلاب، فلا يُهتم بحصصهم ولا بما يقولون بل يصبح رمزاً للضجر والضيق ومحلاً للتهكم والسخرية [١] .

---

(١) انظر: كتابات جورجي زيدان – دراسة تحليلية في ضوء الإسلام –، محمود الصاوي، دار الهداية، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ص ٣٤٩-٣٥٢ .

# الفصل السادس

# آثاره في قضايا المرأة

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: آثاره في قضية الحجاب .**

**المبحث الثاني: آثاره في دعاوى تحرير المرأة .**

# المبحث الأول
# آثاره في قضية الحجاب

لا شك أن لكرومر دورًا كبيرًا في سفور المرأة المسلمة في مصر؛ حيث دعا النساء إلى خلع الحجاب، وزعم أن مصر لن ترى التقدم ولن تخرج من جهلها إلا بخلع النساء للحجاب؛ لأنه السبب الأساسي للتخلف الذي تعانيه مصر، كما مر معنا ذلك سابقاً .

ومن أخطر الآثار التي ترتبت على دعوة كرومر لخلع الحجاب، والسير في خطة محكمة لتغريب الحجاب في مصر والشرق كله – أن خرج جيلٌ في مصر تأثر أشد التأثير بهذه الدعوة، وتبنى أفكاره الخبيثة في قضية الحجاب، وكانت هذه المجموعة التي تبنت آراءه أخطر في تأثيرها مما فعله هو بنفسه، فخرج علينا قاسم أمين ومحمد عبده ومرقص فهمي [(١)] والأميرة نازلي[(٢)] وغيرهم كثير يدعون جميعًا إلى الحجاب، وتعري المرأة، وزعموا أن التقدم لن يأتي إلا بذلك، وجندوا كل ما يملكون لخلع حجاب المسلمة، ومن ذلك ما يلي:

### ١- الأميرة "نازلي فاضل "وتأثرها بكرومر في قضية الحجاب:

أما نازلي فاضل هذه فجدها إبراهيم باشا، وقد كانت أداة في يد الإنجليز وخاصة كرومر، وذلك أن مرقص فهمي، حينما أصدر كتابه "المرأة في الشرق"، الذي دعا فيه صراحة للقضاء على الحجاب الإسلامي، ودعا لإباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب عنها، ولتقييد الطلاق، وإيجاب وقوعه أمام القاضي، ومنع الزواج بأكثر من واحدة، وإباحة الزواج بين المسلمات والأقباط النصارى، فقد أحدث هذا الكتاب ضجةً عنيفة، فبدأ الاستعمار الإنجليزي إثر هذه

---

(١) مرقص فهمى، محامى ووطني مصري، ولد عام ١٨٧٠ م، تخرج بكلية (إكس) الفرنسية، وشارك في الحركة الوطنية أيام مصطفى كامل ومن بعده، وتوفي بالقاهرة عام ١٩٥٥م، من مؤلفاته "المرأة في الشرق" . الأعلام ، ٢٠٤/٧ .

(٢) الأميرة نازلي، زوجة الملك فؤاد الأول بعد طلاقه من زوجته الأولى الأميرة شويكار، ولدت عام ١٨٩٤م، وهي ابنة عبد الرحيم باشا صبري الذي كان مديرًا لمديرية المنوفية، ثم عين بعد زواجها من الملك فؤاد وزيرًا للزراعة، وأمها توفيقة هانم ابنة رئيس وزراء مصر وأبو الدستور المصري محمد شريف باشا، وجدها لأمها سليمان باشا الفرنساوي الذي جاء لمصر مع الحملة الفرنسية ولكنه رفض الرحيل ومكث بها وأشهر إسلامه، و أنجبت من الملك فؤاد الملك فاروق، ودخلت في علاقة عاطفية مع أحمد حسنين باشا، وتزوجا عرفيًا، توفيت عام ١٩٧٨م . ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ص١١٣ .

الضجة يبحث عن وسيلة لشد أزر مرقص فهمي، فلجأ إلى الأميرة نازلي فاضل ليستعجلها على عمل شيء يساندُ مرقص فهمي، من خلال صالونها الذي افتتحتهُ آنذاك، ليكون مركزًا تبث منهُ الدعوة إلى التغريب عامة، وإلى تحرير المرأة خاصة .

وكان من نتيجة تعاونها مع الإنجليز على شدِّ أزر مرقص فهمي، أن ضغطت على قاسم أمين الذي ألف كتابهُ "تحرير المرأة "، وما بعده من كتب .

وكان الشيخ محمد عبده مقربًا لدى الأميرة نازلي فاضل، وقد سعى لأستاذه كي يتوسط لها لدى السلطان ليمنحها وسامًا سلطانيًّا .

وكانت هي قد سعت لدى الخديوي "توفيق" ليعفو عن الشيخ محمد عبده عقب عودته من منفاه كما التمست وساطة كرومر للأمر نفسه، وتم المراد، وعفا عنه الخديوي .

وقد أدركت تلك الأميرة ما للشيخ من تفوق عقلي وخلقي فخصته بمكانة متميزة .

وقد ظهر تأثيرها على موقف الشيخ محمد عبده من الإنكليز الذين كان يشتد عليهم قبل التعرف على الأميرة أثناء صحبة الأفغاني وعقب الثورة العرابية، أما بعد اتصال الشيخ بالأميرة التي كانت صديقة لبعض الإنكليز، فقد خفت حملته ضد إنكلترا وسمح بصداقته الشخصية لكرومر صديق الأميرة نازلي، وهذا ما أحنق صدور بعض الوطنيين عليه، وإن دافع عنه تلاميذه بقولهم:

إنه سمح بصداقته للورد كرومر دون تفريط في حق بلاده أو عدول عن رأيه السياسي(١) .

هذا عن دورها مع مرقص فهمي ومحمد عبده، أما عن دورها مع قاسم أمين فكان هو الأكبر، حيث كانت أعظم الثمار لهذه الحركة كتب قاسم أمين عن تحرير المرأة، وكانت البداية أن ردَّ قاسم أمين على الدوق داركير عندما اتهم المصريين، وفي كتابه الذي رد به على داركير رفع من شأن الحجاب، وتنقص من السافرات التي يتشبهن بالأوروبيات، فجاش غيظ الأميرة نازلي، فهدأها محمد عبده وسعد زغلول، وقربوا قاسم أمين إلى الأميرة نازلي، فعفت عنه وتردد على صالونها، واعتلت مكانته عندها، ثم بعد ذلك نشر كتابه الذي دعا فيه إلى تحرير المرأة،

---

(١) انظر: عودة الحجاب، مرجع سابق، ٣٨/١ .

ولا يمتاز قاسم أمين عن رفاعة الطهطاوي[(١)] إلا بأنه عقد صداقة مع أقطاب الماسونية[(٢)] المصرية ومن رواد صالون نازلي فاضل[(٣)].

## ٢- هدى شعراوي وآثارها في الدعوة لخلع الحجاب:

تعتبر هدى شعراوي بأفكارها الفاسدة من آثار التغريب التي وضعها كرومر في مصر، وهي ابنة محمد باشا سلطان، الذي كان يرافق جيش الاحتلال البريطاني في زحفه على القاهرة، ويدعو الأمة إلى استقباله وعدم مقاومته، ويهيبُ بها إلى تقديم كافة المساعدات المطلوبة له، وقد سجل له التاريخ تقديمهُ مع فريق من الخبراء هديةً من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال، شكرًا لهم على إنقاذ البلاد، وقد قوبلت خدمات سلطان باشا هذه من الإنجليز بالإنعام عليه بألقاب تخوله للقب سير، وأشاروا على الخديوي فمنحه عشرة ألاف من الجنيهات الذهبية، ولذلك فهي ذرية بعضها من بعض .

فهُدى هذه هي التي أكدت الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٣م، الذي أصبح يمارسُ نشاطه، حتى استطاع أن يمهدَ لعقد المؤتمر النسائي العربي عام ١٩٤٤م، وقد حضرت مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة، واتخذت منه القرارات المعتادة وفي مقدمتها: الطلاق وتعدد الزوجات، والمساواة التامة مع الرجال، وزاد على ذلك المطالبة بحذف نون النسوة .

وقد أصبحت هدى شعراوي وكيلة الاتحاد النسائي الدولي بجهود حركات التحرير

---

(١) رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، قيل يتصل نسبه بالحسين، عالم مصري، من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث، ولد في طهطا، وقصد القاهرة سنة ١٢٢٣ هـ، فتعلم في الأزهر، وأرسلته الحكومة المصرية إماما للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان أوفدتهم إلى أوروبا لتلقي العلوم الحديثة، فدرس الفرنسية وثقف الجغرافية والتاريخ، ولما عاد إلى مصر ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية، وأنشأ جريدة (الوقائع المصرية)، وألف وترجم عن الفرنسية كتبا كثيرة، منها: قلائد المفاخر في غرائب عادات الأوائل والأواخر، توفي عام ١٨٧٣ م . الأعلام ، ٢٩/٣ .

(٢) الماسونية : منظمة يهودية سرية هدامة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعه ( حرية، إخاء، مساواة) . انظر: اليهودية و الماسونية ،عبدالرحمن الدوسري ، ص٤٢-٤٩ ، و انظر : الموسوعة الميسرة، ٥١٠/١ .

(٣) انظر: الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار، محمد عطية خميس، ص ٧٣ - ٩٦.

الأوروبية والمحافل الماسونية ومنظمات الصهيونية[١] العالمية .

و منذ نشأة الحركة وحتى اليوم ورئاسة الاتحاد النسائي المصري لا تخرج عن تلميذات هذه الحركة، والزعيمة الأخيرة للاتحاد هي د. نوال سعداوي[٢] من أنشط المنظرات للتحلل والسفور[٣].

و قد حكت "هدى شعراوي" في مذكراتها المنشورة بمجلة (حواء) العدد رقم (١٢٢١) بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٨٠م عن الشيخ عبد العزيز البشري[٤] أنه قال في احتفال بذكرى قاسم أمين: "إن كثيرين من الحاضرين كانوا أشد من وجع الضرس وضرباته على دعوة قاسم أمين وعلى شخص قاسم أمين، وقال: إن قاسمًا كان في مبدأ حياته من الرجعيين، حتى إنه لما رد على الدوق دراكير دافع عن الحجاب واستنكر السفور، فظنت الأميرة نازلي فاضل – وكان مجلسها يجمع العلماء والفضلاء أمثال محمد عبده وسعد زغلول وعبد الكريم سلمان وفارس نمر ويعقوب صروف والمويلحي وابنه – أنه يقصدها فغضبت لذلك، ولكن سعدًا قدم صديقه إليها ولما رأى شدة عقلها ورجاحة حلمها ووثاقة فضلها انقلب عن رأيه وأخذ يطالب بتحرير المرأة"[٥] .

---

(١) الصهيونية: حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم، واشتقت الصهيونية من اسم ( جبل صهيون ) في القدس، واختلف في أصلها هل هي نصرانية أم يهودية . انظر موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، عبدالوهاب المسيري ، ١٦/٤-١٢ ، و انظر: الموسوعة الميسرة، ٥١٨/١ .

(٢) نوال السعداوي، طبيبة ناقدة وكاتبة وروائية مصرية وحقوقية، ولدت في مدينة القاهرة في ١٩٣١م، وتخرجت من كلية الطب جامعة القاهرة، وكانت متزوجة من الدكتور شريف حتاتة وهو طبيب وروائي ماركسي اعتقل في عهد الرئيس عبد الناصر، وكانت ترى أنه يجب أن يتغير مفهوم الإسلام وتتغير معه عادات المسلمين، وأن حجاب المرأة نشأ في العصر العبودي، وتحجب المرأة موروث تقليدي قديم مأخوذ من اليهودية، ولا علاقة بين الحجاب والإسلام، ولها أكثر من أربعين كتابًا منها: مذكرات طبيبة، وحنان قليل . انظر: ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ص١٢٢ .

(٣) انظر: ماذا يريدون من المرأة .. ؟ (حركة تحرير المرأة بمصر وحصاد مائة وثلاثين عاماً)، محمود بن محمد المختار الشنقيطي، مجلة البيان، العدد١٤٩، ص ٧٠.

(٤) عبد العزيز بن سليم البشري، أديب، كاتب، ولد بالقاهرة، ودرس في الأزهر ونال شهادة العالمية، وولي القضاء الشرعي في بعض الأقاليم المصرية، ثم عين مراقبا للمجمع اللغوي المصري، وتوفي بالقاهرة في١٩٤٣ م . انظر: معجم المؤلفين، ٢٥٧/٥ .

(٥) عودة الحجاب، ٢٩/١ .

إن الشيخ محمد عبده تطوع للقيام بهذه المهمة، وتحدث الشيخ محمد عبده مع الأميرة "نازلي" في هذا الشأن، واتفق "محمد عبده" و"سعد زغلول" و"محمد المويلحي"(١) وغيرهم على أن يتقدم "قاسم أمين" بالاعتذار إلى سمو الأميرة فقبلت اعتذاره، ثم أخذ يتردد على صالونها وارتفع مقامها لديه، وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذي كان الفضل فيه للأميرة نازلي، والذي أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان قاسم أمين أكثر الناس دعوة إلى الحجاب(٢).

لقد كانت هدى شعراوي رائدة "حركة النهضة النسائية"، وقد التف حولها "سيزا نبراوي" سكرتيرتها، ومنيرة ثابت(٣)، وأُخريات ممن خلعن رداء الحياء وسخرن أنفسهن لخدمة الدوائر الصليبية .

واشتد الحماس لهذه الحركة – في مدة عصيبة حرجة– وهذا التوقيت المشبوه يوحي بأن وراء الأكمة ما وراءها، ذلك أنه في سنة ١٩١٩م هبَّت مصر في وجه الاستعمار، ووقف الشعب بشجاعة مع عدد من المخلصين حقيقة يطالب بحقه من الحرية والحياة، وفي تلك الظروف الصاخبة التي تتميز بالغليان والاضطراب، وفي غمرة الثورة العارمة نشطت دعوتان مريبتان متآخيتان، إحداهما استغلت ظروف الثورة لسلخ الأمة عن انتمائها، وهي الدعوة إلى اللادينية تحت ستار الشعار الذي رفعته الزعامات المصطنعة "الدين لله والوطن للجميع"،

---

(١) محمد بن إبراهيم بن عبد الخالق ابن إبراهيم المويلحي، أديب، في إنشائه إبداع، اشتهر بكتابه "عيسى بن هشام"، ونشر أبحاثا ومقالات كثيرة في كبريات الصحف المصري ة، تعلم في الأزهر ثم في مدرسة الأنجال، وولي منصبا في وزارة " الحقانية " بمصر سنة ١٨٨١م فاستمر سنتين، ونشبت الثورة العرابية، فكان من رجالها، وأصدر منشوراً ثورياً، وعزل بعد الثورة، فسافر إلى أوربا والآستانة، ثم عاد إلى مصر، وعمل في تحرير بعض الصحف، وعين معاون إدارة بالقليوبية فالغربية، واستقال وأنشأ مع أبيه جريدة "مصباح الشرق" وعين مديراً لإدارة الأوقاف، توفي عام ١٩٣٠م . انظر: الأعلام ، ٣٠٥/٥ .

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٩/١ والتي بعدها .

(٣) منيرة ثابت، ولدت عام ١٩٠٦م، والتحقت بمدرسة إيطالية بالقاهرة، وتعلمت فيها مبادئ اللغة الإنجليزية والإيطالية، ثم التحقت بمدرسة ابتدائية حكومية، وحصلت عام ١٩٢٤م، علي الشهادة الثانوية، والتحقت بمدرسة الحقوق الفرنسية، في القاهرة، والتي تمنح شهاداتها من باريس وحصلت منيرة علي الليسانس، فكانت أول فتاة مصرية حصلت علي هذه الشهادة، وقيدت أمام المحاكم المختلطة كأول محامية عربية، توفيت عام ١٩٦٧م . انظر: ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ص ٦٣ .

والأخرى: دعت إلى نسف الفضائل الإسلامية من خلال دعوتها إلى "تحرير المرأة".

في ذلك الجو العاصف انبرت هدى ورفيقاتها للدفاع عن حقوق الوطن وطرد المحتلين، ولكن بماذا ؟

لقد خرجن في مظاهرة ومزقن الحجاب وأحرقنه في ميدان عام، وكان هذا أعظم إسهام منهن في الثورة، وإذ حدث أن الجنود البريطانيين – لحاجة في أنفسهم – طوقوا الشوارع ساعة المظاهرة واعتدوا على بعض المتظاهرات– فقد بدا ذلك في أعين الشعب محاولة من بريطانيا لمنع المرأة المصرية من التحرر، وبذلك اكتسبت الحركة صفة البطولة الوطنية .

وتظهر الحقيقة أجلى وأوضح إذا ما علمنا أنه في تلك المدة نفسها كان أتاتورك[1] يهدم الإسلام تحت زيف البطولة الوطنية أيضًا .

لقد اعتبرت هذه البطولة مبررًا كافيًا للانقضاض على الأخلاق بل لمهاجمة أحكام الإسلام علانية؛ إذ ردد دعاة الإباحية قولهم: أليس الجنس اللطيف الذي أدى دوره في الثورة الوطنية بإخلاص جديرًا بأن يتساوى في كل شيء مع الجنس الخشن ؟ أتريدون أن تقدم المرأة للوطن كل شيء ولا يقدم الوطن لها شيئًا ؟! .

و لكن الحق لم يلبث أن انكشف وإذا بالحركة النسائية في حقيقتها حركة عميلة مريبة ترتبط خارجيًا بالدوائر الاستعمارية وداخليًا بالزعماء المصطنعين[2].

أما ارتباطها بالاستعمار — والجمعيات التنصيرية خاصة – فيؤيده خطاب هدى شعراوي الذي ألقته في مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي بروما [3] عام ١٩٢٢م، وهذه مقدمته:

---

(١) مصطفى كمال أتاتورك، ولد في مدينة ومرفأ سالونيك العثمانية عام ١٨٨٠م، وتعود جذور مصطفى كمال إلى عائلات تركية انتقلت مع الغزو التركي للبلقان ويُذكر بأنه من أسرة يهودية من الدونمة، وفي عام ١٩٠٥م تخرج في الكلية العسكرية في إسطنبول برتبة نقيب أركان حرب، وتولى مناصب مهمّة في الجيش العثماني، وشارك في الحرب الليبية ضدّ الاحتلال الإيطالي، وقاد حرب التحرير التركية ضد قوات الحلف في الحرب العالمية الأولى، وقد ألغى مصطفى كمال الخلافة العثمانية، وطرد الخليفة وأسرته من البلاد، وألغى وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية، وحوّل المدارس الدينية إلى مدنية، وأعلن أن تركيا دولة علمانية، توفي سنة ١٩٣٨م . موسوعة مشاهير العالم، ١٠٢/٣– ١٠٦ .

(٢) انظر: أعلام وأقزام، ١٠٤/٢– ١٠٦.

(٣) روما : هما روميتان : إحداهما بالروم والأخرى بالمدائن ، فأمّا التي في بلاد الروم فهي مدينة رياسة الروم وعلمهم، قال =

"إنه ليسرني حقيقًا أن أرى نفسي بينكن في هذه الجمعية المحترمة التي أمكن للمرأة المصرية أن تجيء لتناقش في حقوقها لأول مرة في التاريخ، وإنه لما يدعوني إلى الاغتباط والفخر اختياري لإظهار تلك الرابطة بين بنات النيل وأخواتهن في أوربا"(١).

وتختتم خطابها قائلة: "والآن قبل أن أعود أرجو أن تسمحن لي أيتها السيدات على طلبكن بإلحاح إبداء الرغبة في إشراك المرأة المصرية في واجب "الاتحاد" الجليل، ولنا عظيم الرجاء في أن نصل بفضل نصائحكن الغالية التي نعتبرها السبيل الهادي والنسج على منوالكن الذي نجد فيه خير كفيل إلى تحقيق آمالنا ورغائبنا، ونضع تحت تصرفكن أنفسنا في خدمة مبادئكن ونشر آرائكن "(٢).

والذي نريد قوله أن دعوة كرومر في تغريب الحجاب كان لها أثر كبير في المصريين بعد ذلك؛ حيث خرج جيل يدعو إلى ذلك، ويكثف كل جهوده للوصول بالمجتمع المصري إلى أقصى درجات السفور التي تعيشها أوروبا، وعلى رأس هذا الجيل الأميرة نازلي فاضل، وهدى شعراوي، وقاسم أمين ومرقص فهمي، وقد كان ذلك من خلال الكتب والمقالات التي ملأت مصر، والاجتماعات النسائية والمؤتمرات، إلى جانب أن بدأ هؤلاء النسوة بأنفسهن في خلع الحجاب .

=

بعضهم: هي مسماة باسم رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نوح، عليه السلام، وذكر بعضهم: إنّما سمّي الروم روما لإضافتهم إلى مدينة رومية ، وهي شمالي وغربي القسطنطينيّة . انظر معجم البلدان ، ٣/١٠٠ و التي بعدها .

(٣) المرأة وآراء الفلاسفة، حسين فوزي، مصر، ١٣٤٤ هـ، ص١٤٢ .

(١) المرأة وآراء الفلاسفة، حسين فوزي، مصر، ١٣٤٤ هـ، ص١٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص١٤٢ .

# المبحث الثاني
# آثاره في دعاوى تحرير المرأة

احتلت قضية تحرير المرأة مكانًا بارزًا في حركة الاختراق الغربي لعالمنا العربي والإسلامي، حتى إنكرومر يشير في أحاديثه بما بمعناه أن وضع النساء في مصر وفي البلاد الإسلامية يعد عقبة قاتلة تحول دون رفع المستوى الفكري والشخصي، الذي يجب أن يصحب دخول الحضارة الأوروبية إلى هذه البلاد مصر، وإذا أرادت هذه الحضارة أن تحقق أفضل فائدة ممكنة فليس أمامنا إلا تعليم المرأة .

و يذكر كرومر كذلك ما نصه: "إن هناك سؤالاً مفتوحًا يحتاج إلى إجابة، ألا وهو: هل تعليم المرأة [حسب المنظومة الغربية] يمكن أن يترك آثارًا صحية وإيجابية على سلوك الرجال؟"[(١)]

كما أنه يناقش على المستوى التصوري النتائج التي قد تنشأ عن ضعف التأثير الأخلاقي لتعليم المرأة، وما قد يترتب عليه من يأس من متابعة جهود الإصلاح، كما أنه يشير إلى أن تعدد الأدوار الإصلاحية (توجيه وإرشاد وشرح ومناقشة) لن تحدث التأثير المرجو ما لم يكن المرء قادرًا على رفع مستوى المرأة، فذلك هو المدخل الأساسي لتنمية الرجل المصري وفق قواعد التعليم الأوروبي، ولذلك نجد أن حركة تحرير المرأة تواكبت مع حركة اجتماعية وسياسية ووطنية قوية وشاملة[(٢)].

بالإضافة إلى أن كرومر وضع بذرة الزعم بأن الإسلام وضع المرأة في وضع منحط، وجعل الرجل سيدًا عليها، وهذا ما كتبه كرومر في كتابه (مصر الحديثة) إذ يقول: "إن الرجل المسلم يتمسك بإسلامه لما يمكنه الإسلام من السيادة على المرأة، وهو في تمسكه بالإسلام أشد تمسكًا به من المرأة المسلمة، ويعلل هذا الافتراض بأنه ظاهرة في الحياة الإسلامية ترجع إلى اختلاف وضع كل من الرجل والمرأة في الإسلام على النحو المشار إليه"[(٣)].

---

(١) مقال في دائرة الضوء، دروس من حركة تحرير المرأة المصرية، خالد أبو الفتوح، مجلة البيان، العدد ١٨٠ .

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ١٨٠ .

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، مكتبة وهبة، ط ١٠، ص ٩٠.

ومن هنا فإن كرومر قد وضع منذ البداية نصب عينيه دعوى تحرير المرأة، وعمل على توفير كل السبل لإخراج المرأة المصرية من بيتها إلى الشوارع لتختلط بالرجل، ومن ثم تنتشر الفوضى والإباحية في المجتمع المصري، فكان على رأس هذه الخطط هو قضية تعليم المرأة في مدارس ومعاهد مختلطة مع الشباب، وقضية خلع الحجاب، والاشتراك في السياسة والعمل خارج البيت .

وكان لهذا المخطط آثار كثيرة بعد ذلك؛ حيث اتبع منهجه كثير من المفكرين المصريين، وعلى رأسهم قاسم أمين، وسعد زغلول، ومحمد عبده، وأحمد لطفي السيد، وغيرهم كثير، ودعا هؤلاء إلى تحرر المرأة من دينها وأخلاقها، و أن تتمتع بالحرية المفرطة التي أدت إلى مجتمع منحل، وأنشؤا ما يسمى بالمجالس القومية للمرأة، وعقدوا مؤتمرات السكان، ودعوا إلى تحديد النسل وما إلى ذلك .

وقد قال كرومر عن هذا الجيل الذي حمل قضية المرأة التي وضع أسسها: "أسميهم حبًّا في الاختصار أتباع المرحوم المفتي السابق الشيخ محمد عبده "(١).

ولعل أبرز الآثار التغريبية التي ترتبت على دعاوى كرومر لتحرير المرأة ما يلي:

**١ - قضية تعليم المرأة المصرية (بهدف المساواة والاختلاط بين الجنسين):**

فقد حرص كرومر منذ البداية على نشر التعليم بين الفتيات المصريات، ولعله ظن أن تعليم البنت وتلقينها الثقافة الإنجليزية يهيئ الفرصة لوجود جيل من الأبناء يحبهم ويعطف عليهم .

وقد أخفق كرومر في هذه السياسة كل الإخفاق؛ لأنه لم يكن خبيرًا بشؤون التعليم؛ ولأنه قاوم الحركة الوطنية التي بدأت سيرها منذ عهد محمد علي، والتي نهضت باللغة العربية، وساعدت على انتشار اللغة الفرنسية؛ ولأنه لم يفهم نفسية المصريين على حقيقتها .

وظن أنه حين ينهض بتعليم الفتاة يجد إقبالًا على سياسته، ونسي أن الحجاب كان ذا سيطرة قوية حينذاك، وأن المصريين نظروا إلى اللغة الإنجليزية على أنها لغة المحتل الغاصب، فانصرفوا عن مدارسه .

---

(١) أحمد لطفي السيد، حسين فوزي النجار، سلسلة أعلام العرب- مصر، ص ١٧٣.

ومما عمل على شدة إخفاق سياسته في ميدان التعليم ذلك المستشار الإنجليزي الذي وضعه بوزارة المعارف يسير أمورها، وهو لا يعرف من شؤون التربية قليلًا أو كثيرًا، ألا وهو "دوجلاس دنلوب" الذي خدم بلاده في وزارة المعارف المصرية من عام ١٩٠٦م إلى ١٩١٩م .

اجتمعت في دوجلاس دنلوب سوأتان، فهو قسيس اسكتلندي، وقد اشتهر أهل إسكتلندا بغلوهم الاستعماري، ونظرتهم إلى الشعوب الملونة نظرة ازدراء، و اعتقدوا أنهم لا يصلحون لإدارة أمورهم بأنفسهم، وأنه لا بد لهم من قيادة غربية حتى تستقيم أمورهم .

و قد جاء دنلوب خير مثل يضرب لضيق الأفق، ونقص الثقافة، والتعصب الذميم لرأيه، وأصدق ما وصف به هذا الذي نكبت به مصر بعامة، ووزارة المعارف بخاصة ما قاله عنه وعن سياسته البغيضة في التعليم صاحب كتاب المسألة المصرية:

" لقد كانت سياستنا التعليمية تفتقر إلى الروح المعنوية، والإلهام القوي؛ لأننا تركناها في يد مستشار وزارة المعارف مستر دنلوب، وكان دنلوب حسن النية، دؤوباً على الجد والعمل، غير أن آراءه في التربية لم تتعدَ ما كانت توحي به تلك الدروس التربوية التي تلقاها في حداثته"(١).

ومهما امتاز دنلوب من صفات محمودة فإنه كان ضيق الفكر، قصير النظر يؤمن بالكمية لا بالنوع؛ أي كثرة المواد الدراسية لا نوعها، وكان وهو متربع في كرسي مكتبه بوزارة المعارف يصدر الأوامر والنظم والقوانين المتعددة كما تتصورها عقليته، وقلما كان يأبه لرأي سواه، أما نصح المصريين له فكان — بالطبع – لا يجد منه أذنًا مصغية ولا يتسع له صدره .

ولا بد إذاً أن يُخفق كرومر في سياسته التعليمية بمصر، وهذه عِدده ووسائله، لقد أتى كرومر مصر ونسبة تعليم البنات بها ثلاثة في الألف في سنة ١٨٨٣م، وخرج من مصر سنة ١٩٠٧م ونسبة تعليم البنات ثلاثة في الألف، وأي إخفاق أعظم من هذا في أول مشروع في منهجه التعليمي ؟! لا أعظم.

وإذا قيل: لقد أُمتحن كرومر بتعليم البنت، وأبت مصر المحافظة التي كان للدين بها أثر

---

(١) المسألة المصرية، نقلاً عن في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م، ٢/ ١٦- ٢٣ .

كبير أن تدفع فتياتها إلى ميدان التعليم، ولا سيما وميدان العمل لم يكن قد فتح أمام الفتاة كما هو الشأن اليوم، ولعله كان أكثر نجاحًا في مشروعه الثاني وهو محو الأمية؛ لأنه تعليم للذكور وتعليمهم استمرار للنهضة التي وضع أسسها محمد علي[١] ونماها إسماعيل[٢].

وقد كان لسياسة كرومر في تعليم البنت وتثقيفها الثقافة الغربية دور عظيم الخطر في نشر تعليم البنات في مصر بعد ذلك، ونشر الثقافة الغربية بينهن بما تحمله من تقاليد وسياسات تخالف شرعنا، بالإضافة إلى الدور الخطير في انتشار الاختلاط بين الشباب والفتيات في العملية التعليمية وما نتج عن ذلك من فساد في الأخلاق .

**٢- انتشار الاختلاط في التعليم وكثير من مجالات المجتمع:**

حيث كان من نتائج هذا التعليم أن أصبح اختلاط الشباب بالفتيات في المدارس والجامعات أمرًا مقبولاً، وقد كان السَّبْقُ في ذلك على يد مَن يسمُّونه: أستاذ الجيل "لطفي السيد"، فهو أول من أدخل الطالبات في قسم الطلاب سافرات الوجوه، ولأول مرة في تاريخ الجامعة المصرية يسانده في ذلك طه حسين وآخرون، وتحت الضغط الخارجي رضيت وزارة المعارف بالأمر الواقع، واعتبار هذا من حقوق الفتيات .

قالت التحررية درية شفيق[٣]: في سنة ١٩٣٢م ظهرت صورة للدكتور طه حسين بك

(١) محمد علي (باشا) ابن إبراهيم أغا بنعلي، المعروف بمحمد علي الكبير، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل، مستعرب، ولد في قولة التابعة الآن لليونان، وكانت من البلاد العثمانية، واحترف تجارة الدخان فأثرى، وكان أمياً، تعلم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره، وقدم مصر وكيلا لرئيس قوة من المتطوعة تتألف من ٣٠٠ رجل، نجدة لرد غزاة الفرنسيين عن مصر، ومازال حتى كان والي مصر سنة ١٢٢٠م في حديث طويل، فعني بتنظيم حكومتها، وكثرت في أيامه المدارس والمعامل في الديار المصرية، وأرسل البعثات لتلقي العلم في أوربا، توفي عام ١٨٤٩ م . الأعلام ، ٦/٢٩٨-٢٩٩.

(٢) انظر: في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م، ٢/ ١٦- ٢٣ .

(٣) درية شفيق، من مواليد طنطا ١٩٠٨م، ومن رواد حركة تحرير المرأة في مصر في النصف الأول من القرن العشرين، وينسب لها مسألة حصول المرأة المصرية على حق الانتخاب والترشح في دستور مصر العام ١٩٥٦ م، و هي مؤسسة لدوريات أدبية وباحثة، ولدت في مدينة طنطا ودرست في مدرسة البعثة الفرنسية في طنطا، تم إرسالها ضمن أول فوج طالبات من قبل وزارة المعارف المصرية للدراسة في جامعة السوربون في باريس على نفقة الدولة، وهي نفس الجامعة التي حصلت منها على درجة الدكتوراة في الفلسفة عام ١٩٤٠م، وكان موضوع الرسالة "المرأة في الإسلام" حيث أثبتت في رسالتها أن حقوق المرأة في الإسلام هي أضعاف حقوقها في أي تشريع آخر، ولكنها كانت يداً =

في نادي الجامعة وعلى يمينه ويساره الطلبة والطالبات جلوسًا يتساءلون ويتناولون الشاي، وقامت القيامة لهذه الصورة البريئة التي تضرب المثل للأبوة في وجود العميد، والإخوة في جلسة الطلبة والطالبات، واتُّخذت الصورة تكأةً يتخلص بها الرجعيون من (طه حسين) و(لطفي السيد)، ووقف الرجعيون[١] في مجلس النواب يحملون على الجامعة ورجالها وفكرة تعليم البنات فيها، ويرون ذلك فضيحة من الفضائح يجب أن تحول دونها الحكومة[٢].

ومن هنا نعلم أن انتشار تعليم الفتيات في المجتمع العربي، وأمر اختلاطهم بالشباب كان من أخطر النتائج التي ترتبت على دعاوى كرومر عملاً على تغريب المرأة .

### ٣- الحرب على قضية تعدد الزوجات:

لقد كانت مسألة تعدد الزوجات التي أثارها كرومر من أهم القضايا التي تركت آثاراً خطيرة في موضوع التغريب في دعاوى تحرير المرأة، فقد راحت الصحافة الليبرالية[٣] تخوض حربًا إعلامية لصنع رأي عام مؤيد لمنع تعدد الزوجات، فهذه "السياسة الأسبوعية" تستعين بآراء كرومر، فتعود لنشر مقتطفات من كتابه "مصر الحديثة" للتدليل على عدم ملاءمة "التعدد" لروح العصر، ولتنفير المصريين منه، على اعتبار أن اللورد رأى بأن ما يحتاجه الرجل المصري من "احترام الذات" لن يتحقق إلا إذا "صار مثل الأوروبي متزوجًا من امرأة واحدة"، وظل التيار الليبرالي يدعو إلى تقييد أو منع تعدد الزوجات .

وكما في مسألة "تعدد الزوجات" فإن الصوت الغالب في التيار الليبرالي ظل يتابع قاسم أمين في موقفه الداعي لحصر الطلاق بموافقة القاضي أو المأذون، ومنح المرأة الحق في تطليق نفسها، فقد تبنى التيار الليبرالي هذه الرؤية، وجعلها الاتحاد النسائي المصري جزءًا من برنامجه

---

=

للغرب في تغريب المرأة المصرية، توفيت عام ١٩٧٥م . انظر: ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ص٣٦ .

(١) الرجعيون: نسبة إلى الرجعية وهي كلمة ملتوية يقصدون بها المتمسكون بالدين . انظر: الموسوعة الميسرة، ٦٨٠/٢ .

(٢) انظر: مقال ماذا يريدون من المرأة .. ؟ (حركة تحرير المرأة بمصر وحصاد مائة وثلاثين عاماً)، محمود بن محمد المختار الشنقيطي، مجلة البيان، العدد ١٤٩ .

(٣) الليبرالية: مصطلح مشتق من الكلمة الإنجليزيةLiberalism وتعني الحرية، والليبرالية فلسفة سياسية ظهرت في أوربا في أوائل القرن التاسع عشر، تعارض المؤسسات السياسية والدينية، التي تحد من الحرية الفردية، وتنادي بأن الإنسان كائن خيّر عقلاني، وتطالب بحقه في التعبير وتكافؤ الفرص والثقافة الواسعة . موسوعة المورد العربية ١٠٥٠/٤ .

الصادر عام ١٩٢٣م .

وقد عبّرت الصحافة الليبرالية عن مساندتها لهذه الرؤية، وقدَّمت بعض الصُحف جهدًا واضحًا في هذا الإطار.

لكن التيار الليبرالي لم يخلُ من الأصوات المتطرفة أكثر التي عرفنا مناداتها بالقانون المدني للأحوال الشخصية، والتي طالبت بمنع الطلاق نهائيًا .

لقد كانالتيار الليبرالي يسعى لمواجهة المشكلات المتعلقة بمسائل الزواج، وفقاً لمرجعيته الخاصة به، فعندما يواجه المجتمع المصري ما سُمي "أزمة الزواج" الناجمة عن إقبال الشباب المصري على الزواج من الأجنبيات، فإن الليبراليين يقدّمون الحل وفقاً لمرجعيتهم، وهو ضرورة إباحة الاختلاط ليحصل التعارف ثم الحب ثم الزواج بين المصري والمصرية، فالمشكل "إنما يرجع إلى عدم اختلاط الجنسين اختلاطاً يهيئ للطرفين منهما فرص التعارف، وفرصة التواد والحب"(١).

**٤- الحصول على بعض القرارات الرسمية الوضعية المخالفة للإسلام:**

استطاعت هذه الدعاوى التي بدأها كرومر وتبناها تلامذته من بعده الحصول على بعض القرارات الرسمية الوضعية التي أصدرتها الحكومة المصرية وعممتها إرضاءً للتحريين ومنها:

١- تقييد عدد الطلاق ومنع وقوعه إلا بعد موافقة الحكومة .

٢- منع تعدد الزوجات إلا في ظروف توافق عليها الحكومة .

٣- تأخير سن زواج الفتاة.

٤- المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث .

٥- منح حق الطلاق للمرأة كالرجل .

٦- إعطاء ما يسمونه الحق السياسي للمرأة بدءًا بحق الانتخابات، ومرورًا بعضوية المجالس البلدية والنيابية، وكافة الأعمال والحرف كالرجل سواءً بسواء، وانتهاءً بحق التمثيل النيابي(٢).

---

(١) انظر: أعلام وأقزام، ٢/٩٠ .

(٢) انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د سعد الدين السيد صالح، دار الأرقم بمصر، ط٣، ١٤١٣هـ، ص ٢٣٩- ٢٥٢ .

**٥- إخضاع ثوابت الدين ومسلَّمات الأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة للاجتهاد:**

حرصت هذه الحركة التغريبية على "إخضاع الثوابت من الدين، والمسلَّمات من الأحكام الشرعية لاجتهاد العلماء وتناول الباحثين ومناقشة الجاهلين والمبطلين، فاستغلها السفوريون وميَّعوها، ولبّسوا على العامة والدهماء وجه الحق فيها .

فالأمر الرباني بغضّ البصر عن العورات، وهو أمر من الواجبات الشرعية والعدالة والنزاهة، هذا الأمر صوَّروه بأنه عدم ثقة في النفس، ومن مخلّفات القرون الوسطى المظلمة التي كانت تنظر إلى المرأة على أنها دون الرجل فتخفي بصرها"[(١)] .

و"قوامة الأب والزوج التي اشترطها الشرع لصحة بعض عقود المرأة وتصرفاتها اعتبروها ممارسات تعكس اضطهاد المرأة وظلمها، وتجسِّدُ ارتهانها لأبيها وأخيها أو زوجها، وهي ظاهرة استغلال الجهات الأقوى اقتصاديًّا لامتلاك يمين المرأة، وإخضاعها لعملية القهر التاريخية"[(٢)] .

و"قاعدة قرار المرأة في بيتها وأنها الأصل نُوزعت، وجُعِل الأصل هو العمل دون شروط أو قيود أو ضوابط، وسفرها دون محرم لبلاد الكفر ألبسوه لباس الابتعاث وطلب العلم والدراسة، وصار من المفاخر الاجتماعية وسمات الأسر المتحضرة والطبقات الراقية، وإبداء الزينة للرجال الأجانب الذي هو كسابقه محرّم ومعصية صار عند دعاة التحرر من تمام الرشاقة والجاذبية لفتى الأحلام وشريك المستقبل"[(٣)] .

و"وجوب نسبة الابن لأبيه وحرمة انتسابه لغيره لم تعد موافقة لروح التقدم والحضارة، فغيَّرن أسماءهن وانتسبن لأزواجهن فصرن: هدى شعراوي[(٤)] بدلاً من هدى بنت محمد سلطان

---

(١) قضية تحرير المرأة، محمد قطب، دار مدبولي الصغير، ط١، ١٩٩٨م، ص ٧٧ .

(٢) المرأة والحياة الاجتماعية، تغاريد بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ٢٧-٤٠ .

(٣) قضية تحرير المرأة، مرجع سابق، ص ٧٨ – ٧٩ .

(٤) هدى شعراوي ولدت في المنيا عام ١٨٧٩م، وهي ابنة محمد سلطان باشا، رئيس مجلس النواب المصري الأول في مصر في عهد الخديوي توفيق، وقد تلقت التعليم في منزل أهلها، وتزوجت مبكراً في سن الثالثة عشرة من ابن عمتها "علي الشعراوي" الذي يكبرها بما يقارب الأربعين عاماً، ليتغير اسم عائلتها لـ"شعراوي"، كان أحد شروط عقد زواجها أن يطلق زوجها زوجته الأولى، وفي السنوات اللاحقة أنجبت هدى بنتا أسمتها بثينة وابنا أسمته محمد، وكانت من أبرز الناشطات المصريات في مجالي الاستقلال الوطني المصري والنشاط النسوي في نهايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، من مؤلفاتها: "عصر الحريم" وهو يحكي مذكرات المرأة المصرية في الفترة ما بين
=

باشًا، وصفية زغلول[١] بدلاً من صفية محمد فهمي ... إلخ .

أما البيت فهو السجن ودكتاتورية الرجل، وشل للمجتمع عن الحركة، وأما الحجاب فهو كفن من اختراع المتشددات المتطرفات وعادات القرون البدائية، ثم تأتي (سيزا نبراوي)[٢] سكرتيرة هدى شعراوي، فتتزوج من الفنان مصطفى نجيب[٣]، بشرط نقل العصمة إليها، وكتب لها المأذون بذلك في العقد، ونُشِرَ للناس"[٤].

بالإضافة إلى إخضاع هذه الثوابت من الدين للاجتهاد الباطل فإن من نتائج هذه الحركة أن عملت على تسخير بعض العلماء – أدعياء العلم – واستخدامهم لصالح حركتهم الضالة، واصطياد الأدلة لباطلهم، وليُّ أعناق النصوص لإضفاء الصبغة الشرعية والتأصيل الفقهي على أفكارهم.

### ٦- كتابات قاسم أمين:

لقد جعلت كتب قاسم أمين من آثار التغريب التي ترتبت على دعاوى كرومر لتحرير المرأة؛ لأن هذا الكاتب قد ظهر من صالون كرومر والأميرة نازلي، متبنيًا أفكارهما، عاملًا على

=

(١٨٨٠م-١٩٢٤م)، وقد توفيت ١٩٤٧م .

(١) صفية مصطفى فهمي، ابنة مصطفى فهمي باشا، وهو من أوائل رؤساء وزراء مصر منذ عرف البلد نظام الوزارة في أوائل القرن التاسع عشر، وزوجة سعد زغلول، ولدت عام ١٨٧٨م، لقبت باسم "صفية زغلول" نسبة إلى اسم زوجها، كذلك لقبت "أم المصريين" اثر مشاركتها في المظاهرات النسائية إبان ثورة ١٩١٩ م، وكان لها دور بارز في الحياة السياسية المصرية، توفيت عام ١٩٤٦م . انظر: ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ص ٦٦ .

(٢) سيزا نبراوي، رائدة من رائدات الحركة النسائية في مصر، توفيت عام١٩٨٥م . المستدرك على تتمة الأعلام ٤٥/١ .

(٣) مصطفى نجيب هو نحات مصري من أبناء الجيل الثاني، تمتع بموهبة لفتت الأنظار، وكانت سببًا في ذيوع صيته، وأنجز أعمالاً فنية في عدد من العواصم العربية، وعاصر الملك "فؤاد" وابنه "فاروق"، وكلفه القصر بمشروعات فنية رسمية، وبرز نجيب في مجال الدعاية الثورية بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢م، ونال حظوة لدى الرئيسين "محمد نجيب" و"جمال عبدالناصر"، ولكن اضطرته ظروف معقدة للهجرة من مصر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٠م، وقد أدت هجرته إلى إهمال سيرته، وتوفي في عام ١٩٩٠ م بعد أن أسس مدرستين للنحت بالولايات المتحدة، وتخرج علي يديه جيل كامل من النحاتين المصريين . انظر: ندوة عن النحات المصري الراحل مصطفى نجيب، موقع بوابة الأهرام الإلكتروني، رابط:

http://gate.ahram.org.eg/News/١١٥٩٠٠.aspx .

(٤) سُبل العفة وخطورة الانحراف، مريم خميس محمد، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٨ م، ص ٤٥ .

نشرها من خلاله هو.

أظهر قاسم أمين فكرته عن تحرير المرأة، والتي كان أستاذه الأكبر فيها هو كرومر في كتابيه: "تحرير المرأة"، "والمرأة الجديدة"، وعند صدور الأول شك كثيرون في كونه كاتبه لما حواه الكتاب من عرض ومناقشة الأقوال الفقهية والأدلة الشرعية التي كان مثل قاسم قليل البضاعة فيها، ولكنهم لم يشكوا في أن الذي دفعه إلى الفكرة أحد رجلين؛ إما كرومر، وإما محمد عبده وهو تلميذ كرومر في هذا الفكر.

وعلى أية حال فقد ظهر كتابه: تحرير المرأة الذي يمكن تلخيص أفكاره فيما يلي:

١. إن المرأة مساوية للرجل في كل شيء، وإن تفوقه البدني سببه استعمال الأعضاء، ويتضح من هذا تعريضه بالقرآن الكريم وتأثره بالداروينية(١) .

٢. إن الانتقاب والتبرقع ليسا من المشروعات الإسلامية لا للتعبد ولا للأدب، بل هما من العادات القديمة السابقة على الإسلام والباقية بعده، وهي عادة عرضت على المسلمين من مخالطة بعض الأمم، فاستحسنوها وأخذوا بها وبالغوا فيها وألبسوها لباس الدين، كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين، والدين منها براء، لكن بالنسبة للأمم الأخرى فإن هذه العادة تلاشت طوعًا لمقتضيات الاجتماع وجريًا على سنة التقدم والترقي.

٣. إن الحجاب ليس عائقًا عن التقدم فحسب، بل هو مدعاة للرذيلة وغطاء للفاحشة،

---

(١) الداروينية: نظرية اجتماعية تنسب إلى الباحث الإنجليزي شارلز داروين صاحب كتاب أصل الأنواع سنة ١٨٥٩م الذي طرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء مما زعزع القيم الدينية، تدور هذه النظرية حول عدة أفكار وافتراضات هي: تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد، وتدرج هذه الكائنات من الأحط إلى الأرقى، الطبيعة وهبت الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو والتكيف مع البيئة لتصارع الكوارث وتتدرج في سلم الرقي كترقي القرد إلى صورة الإنسان، الفروق الفردية داخل النوع الواحد تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة، الطبيعة تعطي وتحرم بدون خطة مرسومة، سقطت النظرية عند الغرب بعد كشف النقاب عن قانون مندل الوراثي واكتشاف وحدات الوراثة، قوم على أفكار تشارلز داروين في تحقيق التطور عن طريق الاصطفاء الطبيعي، وهي ساقطة قبل ذلك عند المسلمين كافة حيث قرر القرآن الكريم بأن مادة الخلق الأولى للكائنات هي الماء ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء﴾ (سورة النور، آية ٤٥)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٣٠)، بل وكافة الأديان السماوية تؤمن بوجود الله الخالق الباريء المدبر المصور الذي أحسن صنع كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من سلالة من طين ثم خلقه م نطفة في قرار مكين، والإنسان يبقى إنساناً بشكله وصفاته وعقله لا يتطور ولا يتحول . انظر: الموسوعة الميسرة، ص ٢/٩٢٥-٩٣١ .

في حين أن الاختلاط يهذب النفس ويميت دوافع الشهوة .

وقد حرص قاسم على تبرئة نفسه من تهمة الدعوة إلى تقليد الغرب في مناداته بهذه الفكرة، مدعيًا أن الدافع الوحيد هو الحرص على الأمة والغيرة على الدين والوطن، فهو يزعم أن أصل فكرته هو الرد على داركور(١) المستشرق الذي هاجم الحجاب، ولست أدري ماذا ترك قاسم لداركور ؟!.

لكن كتابه الثاني: المرأة الجديدة يكذب ادعاءاته تلك فهو يقول فيه:

"هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شؤون المدنية الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها، وإذا أتى ذلك الحين — ونرجو ألا يكون بعيدًا – انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس، وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا أن من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسسًا على العلوم العصرية"(٢).

وقد طبق ذلك في بيته، فأحضر لابنتيه مربيتين: إحداهما فرنسية والأخرى إنجليزية، وظل قاسم حريصًا على دعوته داعيًا إلى فكرته إلى آخر نسمة من حياته القصيرة، ففي ليلة وفاته بالسكتة القلبية في ٢٣ أبريل ١٩٠٨م كان يقدم طالبات رومانيات في نادي المدارس العليا .

وقد ناصر قاسم كثير من الزعماء والأدباء والصحفيين .

وكانت الصحافة أعظم المؤيدين للفكرة التي انتشرت في بلاد الشام والمغرب على إثر نجاحها في مصر.

أما بلاد الشام، فمن الواضح أن الدعوة فيها تعرقلت بالنسبة لمصر، حتى إن أول كتاب يتحدث عنها لم يصدر إلا سنة ١٩٢٨م، أي بعد وفاة قاسم بعشرين سنة، وهو الكتاب الذي أُلف بعنوان السفور والحجاب، وكان مما قالت مؤلفته:

"إني لأحسب مصر قد اجتازت – بحمد الله – طور البحث النظري في مسألة السفور

---

(١) الدوق داركور مستشرق فرنسي، ألف كتاباً يتهجم فيه على الإسلام والحجاب في عهد اللورد كرومر بعنوان (مصر والمصريون) عام ١٨٩٣م، رد عليه قاسم أمين قبل أن يؤلف كتابه المنحرف (تحرير المرأة) . انظر: أعلام وأقزام، ٤٣٧/٢-٤٣٨ .

(٢) تحرير المرأة، قاسم أمين، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٨٩٩م، ص١٩.

والحجاب إلى طور العمل والتنفيذ، فلست تجد بين المصريين إلا المخلفين منهم من يتساءل اليوم عن السفور هو من الدين أم لا ؟ ومن العقل أم لا ؟ ومن ضروريات الحياة الحديثة أم لا ؟ بل نجدهم حتى الكثير من الرجعيين المحجبين منهم يؤمنون بأن السفور دين وعقل وضرورة لا مناص لحياة المدينة عنها"(١).

**٧- كتابات مرقص فهمي:**

إن من الآثار التغريبية في قضية تحرير المرأة والتي تركها كرومر في بلادنا هو كتابات تلميذه وصديقه مرقص فهمي النصراني؛ فهو من أخطر الآثار التي تُركت في مصر بعد رحيل كرومر، حيث ظهر أول كتاب في مصر أصدره هذا الرجل مرقص فهمي، وهو من أصدقاء كرومر، أظهره محتميًا بالنفوذ البريطاني، وكتابه هو (المرأة في الشرق) .

و قد دعا فيه صراحة — وللمرة الأولى في تاريخ المرأة المصرية – إلى تحقيق أهداف خمسة:

أول هذه الأهداف: القضاء على الحجاب الإسلامي .

ثانيًا: إباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثًا: تقييد الطلاق وإيجاب وقوعه أمام القاضي .

رابعًا: إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط .

خامسًا: منع الزواج بأكثر من واحدة .

وبالطبع هو نصراني، فلماذا يخاطب المسلمين ويطالبهم أن يتخلوا عن دينهم ؟! وما له ولموضوع التعدد ؟ وهذا الكتاب أحدث ضجة عنيفة، ولم يفق المسلمون من الصدمة التي أحدثها هذا الكتاب حتى ظهر كتاب آخر لفرنسي آخر بعنوان "المصريون"، حمل فيه على نساء مصر، وهاجم المصريين، وتعدى على الإسلام، ونال من الحجاب الإسلامي، وهاجم المثقفين المصريين لأنهم يسكتون على هذه الأوضاع ولا يريدون أن يتمردوا عليها .

ولجأ بعد ذلك الاستعمار الإنكليزي إلى الأميرة نازلي فاضل، وهي أم الملك فاروق، وطلب منها أن تساند مرقص فهمي من خلال صالونها الذي كانت تقابل فيه الرجال(٢).

---

(١) السفور والحجاب، نظيرة زين الدين، دار المدى للثقافة والنشر، ط٢، ١٩٩٨م .

(٢) انظر:عودة الحجاب، ١٧/١ .

لقد كان الاختلاط – الذي يتساهل فيه الكثيرون من المسلمين اليوم – أحد أهداف هذا الصليبي الحقود، وفي الأساس من أفكار كرومر، الأب الروحي لمرقص فهمي وغيره في تلك المدة الزمنية .

وهكذا استطاع كرومر أن يضع البذرة الأولى لمدرسة عملت على دعاوى تحرير المرأة زمنًا طويلًا، وما زلنا إلى الآن نعاني من آثارها، فهذه المدرسة هي السبب في هذا التعري الأخلاقي الذي نراه في مصر خاصة وبلاد المسلمين عامة، والله المستعان.

# الفصل السابع

# آثاره في مفهوم المدنية، والحضارة

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: رأيه في المدنية، وعلاقتها بالإسلام .**

**المبحث الثاني: مقارنته بين الإسلام والنصرانية فيما يتعلق بالمدنية .**

# المبحث الأول
# رأيه في المدنية، وعلاقتها بالإسلام

يُقصد بالمدنية هو المجتمع المدني ويُقصد بالمجتمع المدني "بالأساس ذلك المجتمع غير الديني، أي المجتمع المنعتق سياسياً من السلطة المطلقة الدينية الثيوقراطية[١]"[٢]، ولذلك فالعلمانية تعتبر هي "روح المجتمع المدني"[٣]، وهو بذلك "نقيض المجتمع الديني"[٤] .

وإذا علمنا ذلك تبينت لنا المفاهيم التي سيدور حولها كرومر من استخدامه لهذا المصطلح، فالمدنية التي كان يعمل كرومر على إدخالها إلى مصر هي كل ما يغير الهوية المصرية المسلمة إلى هوية غربية تقوم على أسس غير إسلامية سواءً كانت علمانية بحتة أو علمانية يغلب عليها الطابع النصراني، ولذلك يرى كرومر أن المدنية الغربية هي التي ينبغي أن تحل محل الأساليب الشرقية الإسلامية، وذلك لأن الإسلام لا يقبل تلك المدنية، ولا تستطيع أحكامه مسايرتها .

والهدف النهائي لهذا المسعى الذي عمل عليه كرومر هو: "القضاء على استخدام الأساليب الشرقية الموشاة بمدنية أوروبية زائفة، وأن تستبدل بها مدنية غربية حقيقية تقوم على أساس من مبادئ الأخلاق المسيحية"[٥] .

ويجيبنا كرومر نفسه بما يهدف إليه من إدخال المدنية في مصر، فيقول: "الشباب المسلم الدائر في تيار الحضارة الأوروبية يفقد إسلامه – أو على الأقل يفقد القدر الأكبر من دينه — ويحرم نفسه من أهم مبادئ عقيدته، وفي الوقت نفسه: نادرًا ما يتجه هذا الشخص إلى المسيحية ... فالحضارة الأوروبية تقضي على دين دون أن تستبدل به غيره ... وهكذا فإنه

(١) ثيوقراطية: وهي كلمة يونانية ترجمتها حكومة دينية، وهي نظام حكم يستمد شرعيته وسلطاته مباشرة من الإله أو كتاب ديني، وفيه تتكون الطبقة الحاكمة من رجال الدين الذين يعتبرون أنفسهم موجهين عن طريق الإله . انظر: القاموس السياسي ومصطلحات المؤتمرات الدولية، ص ٣٩١ .

(٢) المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي، توفيق المديني، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م، ص ٤٥ .

(٣) المرجع السابق، ص٦٧ .

(٤) المجتمع المدني والعلمنة، محمد كامل الخطيب، ص ٢٩ .

(٥) مصر الحديثة، ٢/٢٢٨– ٢٣١، نقلاً عن: د. سامي عزيز، ص ٣٠١ .

بحرمان نفسه من عقيدته لن يجد رادعًا أخلاقيًّا،و في الوقت نفسه: يحاول تقليد الأوروبي، ولا يترك هذا المصري عقيدته خلف ظهره فحسب، بل إنه يترفع عنها ويزدريها، وهكذا يندفع – مغمض العينين – بين أحضان الحضارة الأوروبية غير مدرك لحقيقة هامة، هي أن ما يراه ليس سوى المظهر الخارجي لتلك الحضارة، بينما تستقر المعنويات المسيحية تحت هذا المظهر وتتحكم في تحركاته..." (١).

هذا هو الهدف من محاولات كرومر إدخال المدنية والحضارة الأوروبية بلاد مصر؛ حيث تدمير العقيدة الإسلامية تدريجيًّا في نفوس الشباب .

وقال كرومر في شأن رجال حزب الأمة في تقريره السنوي سنة ١٩٠٦م: إنهم فئة قليلة من المصريين، ولكن عددها أخذ في الازدياد، ولا يسمع عنهم إلا الشيء القليل، بيد أنهم ليسوا أقل استحقاقًا لوصف الوطنية من الحزب الوطني الذي اختص نفسه بهذا الوصف؛ وهم ينشدون رقي بلادهم، ويعملون على تقدم إخوانهم في الدين من غير أن يصطبغوا بفكر الجامعة الإسلامية، وهم يرغبون في التعاون مع الأوربيين على إدخال المدنية الأوربية في مصر، وإنني أرى أن الأمل الوحيد للوطنية المصرية في معناها العملي الصحيح معقود بأعضاء حزب الأمة(٢).

### ١- رأي كرومر في الحركة المدنية الجديدة في الشرق وأثرها على الإسلام:

خطب اللورد كرومر في مجلس الأعيان بلندن خطبةً –كانفيها كثير من العبر لنا إن كنا نعتبر – فأحببت أن أنبه إلى ذلك بنقل جمل من ترجمة الخطبة، ثم الإشارة إلى مواضع العبرة فيها:

قال: "إن الحال التي طرأت على الشرق منذ أعوام طوال وهي حال الانتقال من طور إلى طور قد اشتدت وتعاظمت في هذه الأيام، فإننا نرى الغرب يسعى إلى إدخال آرائه وأفكاره على الشرق في كل مكان، أو الشرق يسعى من تلقاء نفسه لأن يقتبس من الغرب نظامًا

---

(١) مصر الحديثة نقلاً عن المرجع السابق، ص ٣٠١ .

(٢) انظر: الإسلام والتجديد، تشارلز آدمز، نقلًا عن: في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م، ٧٥/٢ .

للأحكام لم يألفه ولم يكن يعرفه، فأفضى ذلك إلى إلقاء العناصر المتناقضة المتضادة كلها في بوتقة سياسيّة اجتماعية إدارية واحدة؛ لتذوب وتصهر فيها، ولا يعلم إلا أحد ما تكون نتيجة صهرها وامتزاجها معًا .

أما العناصر المتضادة المشار إليها فأذكرها الآن بالإيجاز آملاً أيها السادة أن أقنعكم بأن لكلامي عنها دخلاً حقيقيًّا في مسألة الاتفاق الإنكليزي الروسي:

**فأولاً**: إننا نرى العواطف الدينية المتأصلة في النفوس تصارع اللاأدرية(١) أو ما يقرب من اللاأدرية في كل مكان، ولا ريب أن اتصال الغرب بالشرق يؤول إلى زعزعة الأركان الأدبية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها .

**وثانيًا**: إننا نرى في كل مكان تقريبًا أقوامًا ذوي عادات قديمة، وآراء وأفكار شائعة، وميل شديد إلى بقاء القديم على قدمه يتكلفون اليوم الجري في الأحكام على طرق غريبة عن الشرقيين ولا سابق علم لهم بها .

**وثالثًا**: إن بين الخاصة المتعلمين والعامة الأميين في كل مكان من الشرق — وخصوصًا في الهند ومصر - بونًا بعيدًا وهوة عظيمة، أما العامة فلم يحصلوا في هذه الأيام إلا على قليل من المعارف التي تزحزح حجب الجهل عن بصائرهم، وأما الخاصة المتهذبون فعلى جانب عظيم من المعرفة ولكنها غير مختمرة بخمير الاختبار والعمل، وهم يحاولون أن يحلوا بهذه المعرفة بعضا من أعوص المسائل وأعسر القضايا التي يشغل حلها عقول الفحول من أهل السياسة والإدارة .... إلى نهاية هذه الخطبة"(٢).

والعبرة في كلام اللورد من وجوه:

**(أحدها)** قوله: إن الغرب يسعى إلى إدخال آرائه وأفكاره على الشرق .

فيجب على المشتغلين بالمباحث الاجتماعية منا أن يفقهوا غرض الغرب من ذلك ليعرفوا هل هو خير لهم أم شر أم هو بين ذلك ؟

---

(١) اللاأدرية: كلمة "اللاأدري" تعني "بلا دراية أو علم"، واللاأدرية هم الذين ينكرون العلم بثبوت شيء ولا ثبوته، ويزعمون أنه شاك، وشاك في أنه شاك، وهلم جرا . انظر: التعريفات، ص ٤٢-٤٣ .

(٢) نقلاً عن رأي كبار ساسة الغرب في الحركة المدنية الجديدة في الشرق، محمد رشيد بن علي رضا، مجلة المنار، ٩١٦/١ .

**(ثانيها)** تمثيله لحالنا في ذلك الانتقال بإلقاء العناصر المتناقضة كلها في بوتقة سياسية اجتماعية إدارية لتذوب وتصهر فيها .

فيجب علينا أن نفقه معنى هذا التمثيل . ما هي هذه العناصر؟ من هم الملقون لها في هذه البوتقة لتذوب فيها ؟ ما هو غرضهم من إذابة عناصرنا وما هو حظنا منه ؟ هل نحن على بينة من هذا العمل، وهل لنا اختيار فيه من حيث هو عمل اجتماعي كبير تنتقل به الأمة من طور تعرفه إلى طور تتخيله فتحسب أنها تعرفه وهي لا تعرفه ؟

**(ثالثها)** تبرؤه من العلم بنتيجة ذلك العمل الذي أبرزه في قالب التمثيل، فإذا كان مِثله لا يدري نتيجة عمله وعمل أمثاله، فهل يسهل على العناصر التي في البوتقة أن تكون أعلم بهذه النتيجة ؟

يجب التأمل الطويل وعدم الاغترار بالأَحْدَاث المعجبين بما أخذوا عن الإفرنج من الأفكار والعادات التي هي علل الانقلاب .

**(رابعها)** قوله: إن العواطف الدينية الراسخة في نفوس أهل الشرق أمست تصارع الإلحاد والتعطيل، وجزمه بأن اتصال الغرب بالشرق يؤول إلى زعزعة الأركان الأدبية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها، ويمكن جعل هذين القولين مقدمتين لقياس منطقي ينتج نتيجة مزعجة جدًّا .

فإذا كان الأَحْدَاث الذين يتبعون كل ناعق بالوطنية والجنسية يحسبون أن هدم أركاننا القديمة أمر نافع لسهولة إحداث بناء آخر من الجنسية الوطنية، فإن أصحاب العقل والرَّوِيَّة يرون أن البناء أعسر من الهدم، وأننا نستقبل أخطارًا كبيرة في التحول والانقلاب أراها أشد هولاً مما تشير إليه هاتان المقدمتان من كلام اللورد اللتان أشار إلى نتيجتهما بعد بقوله: إن مبدأ الجنسية يتأصل في الشرق، ويحل محل الروابط الأخرى(١).

وكان الشيخ الغلاييني(٢) على عكس منهج كرومر وتلاميذه محمد عبده والأفغاني

(١) انظر: رأي كبار ساسة الغرب في الحركة المدنية الجديدة في الشرق، محمد رشيد بن علي رضا، مجلة المنار، ٩١٦/١ .

(٢) مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، شاعر من الخطباء الكتاب من أعضاء المجمع العلمي العربي، مولده ووفاته ببيروت وتعلم بها وبمصر، وتتلمذ على يد محمد عبده، وعين خطيباً للجيش العثماني الرابع في الحرب العالمية الأولى، فصحبه من دمشق مخترقاً الصحراء إلى ترعة السويس من جهة الإسماعيلية وحضر المعركة والهزيمة، ونصب رئيساً =

وغيرهم، يرى أن الإصلاح له وسيلة وحيدة هي إحياء العاطفة الدينية عند المسلمين، وإظهار التمسك بالدين خشية وإخلاصاً فهي التي توصل إلى المدنية الحقة .

لذا كتب داحضًا كل ما لَبَّسَ به كرومر على عوام المسلمين حول عدم مُلائمة الإسلام للمدنية، فقال: "إن الدين الإسلامي هو الوحيد الذي يرافق العقل جنبًا إلى جنب ويتمشى مع المدنية في طريق واحدة، ويصافح الإنسانية يدًا بيد.. وهو الذي رفع شأن الإنسانية من حضيض الهوان إلى ربوة العز والشرف، وأخذ بيد الضعيف حتى أذل من عسف القوي وظلمه.. وهو الذي خلص الناس من عقيدة الشرك وكسر عن عقلهم قيود الأوهام، ونجاهم من فساد الأخلاق"(١).

ولما كان للعلم والعقل من أثر على كل المدنية والحضارات فقد بين الغلاييني ما لهما من مكانة كبيرة في الإسلام حيث بين في بحثه: "الدين والعلم" يورد أنه ليس في الدين ما ينافي العلم بل "إن الدين الحق والعلم الحق أخوان، أبوهما الحق وأمهما الحقيقة"(٢).

وأكد أن العلم لا يعارض الدين، بل هو "نور يُهتدى به في تفسير آيات الله في الأكوان، وفي كتبه التي أنزلها على رسله لهداية خلقه، وقوة لو استعملها علماء الدين، فأحسنوا استخدامها، لتغلبوا على نزعات الصدور.. للدين طريق قويم، وللعلم طريق قويم، وغاية الأول تطهير النفس، وغاية الآخر كشف اللبس"(٣) .

إن الغلاييني يرى بذلك أن الإسلام هو أكثر الأديان قبولًا للمدنية والحضارة الحقيقية المنافية لمدنية وحضارة أوروبا العلمانية؛ حيث دعا الإسلام كثيرًا إلى إعمال العقل، والتسلح بالعلوم العصرية طالما أنها نافعة للبشر والبشرية من حولنا(٤).

وكان من آثار دعوة كرومر إلى استجلاب المدنية إلى مصر أنها أسهمت في إسقاط

=

للمجلس الإسلامي وقاضياً شرعياً إلى أن توفي، من كتبه: (نظرات في اللغة والأدب) و(عظة الناشئين) و(لباب الخيار في سيرة النبي المختار) و(الدروس العربية) و(ديوان الغلاييني) وغيرها من الكتب المثيرة، وكانت وفاته عام ١٩٤٤ م . الأعلام ، ٧/٢٤٤-٢٤٥ .

(١) الدين والمدنية ... اشتراك الأصول، زكي الميلاد، بحث منشور بجريدة عكاظ، العدد ٣٣٨٥، ٢٣ سبتمبر ٢٠١٠م .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر: المرجع السابق .

الحاجز الفكري بين الإسلام والغرب بتقريب الفكر الغربي إلى المجتمعات الإسلامية، وكذلك – أيضًا – ساعدت على إسقاط الحاجز النفسي لدى النخبة المثقفة لقبول العلمانية والتغريب، فـ "عند أولئك الذين تعلموا في المدارس الحديثة كانت جاذبية وجهة نظر الإمام محمد عبده للإسلام تكمن في أنها حررتهم لقبول أفكار الغرب الحديثة بلا أدنى إحساس بالتخلي عن ماضيهم..." [١].

إلى جانب ذلك كله فقد تطورت معادلة التوفيقية الإصلاحية على يد تلاميذ محمد عبده من القول (إن المدنية الحقيقية تتوافق مع الإسلام) إلى القول (إن الإسلام الحقيقي يتوافق مع ما تأتي به المدنية)، أو بمعنى آخر: من شرح الحضارة (العمران) والأفكار الغربية بما يوافق الإسلام (الحقيقي)، إلى تطويع الإسلام وإعادة تفسيره لحمله على موافقة الحضارة (العمران) والعقل الغربي، والحقيقة أن هذا التطور في تلك المعادلة كان قد بدأ على يد محمد عبده نفسه، ولكن تلامذته خاضوا فيه بصورة أوضح .

كما انهارت الموازنة بين الإسلام وتصوراته وبين الغرب وأفكاره وعلومه، وهي الموازنة التي كان يحرص عليها محمد عبده ومن معه، وقد افترقت خطاهم بعد محمد عبده، فمال رشيد رضا بفكره إلى سلفية أكثر، بينما اتجه سعد زغلول وأحمد لطفي السيد وقاسم أمين... وغيرهم إلى شبه قبول مطلق للفكر الغربي، مطالبين بعلمانية متشبهة بالغرب وبفصل الدين عن الدولة[٢].

إن المدنية التي حاول كرومر نشرها في مصر استطاعت أن تُنشئ جيلًا يكون كل همه أن يعمل على تطويع الإسلام، وحمله على كل ما تأتي به المدنية الأوربية العلمانية، وهذا ما تمثل في مدرسة محمد عبده التي سعت إلى التوفيق .

---

(١) تاريخ الشعوب العربية، ألبرت حوراني، ترجمة: نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢/١٤٥.

(٢) انظر: مقال جذور العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي، خالد أبو الفتوح، مجلة البيان، العدد (١٦١) .

## المبحث الثاني
## مقارنته بين الإسلام والنصرانية فيما يتعلق بالمدنية

إن أفضل ما أبدأ به كلامي في هذا المبحث هو قول مصطفى المنفلوطي(١): "ما عجبت لشيء في حياتي عجبي لهؤلاء الناس الذين يعجبون كثيرًا مما كتبه اللورد كرومر عن الإسلام، كأنما كانوا يتوقعون من رجل يدين بدين غير دين الإسلام، ويضن به فوق ضنه بنفسه وماله، أن يعتقد الوحدانية، ويصدق الرسالة المحمدية، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويحج البيت ما استطاع إليه سبيلا .

إن اللورد كرومر يعتقد كما يعتقد كل مسيحي متمسك بيسوعيته أن الإسلام دين موضوع، ابتدعه رجل عربي بدوي أمي ما قرأ في حياته صحيفة، ولا دخل مدرسة، ولا سمع حكمة اليونان، ولا رأى مدنية الرومان، ولا تلقى شيئًا من علوم الشرائع والعمران .

هذا مبلغ معتقده فيه، فكيف يرى نفسه بين يديه أصغر من أن يناقشه ويناظره ويخطئه فيما وضعه للناس من الشرائع والأحكام ؟

وكيف يسمح لنفسه أن ينظر إليه بالعين التي ينظر بها المسلم إليه من حيث كونه نبيًّا مرسلًا موحى إليه من عند الله تعالى بكتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

أما ما نقرؤه أحيانًا لبعض علماء الغرب المسيحيين من وصف الدين الإسلامي بصفات جميلة، أو مدح آرائه وأحكامه فهي مكتوبة بأقلام أقوام مؤرخين أدوا للتاريخ حق الأمانة والصدق، فلم يعبث التعصب الديني بكتاباتهم، ولا تمشت الروح المسيحية في أقلامهم، ولا ريب في أن اللورد كرومر ليس واحد منهم، فإن من قرأ كتابه "مصر الحديثة" تخيل أنه يسمع صوت راهب في صومعته قد لبس قلنسوته ومسوحه وعلق صليبه في زناره .

---

(١) مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المنفلوطي، أديب، كاتب، شاعر، قصصي، ولد بمنفلوط من مدن الوجه القبلي بمصر، وتعلم بالأزهر، واتصل بمحمد عبده، وسجن بسببه ستة أشهر لقصيدة قالها تعريضا بالخديوي عباس حلمي، وكان على خلاف مع محمد عبده، ونشر في جريدة المؤيد عدة مقالات تحت عنوان النظرات، وولي أعمالا كتابية في وزارة المعارف ووزارة الحقانية وأمانة سر الجمعية التشريعية، وأخيرا في أمانة سر المجلس النيابي واستمر إلى أن توفي في عام ١٩٢٤م . الأعلام ، ٢٣٩/٧ .

فهل يحق بعد ذلك لأحد من المسلمين أن يندهش أو يذهب به العجب كل مذهب إذا رأى في كتاب اللورد كرومر ما يراه كل يوم في كتب المبشرين الإنجيليين وجرائدهم ومجلاتهم من الطعن على الإسلام وعقائده وشرائعه، وتفضيل المسيحية على الإسلام في كل الجوانب؟"(١).

لقد قارن كرومر بين قبول الدين الإسلامي والدين النصراني للمدنية الإنسانية، وإن كان قد جار كل الجور في هذه المقارنة إلا أننا نذكر ما قاله في المقارنة بينهما في جانب المدنية لنبين حقده الدفين للإسلام، وأنه لم يكن منصفًا أبدًا في ذلك، ومن الأمور التي وقعت المقارنة فيها ما يلي:

### ١- صلاح النصرانية لتقبل المدنية، و عدم صلاح الإسلام لها:

يقول اللورد كرومر: "إن الدين الإسلامي دين جامد لا يتسع صدره للمدنية الإنسانية، ولا يصلح للنظام الاجتماعي"(٢)، ويقول: "إن ما لا يصلح له الدين الإسلامي يصلح له الدين المسيحي، ويستدل على الإسلام بالمسلمين، وعلى المسيحية بالمسيحيين" (٣)، فبعد زعمه بأن الإسلام لا يصلح للمدنية وغير قابل للتعامل معها وأورد في ذلك الشبهات التي رددنا عليها سابقاً أراد أن يقول بأن النصرانية نجحت فيما أخفق فيه الإسلام، وجعل دليله على ذلك هو تحضر النصراني وتعاطيه مع عوامل الحضارة الأوربية فاستدل بذلك على شيئين هما صِحة الديانة النصرانية وصلاحها وتقبلها للمدنية الحديثة، وأستدل على الإسلام بأفعال المسلمين فنفى صحته وأثبت عدم قابليته للمدنية والحضارة .

وكرومر عندما ينحى بإستدلالته هذا المنحى إذ يُثبت ما ذهبنا له سابقاً من أنه لا يتحلى أبداً بالإنصاف والعدل، بل وأضاف سيئةً أخرى إلى ذلك هي عدم قدرته على المقارنة الصحيحة والإستدلال الصحيح، إذ كيف يستدل بأفعال مسلمين لم يتعطوا مع دينهم كما ينبغي وكما هم مأمورون به، ويترك عصوراً للمسلمين مُشرقة كانوا أشد تمسكاً بالإسلام فبلغوا ما بلغوا من الحضارة والتمدن الحقيقي الذي أبهر العالم بل لا يزال يبهرهم بما يرونه في حضارة الأندلس وغيرها ؟!

---

(١) النظرات، مصطفى لطفي المَنْفَلُوطي، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢١٣ والتي بعدها .

(٢) المرجع السابق، ص٢١٥ .

(٣) المرجع السابق، ص٢١٥ والتي بعدها .

و لقد بينت الردود عليه في المبحث الأول بكلام الغلاييني– رحمه الله – الذي رد على ذلك بتفصيل من خلال كتابه "الإسلام روح المدنية".

**٢- المقابلة بين الإنجليزي النصراني، وبين المصري المسلم في مدى قبولهما للمدنية والرقي:**

قال كرومر في المقابلة بين الإنكليزي والمصري ما ترجمته: "إن التقاليد الدينية هي من جملة الموانع الكائنة بين الإنكليزي والمصري، فإن الإنكليزي على كونه أحد أفراد العائلة الأوربية من جهة التمدّن العمومي، فإنه يحاول أكثر من كل أوربي آخر أن يصل إلى أسمى درجات الرقي من التمدن المسيحي، أي: إنه يحاول أن يدخل نظام آداب نصراني صريح [في المعاملة] ويجعله قاعدة للعلاقات بين الرجل والآخر، يحمله على ذلك تلك المبادئ القديمة التي جاءته من أسلافه، والدم البيوريتاني(١) الذي لا يزال يجري في عروقه"(٢).

ثم أضاف ليقارن بين الانجليزي النصراني والمصري المسلم "ومن الجهة الأخرى نرى المصري متمسكًا كثيرًا بدين الإسلام، وهو التوحيد الشريف الذي ينوب فيه الإيمان إلى درجة قصوى عن الوطنية في البلدان الشرقية، وهو وسيلة للاتحاد العام بين جميع المسلمين من دلهي إلى فارس (٣) ، ومن الآستانة إلى زنجبار؛ إذ يتحولون للصلاة نحو منبع دينهم وهو قبلتهم"(٤).

---

(١) البيوريتاني : مذهب بروتستانتي انجليزي المولد ظهر في أواخر القرن ١٦م و بداية ١٧م ، و أطلق عليه "المذهب البيوريتاني" أو "المذهب التطهيري" أو "الحركة التطهيرية" ، و هو من أشد الاتجاهات البروتستانتية تطرفاً حيث يهاجم البيوريتانيون الملابس (الأردية الاحتفالية خاصة التي تستخدم في طقوس القربان المقدس)، والاحتفالات، و هو أقرب إلى الأفكار الكالفينية ، حيث دعا إلى تعظيم الكتاب المقدس على أن تعطى الأولوية للعهد القديم ،كان البيوريتانيون بين الرواد في المستعمرات في أمريكا الشمالية، وكانت لهم آثار طويلة الأمد على ديانة الولايات المتحدة ومجتمعها، وتستخدم كلمة بيوريتان أيضاً بشكل غير دقيق لأفكار ضيقة وصارمة . انظر : الصهيونية النصرانية دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية ، ص٧٧ ، و المعجم الموسوعي للديانات والعقائد، سهيل زكار، ٢١٨/١ .

(٢) البرهان الصريح في بشائر النبي والمسيح عليهما السلام، محمد رشيد رضا، مجلة المنار، جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ – يونيو ١٩٠٨م، المجلد ١١، ٣٥٤/٥ .

(٣) فارس : أرض بين نهر بلخ إلى منقطع اذربيجان وأرمينية الفارسية ثم الى الفرات، ثم بريّة العرب إلى عمان ومكران، ثم إلى كابل وطخارستان . انظر معجم البلدان ، ١٨/١ .

(٤) المرجع السابق، المجلد ١١، ٣٥٤/٥ .

وحتى يقدح في الإسلام أراد بيان القواعد التي يقوم عليها الإسلام فسأل سؤالاً وأجاب "فما هي القواعد الأساسية لهذا الدين الذي أثر تأثيرًا عظيمًا في الجنس البشري ؟

إنها مبينة في القرآن الكريم، وقد شرحها العلماء من جميع الأمم بلغات كثيرة، ولكن عظمتها الأصلية وسهولتها لم يبينها بأكثر بلاغة مما بينها به أتباع النبي الأوليين الذين انطرحوا عند قدمي ملك الحبشة النصراني يطلبون حمايته له من اعتداء عرب قريش؛ إذ قالوا:

أيها الملك، كنا قومًا أهلَ جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولًا كما بعث الرسل إلى مَن قَبْلَنا، وذلك الرسول منا نعرف نسبَه، وصِدْقَه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لِنعبدَه ونوحدَه ونخلعَ (أي: نترك) ما كان يعبدُ آباؤنا مِن دونِه مِن الأحجار والأوثان، وأمرنا أن نعبدَ اللهَ وحدَه، أمَرَنَا بالصلاة والزكاة والصيام، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والكَفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقَذْف المحصنة، فصدَّقْناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به[(١)] "[(٢)] .

وقال: "إن العمل بهذه القواعد قد أفاد مِئات الملايين من الذين اعتنقوا الإسلام — وخصوصًا الفقراء بينهم – عزاءً روحيًّا فضلًا عن النعم المادية من خيرات هذا العالم، وأمل الخلود في العالم الآتي، ولا ريْبَ أن الهيئة الاجتماعية الأصلية تستفيد كثيرًا من اعتناق الدين الإسلامي، وقد قال جون سيلي[(٣)]: "أينما وجدت قبيلة بربرية قد رفعت نفسها يومًا ما حتى ارتقت عن حالها الهمجية، ونالت بعض التقدم تجد أنها فعلت ذلك عادة بواسطة اعتناقها الدين الإسلامي"[(٤)] "[(٥)] .

---

(١) من حديث أم سلمة هند بنت أمية، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم ١٨٠/٣، قال المحدث أحمد شاكر إسناده صحيح .

(٢) البرهان الصريح، المجلد ١١، ٣٥٤/٥ .

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) نقلاً عن البرهان الصريح بشائر النبي والمسيح عليهما السلام، محمد رشيد رضا، مجلة المنار، جمادى الأولى ١٣٢٦هـ – يونيو ١٩٠٨م، المجلد ١١، ٣٥٤/٥ .

(٥) المرجع السابق، المجلد ١١، ٣٥٤/٥ .

وكرومر إذا يقول ما سبق ويستشهد عليه من حاقدٍ مثله ليس ثناءً على لإسلام بل هو يلمز من طرفٍ خفي بأن ذلك وإن نفع المسلمين إلا أنه لم ينفع إلا الفقراء والضعفاء من جهة ولم يعطهم إلا شيئاً من التقدم والرُقي بخلاف الأوربي، وكلامه هذا حُجة عيله لا له، فدين يهتم بالفقراء والضعفة لهو دينٌ له رؤية صائبة؛ فأمثال هولاء هم القاعدة الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات في الشرق والغرب، وهي اللبنة الأولى والمعيار الحقيقي لتقدم الأمة وتخلفها .

ثم يقول كرومر: "ولسوء الحظ نرى أن المصلح العربي العظيم الذي قام في القرن السابع يريد به محمدًا] قد اضطرته دواعي مركزه يومئذ إلى القيام بأكثر من تأسيس دين، إنه حاول أن يوجد نظامًا اجتماعيًا، فكانت النتائج لهذا النظام هي التي وصفها أحدهم بقوله: "إن الإسلام عظيم من حيث كونه دينًا، وقد علم الناس أن يعبدوا إلهًا واحدًا عبادة طاهرة، وقد كانوا مِن قبلُ يعبدون آلهةً كثيرةً عبادةً غيرَ طاهرة، ولكن الإسلام أخفق إخفاقًا كاملاً بصفته نظامًا اجتماعيًا"[١] "[٢] .

إن كرومر ومن استدل برأيه من أعوانه المستعمرين والمستشرقين يزعمون أن الدين الإسلامي أخفق إخفاقًا كاملاً بصفته نظامًا اجتماعيًا، فلا يقبل المدنية الإنسانية، ولا يستطيع السير في رحابها، وهذا على عكس دينهم المسيحي الذي هو مهيأ لقبول تلك المدنية، وقد انعكس هذا الأمر على الشعبين المصري والإنجليزي فأصبح الأول غير مهيأ لقبول تلك المدنية، والثاني هو القادر على مسايرتها[٣].

وأقول عجباً له كيف يحكم ؟!، إن الحضارة الإسلامية لها الفضل الأسبق على أوربا قاطبة، فما تعلمت أوربا الطب والهندسة والعمارة والأخلاق إلا من خلال احتكاكهم بالمسلمين في الأندلس السليبة غرباً أو الشام الحبيبة شرقاً وغيرها من بلاد المسلمين التي جاور النصارى فيها المسلمين، وحضارة أوربا اليوم أكبر شاهد على ما نقول ولو كان عنده شيء من العدل أو الخُلق لمنعه ذلك من إنكار ذلك الفضل العظيم على شعوب أوروبا، التي كانت في يومٍ من الأيام مبهورة بحضارة الإسلام والمسلمين .

---

(١) نقلاً عن المرجع السابق، المجلد ١١، ٣٥٤/٥، دون أن يُشير إلى موضعه .

(٢) المرجع السابق، المجلد ١١، ٣٥٤/٥ .

(٣) انظر: المرجع السابق، المجلد ١١، ٣٥٤/٥ .

**٣- الزعم أن الإسلام يراعي التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه على عكس النصرانية:**

إن مما أغاظ كرومر كثيراً وعطل مهمته الكنسية التي قدم من أجلها هو ذلك العقد المتين الذي بُني عليه الإسلام، حيث لا تجد بأن الإسلام يهمل شيئاً مهما كان متناهياً في عدم الأهمية فضلاً عن كونه ذا أهمية كبيرة كالنظام الاجتماعي الذي تقوم عليه حياة الناس، ولذلك عمد إلى القدح في هذه الصلة الوثيقة التي تربط الدين بحياة الناس، وكانت من دعاواه التي ادعاها هو أن النظام الاجتماعي فقد المرونة وذلك لأن الإسلام يُراعي التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن ذاته، فهو بذلك جمع بين الدين والشرع، وهو ما أدى برأيه إلى عدم قدرة النظام الاجتماعي الإسلامي على مُحاكاة الأمم المتحضرة المدنية (١) .

وفي هذه الدعوى شطط كبير عن الحق بل فيه مخالفات للعقول السليمة، فأي ديانة في العالم تبقى صورة تُعلق على الحيطان، أو تُحفظ في الصدور دون أن يكون لها أثر على واقع الناس وحياتهم الاجتماعية وتعاملاتهم ؟! فالناظر في حال الديانات الوضعية الغير سماوية يجد أن لها صلة وثيقة بحياة الناس الاجتماعية، وذلك بضبط علاقة الناس فيما بينهم وكذلك علاقتهم مع المخالفين لهم في الديانة سواءً كانت تلك العلاقة يحكم الشدة أم التساهل، فكيف بدين سماوي خالص لم تشبه شائبة التحريف والتبديل، ولذلك تجد أن عائشة — رضي الله عنها — أجابت عندما سُئلت عن خُلق النبي ﷺفقالت: «كان خلقه القرآن» (٢)، ولذلك لم يكن النبيﷺ يفصل بين الدين والتعامل الاجتماعي مطلقاً، بل إن كثير من الأحكام التي تضبط تعاملات الناس وحياتهم مصدرها القرآن الكريم وما السنة النبوية إلا شارحة وموضحة له.

**٤- المقارنة بين الإسلام والنصرانية في مسألة الرق:**

يضيف كرومر على ما سبق من أسباب فشل الإسلام في الوصول إلى المدنية الإنسانية – أن الإسلام لا يشجّع على الرِّقِّ، ولكنه يتساهل في الاسترقاق .

(١) انظر: المرجع السابق، المجلد ١١، ٣٥٤/٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم ٢٤٦٠١، ١٤٨/٤١، صححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٤٨١١ .

ولذلك عندما علق رشيد رضا على كرومر في هذه المسألة قال: "ويليق بنا أن نقول في هذا المقام: إن من الأمور التي تُوجب الخجل على المسيحي أنه لم يَكْتَفِ قَبْل الآن بأن يستعبد العبيد، بل ارتكب أقبح من ذلك، فكان يتخطفهم، على أن الديانة المسيحية لم توافق مطلقًا على الرق"(١).

إن كرومر يحاول إخفاء سوأة أوروبا قاطبة في استعبادهم للأحرار، واستباحتهم للأموال والبلدان بمقارنته هذه الغير صحيحة والمبنية على هواه؛ فإن مقارنته ساقطة لصالح الإسلام، فإن الإسلام لم يغتصب يوماً حقاً لأحد كما يفعل النصارى في كل بقاع الأرض فضلاً عن أن يغتصب بشراً، بل إن الإسلام وإن لم يأمر وجوباً بعتق الرقيق إلا أنه كفل لهم حقوقهم كاملة وعدم تحميلهم مالا يُطيقون من الأعمال، وحذر من ظلمهم، وخفف من أحكام الإسلام عليهم مراعاةً لحالهم، وأكد زيادةً على ذلك على فضل عتقهم ورتب عليه الأجور العظيمة، والناظر بعين الإنصاف في أحكام الرقيق في الشريعة الإسلامية ليرى عظمة هذا الدين بمقابل جميع الأديان أخرى الصحيحة وغير الصحيحة، فهو لم يهمل حتى حق البهائم فكيف يتساهل في حقوق البشر ؟! لكنه الفجور في الخصومة الذي غطى أبصار المستشرقين .

**٥- دعوى افتقار الإسلام للتسامح وتمتع النصرانية به:**

لقد تكلم محمد رشيد رضا عن رأي كرومر في هذه الدعوى بكلام طويل حيث قال: "يقول كرومر عن الفرق بين الإسلام والنصرانية في قضية التسامح الإنساني:

وقد اشتهر أخيرًا أن الإسلام دين خالٍ من التسامح، وهي شهرة صحيحة من بعض الوُجُوه، ولكن لا بُدَّ من تحديد وإيضاح لهذه التُّهْمَة العامّة .

نعم، إن أتباع النبي شهروا الحرب على الذين اعتبروهم مِن الكافرين، وقد علمهم دينهم أنه يجوز استرقاق غير المؤمن مَتَى أخذوه أسيرًا في الحرب، وزِدْ على ذلك أنّ الخصام الطائفي كان كثيرًا، فقام السُّنِّيُّونَ(٢) في وَجْه الشيعيين(١)، واضطهد السنيون الوهابيين(٢) بدون شفقة –

---

(١) المرجع السابق، المجلد ١١، ٣٥٤/٥.

(٢) السُنيون: المقصود بهم أهل السنة والجماعة الذين يعتبرون القرآن و سنة النبي ﷺالصحيحة، وإجماع السلف الصالحهي أهم مصادرهم التشريعية، ويُقرون بصحة خلافة الخلفاء الأربعة الأوائل أبو بكر و عمر و عثمان و علي – رضوان الله عليهم –، ويؤمنون بعدالة كل الصحابة، ويثبتون ما أثبته الله لنفسه وينفون ما نفاه الله عن نفسه من =

على أن الخروج عن الإسلام يعاقب عليه بالموت ...، ثم قال: وفي قُرَى الصعيد لبث الهلال والصليب والجامع والكنيسة جَنْبًا إلى جَنْب سنوات كثيرة، ومع ذلك نرى الإسلام يميل إلى بَثّ رُوح عدم التساهل، وإنماء الحقد والاحتقار لا للمشركين فقط، بل يشرك معهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون: إن محمدًا هو رسول الله .

ثم أخذ يصنف الإسلام؛ فقال: إن المسلم منذ قرونٍ كثيرة ما برح يأمر أن ينتقم لنفسه مِن أعدائه، وأن يضرب من يضربه عينًا بعين، وسِنًّا بِسِنّ، وعليه تجد أن الإسلام يختلف عن النصرانية في أنه يغرس في العقول أن الانتقام والكره يجب أن يكونا أساسًا للعلاقات بين الرجل والآخر بدلا من المحبة والإحسان ... "[٣].

يدعي كرومر في كلامه السابق على أنه أُشتهر أخيراً بأن الإسلام دين خالٍ من التسامح !!، ويصدق على كرومر المثل القائل يكذب ويصدق كذبه، فلم تنتشر مثل هذه الإدعاءات إلا من خلال المستشرقين أمثال كرومر الحاقد على الإسلام وأهله والطامح لنشر ديانته بين في بلدان العالم، فلم يعرف التاريخ الإنساني على مر العصور ديناً متسامحاً رحيماً كدين الإسلام، دينٌ يساوي بين الأبيض والأسود والشريف والوضيع فلا يتفاضل المنتسبون إليه إلا بالتقوى الذي يحملونه بين جنباتهم، دينٌ يقف فيه الشريف جنباً إلى جنب مع الوضيع والفقير والخادم في الصلاة، دينٌ لا يُجبر أحداً في دخوله إلا على المشرك الذي لا ينتمي إلى دين سماوي صح

=

غير تعطيل أو تمثيل أو تشبيه أو تفويض أو تكييف . انظر : الفصل في الملل و الأهواء و النحل ، ابن حزم ، ١١٣/٢ .

(١) الشيعة: اسم عُرف به كل من قدم علي رضي الله عنه أو فضله على الشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –، ومن عقائدهم القدح في الصحابة، وقدح في عِرض زوج النبيﷺعائشة – رضي الله عنها –، وهم طوائف وشيع كثيرة منها مازال موجوداً كالإثنا عشرية ومنها ما انقرضت كالحنفية وغيرها، ولهم عقائد كثيرة باطلة تُناقض الدين الإسلامي الصحيح . انظر: التعريفات للجرجاني، ص١٢٩ .

(٢) السُنة الوهابية: تسمية مُفتراه نسبت إلى دعوة الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله –، العالم الذي ظهر في وسط الجزيرة العربية، وحارب الشرك، والبدع، ودعى إلى ما كان عليه السلف الصالح من نقاء العقيدة، وصفاء المنهج، ولكن أعداء دعوته وصموا دعوته بـ"الوهابية" تنفيراً منها كما هو حال كل أعداء الدين الإسلام الصحيح . انظر: تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، ص ٩٦-١٠٢ .

(٣) المرجع السابق، المجلد ١١، ٣٥٤/٥.

نزوله على نبي مرسل دلت عليه الأدلة، وهم قلة لا خير في بقائها دون انتمائها إلى دين سماوي، دينٌ يُنذر العدو من أصحاب الديانات السماوية قبل إخضاعه للدين الصحيح فيعرض عليه أولاً الإسلام فإن أبى عرض عليه الجزية مع بقائه في حماية الدولة الإسلامية لا يُضام ولا يُضر ومن يعتدي عليه كأنه اعتدى على المسلم .

وفي دعوى الاسترقاق أجبنا عليها قريباً في مقارنته بين الإسلام والنصرانية في مسألة الرق.

وأما كلامه عن الخصام الطائفي فهي من البذور الخبيثة التي بذرها اليهود بين المسلمين ورعاها النصارى بأنفسهم فأنتجت طوائف تسعى حثيثاً لإفساد الدين الإسلامي كالشيعة الذين يسقطون مسلمات الدين ويُحقرون ويسبون خير القرون ويتهمون الأعراض ويتخذون الأحقاد والعداوة منهجاً لهم فكيف تقبل أمة بالسكوت عن إهانة دينها والنيل من ثوابتها، لقد نسي كرومر عداوة النصارى لليهود بسبب ما يُحدثه اليهود في بلادهم من تفريق وسعي بالكذب وإيقاد الحروب فما كان من نصارى أوروبا إلا قتلهم وإخراج من بقي منهم خارج بلدانهم، وهم في ذلك لا يُلامون فمن يبدأ بالضرر ولا ينتهي منه لابد من إيقافه عند حده كي لا يضر الأمة الواحدة .

وأما عقاب القتل على الخارج من الإسلام فلأن هذا الدين واضح نقي طاهر لا يُجبر أحداً على اعتناقه إلا بعد اقتناع تام به، وملامسته لشغاف قلبه فمن دخله ثم خرج منه رغبةً عنه أو لنفاق كان يُبطنه فهذا حكمه القتل ردةً، فلا يخرج من الإسلام إلا من كانت نفسه خبيثة غير قابلة للحق، ولن يكون في حياته خيراً للبشرية .

وفي قوله أن الإسلام يُنمي الحقد والاحتقار لغير المسلمين فهذا كذلك يُضاف لجملة ادعاءاته وكذبه على الإسلام والمسلمين، فلم يكن الإسلام يأمر إلا بحسن الخلق وطيب التعامل مع كل المخالفين له فقال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ** ﴾ [(١)]، هكذا هو الإسلام وإن وجد اختلاف في التطبيق فهذا يرجع إلى أشخاص لا إلى دين مُحكم لم يُفرط في شيء إلا وبينه، بل لم يشجع الإسلام على الانتقام كما ادعى

---

(١) سورة العنكبوت، آية ٤٦ .

كرومر أيضاً بل كل شأن الإسلام دعوة إلى التسامح والعفو والمغفرة بدءً من عفو النبيﷺعن المشركين الذي آذوه وسبوه وألحقوا به التُهم وأخرجوه من أرضه ومن بين أهله إلى عهدنا الحاضر، بل كان دخول كثير من الناس للإسلام هو تسامحه وتجاوزه عن حظوظ النفس .

### ٦- دعوى أن النصراني يعمل لله دون رياء بخلاف المسلم:

يرى كرومر إن المسيحي يصلي صلاته اليومية في الخَفَاء، وأما المسلم فإنه يصلي جهارًا بين الناس، وليس لديه شيء من الخَجَل الكاذب دون اعترافه جهارًا أنه معتمد على الله في جميع أعماله وأموره(١) .

وهذه كذلك من دعاواه الواهية ضد المسلمين فإن من عبادتنا نحن المسلمين السرية والجهرية بحسب ما يأمرنا به ربنا تبارك وتعالى، وليست عباداتنا اجتهادية من قِبل أنفسنا، ومن العبادات التي شُرعت جهاراً هي الصلوات الخمس جماعة مع المسلمين، وليس في ذلك شيء من الرياء وإنما هي شُرعت هكذا على هذه الصفة، ولبيان تعلق المسلم بأحكام ربه تبارك وتعالى هو وصف ذلك المطْرَان النصراني(٢)الذي عد دَرَسَ الأديان الشرقية حيث قال: "إن الله موجود عند المسلمين وُجُودًا يندر مثله عندنا في وسط العجلة الغربية وما يَشُوبُها من الارتباك"(٣).

### ٧- تشجيع النصرانية للفنون ورفض الإسلام لها:

ويضيف كرومر على ما سبق من الدعاوى مقارنته بين الإسلام والنصرانية في المدنية الإنسانية فيرى بأن الديانة النصرانية تشجع الفنون وتستفيد منها، وأما الديانة الإسلامية فإنها تكسر الصور والتماثيل، وهي تحرم الصور وصناعة النقش والنحت إذا كانت تمثل شخصًا حيًّا، وأما الموسيقى فلا يُسْمَعُ لها صوتٌ في جامع(٤).

وقول كرومر من ناحية صحيح ومن ناحية متهاوٍ لا يثبت، فالإسلام لم يمنع الفنون التي

---

(١) انظر: المرجع السابق، المجلد ١١، ٥/٣٥٤ .

(٢) المطران: جمعها مطارنة ومطارين: رئيس الكهنة عند النصارى، وهو فوق الأسقف ودون البطريرك . معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/٢١٠٧.

(٣) نقلاً عن المرجع السابق، المجلد ١١، ٥/٣٥٤ .

(٤) انظر: المرجع السابق، المجلد ١١، ٥/٣٥٤ .

ليس فيها خطراً على الدين كالفنون الصناعية التي تنفع الناس من الحِرف المهنية الفنية وما شابهها، لكنه يقف بالمرصاد للفنون التي تمس معتقدات المسلمين أو تكون سبباً في إفساد العقيدة الإسلامية المبنية على التوحيد، حيث أن التماثيل والصور تُعتبر ذريعة إلى الشرك بالله خاصة عندما تكون لذوات الأرواح ولذلك كانت هي سبب لشرك قوم نوح -عليه السلام — فقال تعالى على لسانهم: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [(١)]، أما الموسيقى فبالطبع لن تُسمع في الجوامع التي بُنيت ليُسمع فيها القرآن الكريم، وليجتمع فيها عباد الله تعالى والملائكة الكرام لا للغناء والرقص ولاجتماع الشياطين من الجن والإنس .

## ٨- الفرق بين المسلم والنصراني في النظافة والصفات العقلية والأدبية:

يرى كرومر أنه قد يكون النصراني نظيفًا بعض الأحيان اعتقادًا منه أن النظافة نافعة لصحته وراحته، وعنده أن النظافة تلي التقوى، ولكنه لا يوجد جامع بين الأمرين، وأما المسلم فهو نظيف على شكل معين؛ لأن دينه يأمره بذلك .

ويقارن بين صفات المسلم والنصراني العقلية والأدبية ويُرجحها لصالح النصراني كعادته في التجني على المسلمين ووصفهم بكل قبيح .

لازال كرومر يدعي على الإسلام دون أدنى قدر من الإنصاف، إذ كيف يصف المسلم بعدم النظافة في مقابل النصراني الذي لا يتطهر من النجاسة أصلاً فضلاً عن تنظفه مما دون ذلك، إن في ذلك لظلم كبير، ويزيد سيئة أُخرى تفضح حقيقة النظافة التي يدعيها، إذ ليس عند النصراني اهتماماً بنظافة قلبه مما يُشينه أمام ربه من الكفر والفسوق ثم يمتدح نظافة ظاهره في الثوب والبدن ؟! لقد حظ الإسلام المسلمين على كلا النظافتين الداخلية والخارجية واهتم بكل ما يتعلق بالنظافة في المطعم والمشرب والملبس والبدن، ورتب على التهاون في النجاسات التي لا تُزال من البدن والثوب وغيرها تهاوناً العقاب .

أبعد كل ذلك يستحق الإسلام أن يُقارن بالنصراني في النظافة والاهتمام بها ؟! كلا بل هي نفوس المستشرقين التي جُبلت على الكذب وعدم الإنصاف رغم الحق البين .

ولقد قارن بين المسلم والنصراني في الصفات العقلية والأدبية ومال بها لصالح النصراني،

---

(١) سورة نوح، آية ٢٣ .

وهي مقارنة غير عادلة كالعادة، فالناس خلقهم الله سواسية لهم نفس الصفات التي تمكنهم من تتبع الحق بأدلته التي تُثبته فمن بلغ الصواب منهم واستمسك به كان خيراً من صاحبه الذي أقعدته نفسه وقدراته عن مثل ذلك، ولذلك فالمسلم البسيط الذي عرف الله وانقاد له واستسلم أعقل وأذكى من العالم النصراني الذي بلغ كل العلوم الدنيوية بعقله لكنه لم يستطع الوصول إلى من خلق نفسه وخلق الكون الذي من حوله .

أما عن الصفات الأدبية فقد أغنت كتب المسلمين عن بيان حيف هذا المستشرق النصراني، حيث أبهرت كتب المسلمين العقول ببلاغتها وحسن تصنيفاتها وتعدد أبوابها وتنوع موضوعاتها سواءً الشرعية منها أم الأدبية من شعر ونثر وغيره .

و بالجملة فإن هذه المقارنات يحاول من خلالها كرومر إثبات أن دين الإسلام يخالف المدنية الإنسانية، ولا يمكن له أبدًا الوصول إلى هذه المدنية إلا إذا تخلى المسلمون عن مبادئ دينهم، وفي ذات الوقت تجده يُحاول إثبات أن النصرانية فحسب هي القادرة على تحقيق المدنية لأتباعها النصرانيين، وأن الإسلام دين متخلف عقيم .

# الفصل الثامن

# آثاره في المؤسسات الإعلامية

# آثاره في المؤسسات الإعلامية

**حالة الصحافة المصرية في عهد كرومر:**

يوصي اللورد كرومر الموظفين مصريين وبريطانيين بالصحف المعتدلة؛ لأنها تفيد بنقدها وبشرح بعض الأخطاء التي تتلافاها الحكومة، فلا تمكن الصحف المعارضة من أن تجد أسسًا قوية في حملاتها، فتأتي معارضتها واهية لا أثر لها، وقد طالع بنفسه بعض هذه الصحف، فرأى أنه كان من الخطأ أن لا يعرف ملاحظاتها، سواء في ذلك الصحف التي أصدرها الأفراد أو أصدرتها الجماعات، وهو يعيب على الرسميين كراهيتهم للصحافة، وتبرمهم بكل معارضة، ثم يخطئ وجهة نظر القائلين بفرض قانون الصحافة؛ لأن من قانون العقوبات ما يغني عن سن تشريع جديد .

ويرى أنه يجدر بمؤرخ الصحافة المصرية في تلك الحقبة أن يصور موقف السلطات قبل مناقشة اللورد كرومر فيما ذهبت إليه أقواله عن الصحافة المصرية، فالخديوي توفيق لم تكن له صحف ذات أهمية، ولم يسع هو إلى خلق هذه الصحف بل كان موقفه موقفًا سلبيًّا وهو موقف سليم على أية حال .

أما تركيا فكان لها بالطبع صحف تميل إليها أو تعمل لها بإيعاز من مختار باشا[1] ممثل السلطان في مصر، فكان يدفع لبعض الصحف ألفًا وخمسمائة جنيه لكل منها .

وكان لفرنسا صحف كثيرة تناوئ الاحتلال وتحمل عليه، وهذه تعنيها مصالح فرنسا قبل أن تعنيها شيء آخر، وكان للمصريين بعض الصحف المعتدلة، وتعتمد أهمها على رعاية القنصلية الفرنسية أيضًا، ولم يفكر الاحتلال في أول الأمر في إنشاء صحف خاصة به، بل كان الاحتلاليون وعلى رأسهم العميد البريطاني يعنون بالتمكين للاحتلال بنشر الدعاية له في الخارج وفي انجلترا خاصة، فقد تدخلت بعض الجهات في شؤون مصر تدخلًا أساء إلى اللورد كرومر في سياسته العامة، فلم يكن بدل له ولأنصاره من الدعوة لسياسته ونشاطه، فعين الفرد

(١) أحمد مختار باشا أو الغازي مختار باشا، قائد تركي، ولد ببورصة، ولقب بالغازي لاستبساله في الدفاع عن إقليم قرص شرقي آسيا الصغرى، وعن أرض روم في أثناء الحرب التركية الروسية (١٨٧٦ ـ ١٨٧٨)، توفي عام ١٩١٩م . الأعلام ، ١/٢٥٥ .

ملنر[١] سكرتير جوشن [٢] في وظيفة بوازرة المالية المصرية، وكانت وظيفته في الواقع لتنظيم الدعاية في صحافة إنجلترا تأييدًا للاحتلال وسياسته في مصر، وكان ملنر أفضل رجل لهذه الدعاية؛ لأنه من الأحرار وله في صحافتها وشائج صلة وقربى، وكان هذا الداعية يستكتب الموظفين الإنجليز المقالات للصحف والمجلات الشهرية الأوربية عامة والإنجليزية خاصة .

**إغلاق كرومر بعض الصحف الوطنية:**

إن العناية الإنجليزية بالصحافة بدأت في صحافة أوربا، أما في مصر فيختلف الواقع مع ما جاء في تقرير كرومر سنة ١٩٠٣م، فالحكومة المصرية قد عاملت الصحف معاملة فيها من القسوة ما ينقض أقوال العميد البريطاني، والحكومة المصرية هنا تمثل الرغبات الإنجليزية ولا تجيز شيئًا لا يرضاه الإنجليز، فهي إن قست على الصحف المصرية فذلك رجع الصدى ليس غير، وقد ألغى الاحتلال بعد أسبوع بعض الصحف الوطنية منها جريدتا "الزمان"[٣] و"السفير"[٤]، وكان إلغاء الأولى "من قبيل الاستصواب"، وإلغاء الثانية مبنيًا على أن صاحبها من ضمن أنصار عرابي .

و إذا أغلقت الصحف المعارضة وهو أمر طبيعي ما دام سلطان الاحتلال أناخ على جوانب الحكومة جميعًا، فإن الغريب حقًّا أن تضيق الحكومة بكاتب من الأجانب يبدي رأيًّا لا يتصل بالسياسة، وهو موظف يقدر حدود الوظيفة والتزامات الموظفين إذا تحدثوا أو كتبوا، فقد أذاعت نظارة الداخلية عقب الاحتلال أمرًا قالت فيه "قد عثر في جريدة "الإجبشيان جازيت" على مقالة تتعلق بمواد التعويضات عن الأضرار التي لحقت بسكان القطر المصري من جراء الحوادث الأخيرة، وعلم أن محررها هو المسيو فورين[٥]، وأنه وإن كانت المقالة خالية من

---

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) لم أقف له على ترجمة .

(٣) صحيفة الزمان: صحيفة يومية سياسية، صدرت عام ١٩٤٧م، أصدرها (أدجار جلاد) أحد رجال القصر الملكي حينذاك، كانت لها إمكانيات مادية عالية ارتفعت بالصحيفة . قصة الصحافة العربية في مصر، ١٥٨-١٥٩.

(٤) صحيفة السفير: صحيفة أدبية سياسية نشرها حسن شمسي مرتين في الأسبوع بعد تعطيل جريدة (النجاح) التي كان قد أنشأها بالشراكة مع مصطفى ثاقب، صدر عددها الأول بتاريخ ١٢٩٩هـ -١٨٨٢م في القاهرة، تعزز مبادئ حزب (مصر للمصريين) . تاريخ الصحافة العربية، ٢١/٣ .

(٥) لم أقف له على ترجمة .

العبارات المخلة بشأن الحكومة إلا أنه لا يجوز لمستخدمي الحكومة جميعًا أن يكاتبوا الجرائد .

ولعل سبب ذلك الضيق بالصحيفة الإنجليزية وبمن يكتب فيها أن أخذت جانب العُرابيين وهو موقف دفع له بلنت[(١)] بسخاء [(٢)].

ويسجل اللورد كرومر في تقريره أن الصحافة المصرية قطعت عشرين عامًا بعد الاحتلال من غير تاريخ، وهو تسجيل ينقضه بلاغ الحكومة الذي يحاسب صحف "الوطن"[(٣)] و"إسكندرية"[(٤)] و"مرآة الشرق"[(٥)]و "البرهان"[(٦)] و"الأهرام"[(٧)] على بعض مقالات النقد التي وجهتها للاحتلال، ثم يزاوج البريطانيون بين الصحافة المصرية والصحافة الأجنبية في المعاملة فينذرون جريدتهم "الإجبشيان جازيت" ويغرموها عشرين جنيهًا لأنها تجاوزت حدودها فيما نشرته من مقالات في يومي ٩ و١١ أغسطس سنة "١٨٨٣م"[(٨)].

وقد نجحت سياسة كرومر في محاربة الصحافة بالصحافة، فقد تمكنت "المقطم" من الذيوع والانتشار، وكانت خصمًا لا يستهان به في إخراجه وتحريره، ولم تعد "الأهرام"باتزانها و"الوطن" بتفاهة تحريرها قادرتين على مواجهة حماسة "المقطم"، ففكر الوطنيون في إنشاء صحيفة وطنية يكون في مقدورها تسفيه المقطم ومحاربة الاحتلال، وساعدت الظروف الوطنيين وواتتهم بحكومة تعطف على فكرتهم فاجتمع لطيف باشا سليم الحجازي وحسن باشا عاصم

---

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) انظر: تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨م- ١٩٨١م)، إبراهيم عبده، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط٤، ص١٣٦- ١٣٨.

(٣) جريدة الوطن: جريدة مصرية سياسية أسبوعية، صدرت عام ١٨٧٧م، محررها مخائيل أفندي عبدالسيد . قصة الصحافة العربية في مصر، ص ٦٩-٧٠ .

(٤) لم أقف لها على تعريف .

(٥) جريدة مرآة الشرق: جريدة مصرية سياسية علمية أدبية، صدرت في القاهرة، وصاحبها عنجوري الدمشقي، ومحررها إبراهيم اللقائي . قصة الصحافة العربية في مصر، ص ٧٣ .

(٦) جريدة البرهان: جريدة مصرية كانت تصدر من الإسكندرية كل خميس، وكانت من الصحف الموالية للخديوي توفيق . قصة الصحافة العربية في مصر، ٧٥-٧٦ .

(٧) جريدة الأهرام: جريدة مصرية، كانت في بدايتها غير سياسية وبقيت كذلك حتى الحرب الروسية التركية، صدرت عام ١٨٧٥م، صحابها سليم تقلا . قصة الصحافة العربية في مصر، ص٦٧-٦٨.

(٨) انظر: جريدة الأهرام، عدد ١٨ أغسطس، عام ١٨٨٣م .

وإبراهيم الهلباوي وغيرهم[١].

ثم يفاجئنا اللورد كرومر في تقريره عن سنة ١٩٠٣م، بحديث طويل عن الصحافة المصرية استغرق من التقرير ثلاث صفحات كاملات، وهو يستهل حديثه عنها بأنها إنما أغفلها في العشرين سنة الماضية؛ لأنه لم تكن هناك حادثة ذات أهمية تتصل بشؤونها، وهو يزعم أنه حرص على حريتها في تلك الفترة، مع أن الاتجاهات العامة منذ عهد الاحتلال كانت توحي بالتضييق عليها، والوقوف دون حريتها المطلقة، وهو يشرح فكرة إطلاق العنان لها شرحًا تمليه الثقة التامة بضعف أثرها، فإنه ما دام جيش الاحتلال قائمًا فلا خوف على سلطان الإنجليز منها؛ لأنه يحمي الموقف من كل تطرف صحفي .

ثم يتحدث كرومر عن فكرة التقنين للصحافة فيذكر أن فكرة إصدار قانون للصحافة سينتج إشكالًا نحن في غنى عنه؛ لأنه يستوجب سريان نصوصه على الصحافة الأجنبية أيضًا، وفي ذلك من المشاكل ما يجدر أن نتجنبها، وإذا اقتصر القانون على الصحافة المصرية وحدها فإن ذلك يحمل المصريين على الاحتماء بالدول الأجنبية في حالة توظيفهم في الصحافة فلا ينال منهم القانون ويصبح لغوًا لا فائدة منه، هذا مع العلم بأن معظم الدول وبريطانيا في مقدمتها لا تميل إلى سن مثل هذا القانون .

واللورد كرومر يصارح حكومته بأن الصحف المصرية مهما تنشر من حملات فلن تغير مجرى الحوادث، وأن قضاياها مهما تكثر، فهي تدور في حيز ضيق يتصل بالصحف التافهة التي تتعرض للشخصيات وتلغو في الكرامات، وهذه صحف يسخط عليها الرأي العام، وهي قلما تسيء إلى شخصيات ورؤساء الدول الأجنبية أو الخديوي وأسرته [٢].

وظهرت بجانب "المؤيد" صحيفة "الأستاذ" في ٢٣ أغسطس عام ١٨٩٢م، وقد صدرت أسبوعية "علمية تهذيبية فكاهية" نصيرة للوطنيين وللخديوي عباس الثاني، وبحمل صاحبها[٣]

---

(١) انظر:تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨م- ١٩٨١م)، إبراهيم عبده، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط ٤، ص١٣٦-١٣٨ .

(٢) انظر: تطور الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص١٣٥.

(٣) صاحبها هو عبدالله النديم، وهو . عبد الله بن مصباح بن إبراهيم الإدريسي الحسني، من أدباء مصر وشعرائها، ولد في الإسكندرية عام ١٨٤٥م، شغل بعض الوظائف الصغيرة، وأنشأ فيها الجمعية الخيرية الإسلامية، كتب مقالات =

ما ذهبنا إليه في قوله عن احتجاب صحيفته إن الجرائد الفرنجية في مصر وانجلترا حملت عليه وادعت أنه متعصب للدين عدو للأجانب، وقد برم بها اللورد كرومر فأمر بإغلاقها كما فرض على صاحبها مغادرة مصر(١).

عرضنا لتاريخ كرومر في الصحافة، وتقريره سنة ١٩٠٣ م وحديثه عن الصحافة، وبينا مقدار ما فيه من غبن لها منذ احتل الإنجليز مصر إلى السنة التي بدأ اللورد كرومر يذكرها في تقاريره، وقد ساعد كرومر بعض الصحف، وقدم لها من التأييد ما هيأ لها فرصة التقدم والبقاء، وعلى رأس هذه الصحف جريدة "المقطم" .

ولا شك أن الصحف التي ساعد كرومر على إنشائها كانت تسير بمنهجه الرامي إلى تغريب البلاد، والتوطين للإنجليز، وذلك بإيهام الناس أن إسلامهم هو السبب في تخلفهم وهزيمتهم، وأن الحضارة الأوروبية هي السبيل الوحيد لرقي البلاد وتقدمها، والإعلام الذي كانت وسائله الوحيدة في ذلك العصر هي المجلات والجرائد هي المنوط بها هذا الدور، فهي التي تستطيع التأثير في الشعب المصري .

لذلك كان يشتري رضا الصحف والمجلات بالأموال، ويعطيها المعلومات دون غيرها من الجرائد، ويعمل على إيقاف الصحافة الوطنية بتأخير فتح مكاتب البريد التي توزع هذه الصحف .

---

= كثيرة في جريدتي "المحروسة" و" العصر الجديد " ثم أصدر جريدة " التنكيت والتبكيت "، حدثت في أيامه الثورة العرابية، فكان من كبار خطبائها، فطلبته حكومة مصر عام ١٣٠٩هـ فحبس أياما، وأطلق على أن يخرج من مصر، فبرحها إلى فلسطين، ثم عاد لمصر، وأنشأ مجلة " الأستاذ " ونفاه الإنكليز ثانية، فخرج إلى يافا ثم إلى الآستانة، فاستخدم في ديوان المعارف ثم مفتشا للمطبوعات في " الباب العالي " واستمر إلى أن توفي فيها عام ١٨٩٦م، له كتب، منها " الساق في مكابدة المشاق " و" كان ويكون " و" النحلة في الرحلة " و" المترادفات " وديوانان . الأعلام ، ١٣٧/٤ .

(١) الثورة العرابية، الرافعي، ص ٥٢٥ .

# الخاتمـــــــــة

# الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فبعد الانتهاء من هذا البحث (الآثار التغريبية للمستشرق اللورد كرومر ، عرضاً و دراسة) ولله الحمد والمنة، فقد خلصت منه إلى مدى الأثر الكبير الذي خلفه كرومر على المجتمع المصري خصوصاً وكذلك على بقية المجتمعات الإسلامية الأخرى وذلك بناءً على المركز المؤثر الذي تحتله مصر بين بقية البلدان الإسلامية، ولذلك تجد البلدان البعيدة عنها فضلاً عن القريبة منها تترقب ما يحصل فيها من تغيرات بكل اهتمام؛ وما ذلك إلا لخطورة التغيرات التي إن طرأت عليه فإنها لابد وأن تؤثر في حياة مجتمعاتها .

وما تعرضت له مصر إبّان فترة حكم اللورد كرومر من تغريب متعمد لهوية مجتمعها كان له آثار وخيمة على مصر وكذلك على بقية بلدان المسلمين قاطبة، وكما قد بينا سابقاً من أن خطط كرومر ومكره المتواصل – طوال ربع قرن من حكمه لمصر – هي ذاتها التي تُطبق في بقية بلدان المسلمين سواءً في التعليم أو الإعلام أو حتى الدعاوى التي كان يُثيرها كرومر عن الإسلام من خلال بعض مؤلفاته وكتاباته في الصحافة المصرية، كان لزاماً علينا إلقاء الضوء ولو على شيء يسير من تلك الخطط وكشفها للمسلمين عموماً ولمن بيدهم أمر هذه الأمة خصوصاً؛ حتى يتوخوا الحذر ويعلموا مداخل أهل السوء والفساد سواءً من الغربيين أو حتى من المفسدين الذين يتكلمون بلسان الأمة ويلبسون ثيابها؛ فيسدوا هذه الأبواب حتى لا تُفتن الأمة في دينها ودنياها؛ وليعلموا مكمن الخلل الذي أصاب الأمة فيبادروا في العلاج دون توانٍ .

وقد خلصت من بحثي إلى عدة نتائج وكذلك إلى عدة توصيات أوردها تباعاً فيما يلي:

**أبرز النتائج:**

١- سعي الغرب وخاصة كرومر بشتى الوسائل للحيلولة بين الأمة وبين دينها ما أمكنهم ذلك؛ وذلك حتى يُضعفوا من القوة الإيمانية التي يحملها المسلمون، وإن لم يحملوا قوة السلاح الحسي .

٢- حمل كرومر ومن ورائه دول الغرب هم الديانة النصرانية رعايةً لها، ودعوةً إليها،

وصبراً على الأذى فيها في حين خمول ظاهر من قِبل جانب كبير من المسلمين، وعدم مبالاة بأثر هذا الخمول.

٣- يختار الغرب خيار أبنائه وأذكيائهم لانتدابهم للأعمال الهامة لأمتهم أمثال كرومر، ويعدون الخطط المحكمة، ويضعون الأهداف بعيدة المدى، ويرعونها حق رعايتها ليصلوا إلى ثمارهم الخبيثة !!، في حين تبقى مهام الأمة قاصرة على من يملك المال أو الجاه أو السلطة أو الشفاعة التي لا تُرد، وتبقى الأعمال التي تحدد مصير الأمة بغير خطط واضحة فضلاً عن أن تكون محكمة، بل ليس للأمة أهداف عالية كما كان لجيل الصحابة — رضوان الله عليهم — ومن تبعوهم بإحسان .

٤- عمل كرومر وحرصه كان لعدة أهداف من أهمها:

- الحيلولة بين المصريين ودينهم الإسلامي .
- نهب ثروة المصريين .

٥- استطاع الغرب عموماً وكرومر خصوصاً من إثارة شبهاتهم الخطيرة بين المسلمين مما أدى إلا شكوك وارتياب كبير بين طائفة من جهلة المسلمين فحملهم ذلك على الارتماء في أحضان الغرب بكل ما فيه .

٦- استطاع كرومر إنتاج جيل من أبناء المسلمين يتكلم بلسان الغرب ويلبس لباسه وتعمل على تحقيق أهدافه وإحكام سيطرته على بلدان المسلمين، مما فاقم آثار هذا المستشرق الخطير .

٧- استطاع كرومر احتواء طائفة من علماء ومثقفي المجتمع المصري، وإغراء طائفة أخرى بالمال والجاه والشهوات؛ وذلك لشرعنة ما يقوم به الإنجليز في مصر، أو على الأقل يُقومون بتقريب الهُوة بين الإنجليز وبين السُذج من عوام المسلمين، وقد كان لكرومر ما أراد للأسف .

٨- قام كرومر بمساعدة القِس دنلوب بتفريغ مناهج العلوم الشرعية واللغة العربية في مختلف المراحل الدراسية من مضمونها، وتركها مناهج خاوية لا تسمن ولا تغني من جوع للطلاب، بل جعلوها من أقل العلوم أهمية في نفوس الطلاب .

٩- عمل كرومر على تنحية الأزهر من رمزيته للمجتمع المصري وتوجه الطلاب له بعد

التخرج من المدارس النظامية، وذلك بتزيين التعليم الغربي، وبترتيب الوظائف المرموقة ذات المرتبات العالية لمن يتخرجون منها، بخلاف من يتخرجون من الأزهر.

١٠- استطاع كرومر أن يخرج المرأة المصرية من هويتها، وذلك بإخراجها من بيتها لأسواق العمل، وميادين السياسة، وإغرائها بموضات الغربيات في اللباس والتبرج والتمرد على الرجال، ومنافستهن لهم فيما هو من خصائص الرجال .

١٠- اعتمد كرومر على الإعلام كوسيلة هامة لبث شبهه ودعاواه الكاذبة في أوساط المجتمع المصري .

١١- شجع كرومر كل المظاهر التي من شأنها تغريب فكر وهوية المجتمع المصري المسلم.

١٢-رعى كرومر أصحاب الأفكار التي تُعينه على الوصول لأهدافه التغريبية، واحتواهم، وقربهم، ودافع عنهم، وبذل سلطته في سبيل حمايتهم ودعمهم .

هذه أهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها في البحث .

**من أهم التوصيات التي أرى أخذها بعين الاعتبار:**

١- لابد من تكثيف جهود الدعوة إلى الله تعالى، وتقوية إيمان الناس، وربطهم بدينهم الصحيح الذي درج عليه سلف الأمة – رحمهم الله تعالى –، وتعليم الأمة تاريخها المجيد، وحضارتها التي بنيت بناءً على دينها .

٢- أن يتنبه أهل العلم من العلماء وطلاب العلم والدعاة وذوو الفكر والثقافة إلى أهمية النزول للعامة والقرب منهم وتعليمهم وتنبيههم على ما يهمهم في أمور دينهم ودنياهم؛ حيث أن العدو يدخل من باب العامة فهم أسهل تأثراً من غيرهم .

٣- أن يحرص المهتمون بالتغريب على بيان خطط الغرب بسهولة يستطيع العوام استيعابها ومعرفة تطبيقاتها في الواقع، وطريقة رفضه والابتعاد عنها، حيث كثير من المؤلفات في التغريب طويلة، وذات تفصيلات مملة لغير المتخصصين، والقصيرة منها لا يحاكي واقع الناس .

٤- أن يتنبه أهل العلم من العلماء وطلاب العلم والدعاة وذوو الفكر والثقافة إلى أهمية الإعلام بشتى وسائله وطرقه، فقد أضحى اليوم عامل قوي في توجيه الأمم.

٥- الإفادة من تجارب الدول التي سبق وأن وقعت تحت وطأة التغريب بحجج من هنا

وهناك، وبيان كذب الادعاءات التي كانت تُذاع للناس من نشر بعض مظاهر التغريب، وتفصيل واقعها بعد أن قبلت أو أُجبرت على تلك المظاهر .

٦- تشجيع الدعوة النسائية بشتى الوسائل، سواءً في المدارس أو دور التحفيظ أو حتى في الإعلام المرئي(١) أو المسموع أو المقروء .

٧- التنبه للمظالم التي تقع على المرأة خصوصاً، والحرص على معالجتها دون توانٍ، فالمرأة مدخل خطير يستغله الغرب للترويج لنشر فساده باسم حقوق المرأة .

٨- إنشاء المراكز التي تهتم بخطط الغرب تجاه المسلمين، والعمل على إيجاد الحلول المضاده التي تكفل إبطال ما يسعون إليه لإفساد بلدان المسلمين، وأن ينتدب لها من خيرة شباب الأمة وأذكياءهم .

٩- الحذر ثم الحذر من إهمال شباب الأمة ممن لهم اهتمامات دعوية وخيرية وغيرها، والحرص على توجيهها دون التقليل من شأنها؛ فقد يستخدمهم الأعداء لأهدافهم بإغراءاتهم الكبيرة .

١٠- لابد لطلاب العلم من الإقتداء بخير القرون ثم من تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا، والحذر من ترك الجماعة، واللهث خلف إغراءات المفسدين الذين يستغلون خلافاتهم لمصالح أعداء الأمة .

١١- الحذر من الانجراف خلف العنف عند ظهور أي مظهر من مظاهر التغريب، والحرص على الإقتداء بسلف الأمة في منهجية التعامل مع المخالفات الشرعية، من تقدير المصالح والمفاسد .

١٢- الحرص على القرب من أولياء الأمور – خاصة من العلماء وطلاب العلم الراسخين – وإبداء النُصح لهم بالحكمة، وعدم التفريط في ذلك بحجج واهية وورع بارد .

وبعد هذا العرض لأهم النتائج والتوصيات، أرجو من الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يبارك فيه، ويجعله هادياً في طريق عودة الأمة إلى سالف

---

(١) دون ظهورها، ويوجد في الإعلام المرئي طرق كثيرة للدعوة النسائية .

عهدها، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

# الفهارس العامة

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس الكلمات الغريبة.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

# فهرس الآيات القرآنية

| الآية | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| سورة البقرة | | |
| ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ | ١٠٩ | ١٨ |
| ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ | ١٨٣ | ٨٠ |
| ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ | ٢٢٢ | ٥٥ |
| ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ | ٢٢٨ | ٨٥ |
| ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ | ٢٢٩ | ٨٩ |
| سورة النساء | | |
| ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ | ٧ | ٨٦ |
| ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ | ١٩ | ٨٦ |
| ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ | ١٩ | ٨٨ |
| ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ | ٣٢ | ٨٦ |
| ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ | ٣٤ | ٨٥ |
| ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ | ٣٥ | ٨٨ |

| الآية | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ | | |
| ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ | ٤٣ | ٩٠ |
| ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ | ١٢٨ | ٨٨ |
| ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ | ١٣٠ | ٨٩ |
| سورة المائدة | | |
| ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ | ٣ | ٦٠ |
| ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ | ٤٨ | ٦٠ |
| ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾ | ٩٠–٩١ | ٩٠، ٩١ |
| سورة الأنعام | | |
| ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ | ٣٨ | ٦٠ |
| سورة التوبة | | |

| الآية | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ | ٥ | ٨٣ |
| سورة الأنبياء | | |
| ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ | ١٠٧ | ٨٢ |
| سورة النمل | | |
| ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ | ٦٩ | ٥٧ |
| سورة العنكبوت | | |
| ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ | ٤٦ | ١٥٣ |
| سورة الأحزاب | | |
| ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ | ٥٨ | ٨٥ |
| سورة محمد | | |
| ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ | ٤ | ٥٣ |
| سورة الممتحنة | | |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ | ١٠ | ٨٥ |
| سورة الملك | | |

| الآية | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ | ١٤ | ٩٠ |
| سورة نوح | | |
| ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ | ٢٣ | ١٥٤ |

# فهرس الأحاديث والآثار

# فهرس الفرق والمذاهب

# فهرس الكلمات الغريبة

## فهرس الأماكن

# فهرس الأعلام

# فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. الاتجاهات الحديثة في الإسلام، محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية ومكتبتها .
٣. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، ط٣، ١٤٠٠هـ .
٤. آثار العلمانية على العالم الإسلامي (التعليم – الإعلام – الدين والقيم)، نوره محمد عبد الله العويشز، بحث لاستكمال درجة الماجستير بكلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ -١٤٣١هـ.
٥. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير – الاستشراق – الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه، عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، دار القلم، ط٨، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
٦. احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين السيد صالح، دار الأرقم بمصر، ط٣، ١٤١٣هـ .
٧. الأعلام، خير الدين بن محمود محمد علي فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م .
٨. الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام، الشريف عبدالحي بن فخر الدين الحسني، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٩. أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، أبو التراب سيد بن حسين العفاني، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع جدة، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .
١٠. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي جريشه – محمد شريف، دار الوفاء، ط٣، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .
١١. الاستشراق أهدافه ووسائله، محمد فتح الله الزيادي، دار قتيبة، ط٢، ٢٠٠٢م .
١٢. الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، أنور الجندي، مؤسسة الرسالة، ١٩٦٤م .
١٣. الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .
١٤. بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم

الحميد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٤هـ .
١٥. تأملات في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع، أحمد لطفي السيد، وكالة الصحافة العربية، ط١، ٢٠٠٨م .
١٦. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، رشيد رضا، دار الفضيلة، ط٢، ٢٠٠٦م .
١٧. تاريخ الشعوب العربية، ألبرت حوراني، دار طلاس للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٧م .
١٨. تاريخ الصحافة العربية، الفيكونت فيليب دي طرازي، دار صادر بيروت، ١٩١٤م .
١٩. تحرير المرأة، قاسم أمين، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٨٩٩م .
٢٠. تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (١٩٣٠م -١٩٧٠م)، محمد جابر الأنصاري، طبعة عالم المعرفة، العدد ٣٥، نوفمبر ١٩٨٠م .
٢١. تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، جورجي زيدان، كلمات عربية للترجمة والنشر .
٢٢. تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، محمد بن سعد الشويعر، ط٣، ١٤١٩هـ .
٢٣. تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨م- ١٩٨١م)، إبراهيم عبده، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط٤ .
٢٤. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٢٥. الثورة العرابية، اللورد كرومر، ترجمة / عبد العزيز عرابي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م .
٢٦. الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار، جمع محمد عطية خميس، القاهرة .
٢٧. حصوننا مهددة من الداخل، محمد محمد حسين، دار الإرشاد، ١٩٧١م.
٢٨. الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط٥، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٢٩. الخلافة، محمد رشيد رضا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة .
٣٠. " الدكتور .علي سامي النشار وموقفه من الفرق .. عرض ونقد "رسالة مقدمة لنيل

درجة الدكتوراة في العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة – جامعة أم القرى –، أبو زيد بن محمد محمد مكي، ١٤٢٧هـ .
٣١. ديوان الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
٣٢. رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب، المنتدى الإسلامي، ط٢، ١٤١١هـ.
٣٣. سُبل العفة وخطورة الانحراف، مريم خميس محمد، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٨ م .
٣٤. السفور والحجاب، نظيرة زين الدين، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٢٨م .
٣٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي آدم الأشقوردي الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٣٦. سلسة الموسوعة ( ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية )، أحمد رجائي، ترجمة هديل أشرف، د.أحمد حماد .
٣٧. سنن أبو داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المكتبة العصرية بيروت .
٣٨. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن ضحاك الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .
٣٩. سير أعلام النبلاء، شمس الدينأبو عبدالله محمد بن أحمد عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
٤٠. الشبكة العنكبوتية .
٤١. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ .
٤٢. الصحافة الإسلامية في مصر في القرن التاسع عشر، الدكتور . سامي عبدالعزيز الكومي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .
٤٣. الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي، سامي عزيز، دار الكتاب العربي

للطباعة والنشر، طبعة وزارة الثقافة المصرية، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٤٤. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي آدم الأشقوردي الألباني، المكتب الإسلامي .

٤٥. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبي الحسن الندوي، دار الندوة للتوزيع، ط٢، عام ١٣٨٨هـ .

٤٦. صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط١، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م .

٤٧. الصهيونية النصرانية دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية ، الدكتور . محمد بن عبدالعزيز العلي ، دار كنوز إشبيليا للنشر و التوزيع ، ط١ ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .

٤٨. عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة، ط١٠، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٤٩. العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، أصلها رسالة ماجستير مقدمة في كلية أصول الدين — جامعة الأزهر -، إشراف الدكتور . محمد قطب .

٥٠. العلمانية — الليبرالية — الديمقراطية — الدولة المدنية في ميزان الشرع، اللجنة العلمية بجمعية الترتيل، ط٣ .

٥١. العولمة وأثرها على الاعتقاد، علي بن عمر السحيباني، بحث مُحكم في مجلة الدراسات العقدية، التي تصدر عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، ٢٠١٠ م .

٥٢. الغارة على العالم الإسلامي، ألفريد لوشاتليه، لخصها ونقلها إلى العربية، محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، منشورات العصر الحديث، ط٢، عام ١٣٨٧هـ .

٥٣. الفصل في الملل و الأهواء و النحل ، ابن حزم ، دار المعرفة ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ .

٥٤. الفكر الإسلامي الحديثدراسة وتقويم، غازي التوبة، دار القلم، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م .

٥٥. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، مكتبة وهبة، ط ١٠.

٥٦. في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.
٥٧. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ٣٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٥٨. القاموس السياسي ومصطلحات المؤتمرات الدولية انجليزي فرنسي عربي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
٥٩. القاموس المحيط، الفيروزبادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ .
٦٠. قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين، الدكتور . عبداللطيف حمزة، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٨٥م .
٦١. قضية تحرير المرأة، محمد قطب، دار مدبولي الصغير، ط١، ١٩٩٨م .
٦٢. القومية والغزو الفكري، محمد جلال كشك، دار القومية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٧٠م.
٦٣. كتابات جورجي زيدان دراسة تحليلية في ضوء الإسلام، محمود الصاوي، دار الهداية، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م .
٦٤. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
٦٥. المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي، توفيق المديني، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م .
٦٦. المجتمع المدني والعلمنة، محمد كامل الخطيب، دار الينابيع للنشر والتوزيع والإعلان.
٦٧. المرأة وآراء الفلاسفة، حسين فوزي، مصر، ١٣٤٤ هـ.
٦٨. المرأة والحياة الاجتماعية، تغاريد بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ .
٦٩. المستدرك على تتمة الأعلام للزركلي (الأول والثاني)، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٧٠. المستشرقون والقرآن الكريم، محمد أمين حسن محمد بني عامر، دار الأمل، ط١، ٢٠٠٤م .
٧١. المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، طارق البشري، دار الوحدة للطباعة والنشر، طبعة عام ١٩٨٢م .
٧٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٧٣. المسيحية والإسلام على أرض مصر، وليم سليمان قلادة، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٦م .
٧٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، دار الحديث، ط١، ٢٠٠٠م .
٧٥. مصر الحديثة، اللورد كرومر، النسخة الانجليزية.
٧٦. مصر في ثلثي قرن بين الماضي والحاضر، محمد مصطفى الههياوي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة .
٧٧. معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ، دار صادر ببيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥م .
٧٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .
٧٩. معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان موسى سركيس، مطبعة سركيس، ١٩٢٨م .
٨٠. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس الرازي ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م .
٨١. معجم المؤلفين، عمر بن رضا محمد راغب عبدالغني كحالة الدمشق، دار إحياء التراث العربي، ببيروت .
٨٢. المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم، سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط٢، ٢٠٠١م .
٨٣. المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م .
٨٤. معركة السفور والحجاب، محمد بن أحمدإسماعيل، دار طيبة للنشر، ط١، ١٤١١هـ.
٨٥. من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، كمال الدين عبد الغني المرسي، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
٨٦. موسوعة المستشرقين، الدكتور . عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين ببيروت، ط٣، ١٩٩٣م .
٨٧. موسوعة مشاهير العالم، إعداد مجموعة مؤلفين، دار الصداقة العربية ببيروت، ط١،

٢٠٠٢م .
٨٨. موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، دار الأنصار، ط عام ١٩٨٣م.
٨٩. موسوعة الموارد العربية، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط١ .
٩٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف / د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط ٤، ١٤٢٠ هـ.
٩١. موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، د. عبدالوهاب المسيري ، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٩٩م .
٩٢. موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديمًا وحديثًا، محمد بن مطر آل مطر الزهراني، مكتبة الصديق، ط١، ١٤١١هـ .
٩٣. نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، خضر شايب، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.
٩٤. النظرات، مصطفى لطفي المِنْفَلُوطي، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٩٥. هل نحن مسلمون، محمد قطب، دار الشروق، ط٦، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٩٦. واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩٠م .
٩٧. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار طيبة، الرياض، ط ١ .
٩٨. اليهودية و الماسونية ، عبدالرحمن الدوسري ، دار السنة ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
٩٩. " THE LIFE OF SIR PERCY COX، PHILP BY، GRAVES، SECUND IMPRESSION.

**المجلات:**

١- مجلة البيان، مجلة تصدر من لندن، رئيس تحريرها أحمد الصويان، أنشئت عام ١٤٠٦هـ .
٢- مجلة التوفيق، إصدار جمعية التوفيق القبطية المركزية بالقاهرة، السنة التاسعة.
٣- مجلة دراسات تاريخية، إصدر جامعة دمشق .
٤- مجلة المنار، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، ١٣١٥هـ .

**الصحف:**

١- صحيفة عكاظ السعودية .

٢- صحيفة الأهرام المصرية .

# فهرس الموضوعات